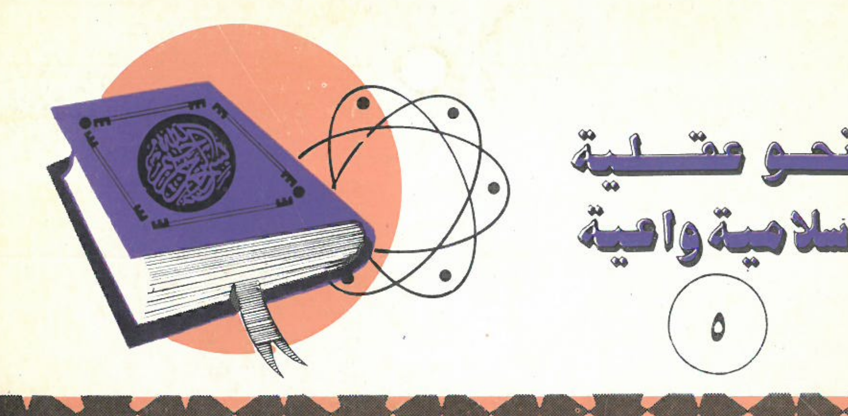


نحو عقلية
إسلامية واعية
٥

قوى الشر المتحالفة

الاستشراق . التبشير . الاستعمار
وموقفها من الإسلام والمسلمين

محمد محمد الدهان
المدير العام بالأزهر الشريف سابقا



الوفاء للطباعة والنشر

نحو عقلية
إسلامية واعية
(٥)

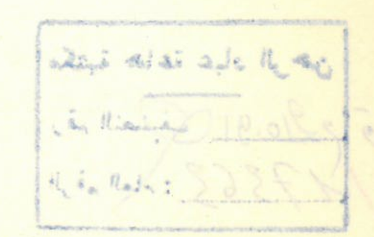
قوى الشر المتحالفة

الاستشراق • التبشير • الاستعمار
وموقفها من الإسلام والمسلمين

محمد محمد الدهان
المدير العام بالأزهر الشريف سابقا

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م

الطبعة الثانية
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م





دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ت : ٣٤٢٧٢١/ ٣٥٦٢٢/ ٣٥٦٢٣
فرع المنصورة : أمام كلية الطب ت : ٣٤٧٤٢٣ .... ص . ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004
فرع القاهرة : ٤١ ش شريف ت : ٧٤١٩٩٧ / ٧٥٤٦٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على صفوة المرسلين ، وخاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه ، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين ... وبعد

فقد رغبت إلىَّ : « دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع » بالمنصورة أن تعيد طبع كتابنا

قوى الشر المتحالفة
الاستشراق . التبشير . الاستعمار
وموقفها من الإسلام والمسلمين

بعد أن نفدت طبعته الأولى ، فما وسعنى إلا النزول على رغبتها ، تقديراً منى لجهودها المشكورة فى نشر ثقافة الإسلام المجيدة ، ومعارفه الغالية فعاودت النظر فيما كتبت ، وزدت فيه وحذفت ، وقدمت فيه وأخرت . ﴿ إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾[1] .

والله أسأل أن يكون فى طبعته الثانية أحكم صنعا ، وأحسن إخراجا ، وأن يحقق الغرض المقصود منه ، وهو تذكير المسلمين فى جميع أرجاء العالم الإسلامى بما تحاوله قوى الشر المتحالفة من « إذابة » الإسلام ، وتحويل المسلمين عن

---

(١) الآية ٨٨ — من سورة هود .

عقيدتهم ، وحملهم على السير فى ركبهم ، والتأثر بنزغاتهم قال تبارك وتعالى : ﴿إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون﴾[1] رجاء أن يصدوها عما تحاوله ، ويصرفوها عما تنشده وذلك بالتمسك بدينهم ، والاقتداء برسولهم ، وبذلك وحده لا تنال منهم الأحداث ، ولا توهنهم الخطوب ، ويبقى الإسلام وارف الظلال يانع الثمار ، مسموع الكلمة ، مرهوب الصولة ، قوى الشوكة ... ويحيا المسلمون أعزة أقوياء ، يخشى بأسهم ، وتخطب مودتهم ، وتحترم مشيئتهم وتصان حرماتهم ، قال تبارك وتعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون﴾[2] وقال سبحانه وتعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم ، وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾[3] .

ولقد كررت الدعوة إلى التمسك بالدين القيم ، والاقتداء برسول الله صلوات الله وسلامه عليه فى مواطن كثيرة من هذا الكتاب إيمانا منى بقوله تعالى : ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[4] ﴿وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾[5] وجدير بنا بعد أن سرنا فى فلك المعسكر الشرقى تارة ، وفى فلك المعسكر الغربى تارة أخرى فحلت بنا المصائب ، وتوالت علينا النكبات وتراكمت الديون ، واستحكمت الأزمات وانطلقت الأصوات الفاجرة بالدعوة إلى التحلل من قيم الإسلام وتعاليمه . جدير بنا أن نفىء إلى الإسلام فنقيم

(١) الآية ٢ — من سورة الممتحنة . (٢) الآية ١٥ — الحجرات .
(٣) الآيتان ٥٥ ، ٥٦ — النور . (٤) الآية ١١ — الرعد .
(٥) الآية ٥٤ — النور .

دولته ، ونطبع مظاهر الحياة بتعاليمه الفاضلة ، وإلى رسول الله ﷺ فنتخذ منه الأسوة الحسنة ، والقدوة الطيبة . قال تبارك وتعالى : ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون * واتبعوا أحسن ماأنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون * أن تقول نفس ياحسرتى على مافرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين * أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين * بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين﴾[1] .

أسأل الله أن يعصمنا من الزلل ، وأن يحبب إلينا الإيمان ، وأن يزينه فى قلوبنا ، وأن يُكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، وأن يجعلنا من عباده الراشدين .

إنه أكرم مدعو ، وخير مسئول .

محمد محمد الدهان

المحلة الكبرى فى الثانى عشر من ربيع الأول ١٤٠٨هـ .

الثالث من نوفمبر ١٩٨٧م .

(١) سورة الزمر الآيات من ٥٤ إلى ٥٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أكمل لنا الدين ، وأتم علينا النعمة ، ورضى لنا الإسلام دينا ، والصلاة والسلام على صفوة خلقه ، وإمام رسله ، وخاتم أنبيائه مولانا :

« محمد بن عبد الله »

بعثه الله رحمة للعالمين ، وهاديا للناس أجمعين ، وأيده بالقرآن الكريم ليكون دليلا على صدقه ، وأنه مرسل من قبل ربه ، وليكون منهج رسالته . ودستور دعوته ، فأنار به سبيل الرشاد ، وطمس به معالم الضلال ، وكون بتعاليمه الرشيدة ، وآدابه السامية ، وأصوله الحكيمة ، وحدوده الزاجرة ، خير أمة أخرجت للناس ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾[١] ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾[٢] .

وبعد فهذه كلمة عامة عن موقف : قوى الشر المتحالفة :

الاستشراق . التبشير . الاستعمار .

من الإسلام كعقيدة ختم الله بها وحى السماء ، ومن المسلمين كأمة اختارها الله سبحانه وتعالى للقيادة ، وجعل لها الشهادة على البشرية ، وجعل لرسولها المصطفى الشهادة عليها : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾[٣] .

---

(١) من الآية ١٥ ، ١٦ المائدة .

(٢) الآية ١١٠ ــ آل عمران .

(٣) من الآية ١٤٣ ــ البقرة .

ليكون المسلمون على بصيرة مما يبيت لدينهم من شرور ، ومايثار حوله من شكوك ، ومايدبر لهم من مؤامرات ، ومايوضع فى طريقهم من عقبات ، ليصرفوهم عن دينهم ، ويزهدوهم فى اتباع رسولهم ، وليقضوا على وحدتهم وأخوتهم ، وليشيعوا الكفر والإلحاد بينهم ، ويزرعوا عوامل التحلل والفساد بين صفوفهم ، وليحولوا مواطن القوة والعزة فيهم إلى مواطن الضعف والذلة .

وبذلك يقعون فريسة بين أنيابهم ، وتكون لهم الغلبة عليهم ، والتحكم فى ثرواتهم ، والسيطرة على مقدارتهم ، والحيلولة بينهم وبين امتلاك إرادتهم ، أو استعادة قوتهم ، أو الإبقاء على ذاتيتهم .

قال تعالى : ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ﴾[1] .

وقال سبحانه : ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾[2] .

وإن الجهود الجبارة التى ينهض بها الخصوم الألداء ، والحقدة الأقوياء ، ليصلوا إلى تحقيق أغراضهم ، والأحداث الخطيرة التى يحياها العالم الإسلامى ، والتطورات العجيبة التى تمر بالبشرية لتفرض على المسلمين أن يثوبوا إلى رشدهم ، وأن يوثقوا صلتهم بربهم فيقيموا حياتهم على تعاليم الإسلام الفاضلة ، وشريعته الغراء ، وأن ينفذوا حدوده العادلة ، وأن يلتزموه منهجا لحياتهم ، وهاديا فى مسيرتهم ، وأن يقفوا من إسلامهم المحارب موقف سلفهم الأمجاد من الدعوة إليه . والدفاع عنه ، وتصحيح الأفهام فيه وصيانته من عوامل الانحلال والهدم .

وبذلك وحده يسلمون من سوء المصير ، ووخيم العاقبة ، ويستأهلون نصر الله

---

(١) الآية ٢ — الممتحنة .

(٢) من الآية ٨٩ — النساء .

ورعايته ، ويبقى الإسلام أعلامه خفاقة لاتنكس ، أنواره ساطعة لاتخبو ، حيويته قوية لاتشيخ .

ويحيا المسلمون أعزة لايذلون ، أقوياء لايضعفون : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾[1] .

﴿ يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾[2] .

ويدرك أعداء الله وأعداؤهم أنهم أمام عقيدة راسخة لاتنال منها سهامهم ، وأمام أمة واحدة متماسكة البنيان ، مترابطة الأجزاء لاتفرقها جموعهم ، ولاتوهنها حملاتهم .

أمة تعتز بإسلامها الذى رضيه الله لها ، وتنهض بتعاليمه التى كفلت لها الحياة العزيزة ، والعيشة الراضية فلن تدعه إلى جاهليتهم ، ولن تتركها إلى شرعتهم .

وأن تلك الأراجيف التى يثيرونها حول الإسلام ورسوله ماهى إلا : ﴿ كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ﴾[3].

وأن تلك المؤامرات التى تدبر للقضاء على المسلمين ، وتلك المعوقات التى تعترض نهضتهم لن تزيدهم إلا ثباتا على إيمانهم ، وإخلاصا لعقيدتهم ، وحبا لرسول الله ﷺ واستمساكا بسنته ، وستدفعهم دفعا قويا إلى العمل الدائب الذى يحبط عليهم تدبيرهم ، ويرد نصالهم إلى نحورهم : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١) الآية ١٥ — الحجرات .

(٢) الآية ٣ — القتال .

(٣) من الآية ٣٩ — النور .

فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾[1].

أسأل الله أن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالين إنه أكرم مدعو ، وخير مسئول .

محمد محمد الدهان

المحلة الكبرى فى غرة رجب سنة ١٤٠٥ هـ



(١) الآيتان ١٧٣ ، ١٧٤ — آل عمران .

كلمات حكيمة ، وشهادات منصفة

« فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين ، ولايقدم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين »

الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر

« الإسلام عقيدة وشريعة ، فمن آمن بالعقيدة ، وألغى الشريعة ، أو أخذ بالشريعة ، وأهدر العقيدة لايكون مسلما عند الله ، ولاسالكا فى حكم الإسلام سبيل النجاة »

الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر

« كنت فى كل الأحيان ولازلت أتناول دين محمد فأقدره تقديرا عظيما وذلك لروحيته العجيبة ، وحيويته العظمى .

إنه الدين الوحيد الذى يملك القدرة على هداية الغير ، وملاءمة الأزمنه ، وهو حرى لأن يكون دين الجميع فى كل دور وطور ، ويجب على العالم دون شك أن يقدره ، وأن يعلق أهمية عظمى على ذلك »

الفيلسوف الإنجليزى برناردشو

« إن الإسلام دين ودولة ، وهى سر عظمته وقوته ، وسر انتشاره المذهل فى القرنين السابع ، وبداية القرن الثامن ».

« إن البعد الاجتماعى والاقتصادى فى هذا الدين نجده فى صفحات القرآن الكريم ، وفى الآيات التى أنزلها الله لتحكم بين الناس بالعدل »

« لم يكن محمد عليه الصلاة والسلام مجرد نبى .. وإنما كان رجل دين ودولة .. والإسلام هو الدين الوحيد الذى ظل ينمو ويتوسع ، ويكسب أرضا جديدة ، ومؤمنين جددا فى مختلف مراحل التاريخ ، وهو الدين الوحيد أيضا الذى تعرض إلى هذا الهجوم من المؤتمرات والغزوات والطعنات »

الفيلسوف الفرنسى المسلم « رجاء جارودى »

نوايا كافرة ، وأقوال فاجرة

« مادام هذا القرآن موجودا فى أيدى المسلمين ، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هى نفسها فى أمان »

« غلادستون رئيس وزراء بريطانيا الأسبق »

« إن الخوف من العرب ، واهتمامنا بالأمة العربية ، ليس ناتجا عن وجود البترول بغزارة عند العرب ، بل بسبب الإسلام .

يجب محاربة الإسلام ، للحيلولة دون وحدة العرب ، التى تؤدى إلى قوة العرب ، لأن قوة العرب تتصاحب دائما مع قوة الإسلام ، وعزته وانتشاره »

« مورو بيرجر »

« يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب ، بل هى خلافات ، بين الحضارة الإسلامية ، والحضارة المسيحية ... إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا هى جزء مكمل للعالم الغربى ، فلسفته وعقيدته ونظامه ، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقى الإسلامى بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامى .

ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف فى الصف المعادى للإسلام ، وإلى جانب العالم الغربى ، والدولة الصهيونية ، لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها »

أيو جبن روستو مستشار الرئيس جونسون لشئون الشرق الأوسط

« سيجـدد السوفييت يومـا ما معـونتهم الخطيرة لإسرائيـل ، لتصفيـة القضيـــة الفلسطينية ، على نحو المعونة السوفياتية الخطيرة التى قدمتها موسكو للدولة اليهودية يوم مولدها فى الأمم المتحدة »

مردخاى أبى شاؤول

« يجب أن يدمر الإسلام من على هذه الأرض ، ويستأصل كليا ، لأنه دين الاستعمار .. إن عدونا الحقيقى هو الإسلام والمسلمون .. »

لينين الماركسى

« إن الغرض من الجهود المبذولة لحمل المسلمين على الحضارة الغربية ، هو تفتيت الحضارة الإسلامية ، التى تقوم عليها وحدة المسلمين ، وتغيير خصائصها تغييرا جذريا عن طريق النشاط التعليمى والإعلامى والثقافى ، الذى من شأنه أن يترك فى المسلمين ـــ من غير وعى منهم ـــ أثرا يجعلهم يبدون فى مظهرهم العام لا دينيين »

« هاملتون جب »



الباب الأول

لماذا يحاربون الإسلام ؟

الباب الأول

لماذا يحاربون الإسلام

أهداف قوى الشر المتحالفة ومطامعها . نشاطها فى تحقيق مآربها . خصوم الإسلام يفصحون عن نواياهم نحو الإسلام والمسلمين . لماذا ركزت قوى الشر المتحالفة على : القرآن الكريم . الكعبة المشرفة . اللغة العربية المقدسة ؟

لماذا يروج الاستعمار لفصل الإسلام عن الحياة ؟ تأثر الزعماء والقادة بالفكر الغربى فى فصل الدين عن الدولة ، تأثر الرئيس السادات بهذه الفكرة وإعلانه : لاسياسة فى الدين ولادين فى السياسة .

الأزهر الرسمى يسمع ولايصحح فهما خاطئا .

مواقف مشرفة لعلماء الأزهر .

الفهم الصحيح للإسلام .

السر فى شن المفتريات والحملات .



لماذا يحاربون الإسلام

التقت كلمة خصوم الإسلام الألداء ، من الحقدة المستشرقين ، والطغاة المبشرين ، والغزاة المستعمرين على محاربة الإسلام حربا لاهوادة فيها ، وعلى مقاومته بكل مايملكون من قوة . فلماذا يحاربون الإسلام ، ولماذا يقاومونه ؟

لأنه الحصن القوى ، الذى يقف أمام الصليبية الغربية ، والشيوعية الدولية ، والصهيونية العالمية وذلك بفضل عقائده الصحيحة ، وتعاليمه القويمة ، وتشريعاته السديدة ، ومبادئه الحكيمة ، وأخلاقه السامية ، وحيويته الكبرى ، وقوته الدافعة ، ودعوته الشاملة ، وأخوته الجامعة ...

يقول المبشر : « لورانس بروان » فى كتابه « الإسلام والإرساليات » ص ٤٤ — ٤٨

« .. ولكن الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام ، وفى قوته على التوسع والإخضاع ، وفى حيويته . إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوربى » .

ويقول : « إنه إذا اتحد المسلمون فى إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا ، وأمكن أن يصبحوا نعمة أيضا ، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون بلا قوة ولاتأثير » .

ويقول القسيس : « كالهون سيمون » فى كتابه « التبشير والاستعمار » ص ٣٢ :

« إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السود ، وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوروبية ، ولذلك كان التبشير عاملا مهما فى كسر شوكة هذه الحركات . ذلك لأن التبشير يعمل على إظهار الأوربيين فى ثوب جديد جذاب ، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصر القوة والتمركز فيها ».

ويقول المستشرق الفرنسى « هانوتو » فى مقال نشرته جريده المؤيد عام ١٣١٧ هـ ترجمته تحت عنوان : « لقد أصبحنا اليوم إزاء الإسلام والمسألة الإسلامية »

« لايوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام فيه حدوده منتشرا فى الآفاق ، فهو الدين الوحيد الذى انتحله الناس زمرا وأفواجا ، وهو الدين الوحيد الذى تفوق شدة الميل إلى التدين به كل ميل إلى اعتناق دين سواه » .

وتقول مجلة العالم الإسلامى الإنجليزية فى عدد يونيه ١٩٣٠ م تحت عنوان :

« الجغرافيا السياسية للعالم الإسلامى »

« إن شيئا من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربى ، ولهذا الخوف أسباب منها : أن الإسلام منذ ظهر فى مكة لم يضعف عدديا ، بل دائما فى ازدياد واتساع ، ثم إن الإسلام ليس دينا فحسب بل إن من أركانه الجهاد ، ولم يتفق قط أن شعبا دخل فى الإسلام ثم عاد نصرانيا » .

ويقول « نابليون بونابرت » بعد أن هاله النصر الرائع الذى أحرزه المسلمون تحت ظل راية الإسلام من امتداد دولتهم مابين المشرق والمغرب من جبال البيرنيه فى فرنسا ، والألب فى إيطاليا غربا ، إلى خليج البنغال وقلب الصين وجبال الأورال بآسيا شرقا فى مدة لاتجاوز قرنا من الزمان :

« إن العرب بفضل الإسلام قد حققوا من بسط السلطان فى ظرف تسعين سنة ماعجز الرومان عن تحقيق بعضه خلال خمسمائة سنة »[١] .

ويقول اللورد كروزون وزير خارجية بريطانيا الأسبق :

« إن معاول التبشير تضرب عبثا على حائط الإسلام الصخرى الذى لايهدم ، حيث إنه نظام شامل لكل ناحية ، وأتباعه يخضعون لنظمه من المهد إلى اللحد ، والروابط التى ينهض بها المجتمع الإسلامى ليست مدنية بل هى دينية ، ومادام هذا القانون الشامل لجميع شئون الحياة مستوليا على الشرقيين الذين يعتقدونه ، ومفصلا لأحكام كل شىء يتعلق بهذه الحياة ، ومؤملا فى حياة ونجاة وسعادة بعد الموت فإن أعمال المبشرين ، وصرفهم للأموال الطائلة ، ونكران ذواتهم يصبح بدون فائدة ، بل هو من العبث بمكان »[٢] .

ويرجع الرحالة الألمانى : « بول أشميد » فى كتابه : « الإسلام قوة الغد » مقومات القوى فى الشرق الإسلامى إلى ثلاثة عوامل :

(١) فى قوة الإسلام « كدين » ، وفى الاعتقاد به ، وفى مثله ، وفى تآخيه بين مختلفى الجنس واللون والثقافة .

(٢) وفى وفرة مصادر الثروة الطبيعية فى رقعة الشرق الإسلامى ، وتمثيل هذه المصادر العديدة ، لوحدة اقتصادية سليمة قوية ، ولاكتفاء ذاتى لايدع المسلمين فى حاجة مطلقا إلى أوروبا أو غيرها ، إذا ما تقاربوا وتعاونوا .

(٣) وفى خصوبة النسل البشرى لدى المسلمين مما جعل قوتهم العددية ، قوة

---

(١) رابطة العالم الإسلامى ندوة محاضرات موسم الحج عام ١٣٨٨ هـ ص ٦٩ .

(٢) اللواء الإسلامى العدد (١٣٠) الصادر فى ٢٠ من شوال ١٤٠٤ هـ ١٩ يوليو ١٩٨٤ م .

متزايدة وبعد أن تحدث عن هذه العوامل أخذ يتحدث عن آثارها فقال :

فإذا اجتمعت هذه القوى الثلاث ، فتآخى المسلمون على وحدة العقيدة ، وتوحيد الله ، وغطت ثروتهم الطبيعية حاجة تزايد عددهم ، كان الخطر الإسلامى خطراً منذرا بفناء أوربا ، وبسيادة عالمية فى منطقة هى مركز العالم كله .

ثم أخذ يهيب بالغرب المسيحى أن يتضامن شعوبا وحكومات ليعيد الحرب الصليبية فى صورة أخرى ملائمة للعصر ، وبأسلوب نافذ حاسم[1] .

فانظر كيف هالتهم قوة الإسلام وعظمته ، وكيف أنها تقف سدا منيعا أمام مطامعهم ، وحصنا قويا تتحطم على أسواره جميع مخططاتهم ؟ !

وتأمل كيف أذهلتهم تلك العقيدة الربانية التى يحملها المسلمون فى سويداء قلوبهم ، وكيف انطلقوا فى الآفاق انطلاق الماء العذب فى الوديان حاملين الهدى للأرواح الحائرة ، والسلام للنفوس المحرومة ، والألفة للقلوب المختلفة ، والتحرير للعقول الأسيرة .. وكيف تقبل الناس هذه العقيدة السمحة فى يسر وسهولة ، ومالوا إلى اعتناق الإسلام ميلا يفوق الميل إلى كل دين سواه ؟!

وكيف أثار إعجابهم وتعجبهم سير الإسلام فى فتوحاته بتلك السرعة التى لم يحدث لها مثيل فى التاريخ الأمر الذى جعل المستشرق : « دى يور » يعزو ذلك إلى أحد أمرين :

إما أن تكون الكرة الأرضية قد صغرت فى عهدهم ، وإما أن تكون الأرض كانت تطوى من تحت أرجلهم[2] وفى الحق أن الكرة الأرضية ماصغرت ، وإن

---

(١) راجع فقه السنة لأخينا الفاضل الشيخ سيد سابق جـ ٦ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

(٢) راجع ملحق المصحف المعلم الذى كتبه الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف والأزهر ، والذى أخرجته دار المصحف « شركة مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد » بالقاهرة عام ١٣٩١ هـ .

الأرض ماطويت ، وإنما هو الرصيد الروحى الضخم من عقيدة الإسلام الطيبة النقية التى غرسها الحق تبارك وتعالى فى نفوسهم ، ثم تجلت آثارها الميمونة فى سلوكهم ، وروح الأخوة التى تجمع المسلمين مهما اختلفت أجناسهم ، وتباينت ألوانهم ، وتعددت لغاتهم ، وبعدت أوطانهم ، على المساواة والحرية ، والكرامة والعمل ، والرحمة والاستشهاد هو الذى حقق ذلك النصر الرائع ، والفتح المبين بهذه السرعة الخارقة ، وبهذه القوة الجارفة فكانت هذه إحدى معجزاته الكبرى ، وانظر كيف اتفقت كلمة خصوم الإسلام ـــ بعد أن بهرتهم مقومات القوى فى الشرق الإسلامى فرأتها خطرا يهدد كيانهم ـــ على أن يجمعوا جموعهم ، ويحشدوا قواهم ليعوقوا الشمس المضيئة عن الإشراق ويوقفوا الزحف المقدس عن الانطلاق حتى لاتذهب دولتهم ، وتطيش أحلامهم وينهار بناؤهم ويكون الدين لله مركزين نشاطهم فى نقطتين أساسيتين :

أولاهما : تلك العقيدة التى استقرت فى قلوبهم . وسرى حبها فى دمائهم ، وانطلقوا فى الدعوة إليها ، وصد العاديات عنها بكل مرتخص وغال .

وثانيتهما : هذه الأخوة التى هى إحدى ثمار العقيدة اليانعة ، والتى تجمع شمل المسلمين ، وتوحد أهدافهم وتحقق لهم النصر على عدو الله وعدوهم .

أهداف قوى الشر المتحالفة ومطامعها

ورغبة فى أن تصل قوى الشر المتحالفة إلى تحقيق مآربها فإنها تعمل متآزرة على إلقاء الشبهات حول مبادىء الإسلام ، والتشكيك فى تعاليمه ،والتزهيد فى آدابه ، والتنفير من حدوده ، وتشويه عقيدته ، ومسخ حضارته ، وتزييف تاريخه ، وتشجيع الخروج عليه ، والصد عن دعوته ، وقطع الطريق على دعاته ، وبث الفرقة بين أبنائه ، وإثارة الخصومات بين أتباعه ، وسلخ الأمة الإسلامية عن ماضيها ، وقطع صلتها بتراثها ، وبعث القوميات القديمة ، وإذكاء العنصرية البغيضة ، والنزعات الإقليمية المفرقة ، وتحقير العلماء ، وتسفيه الحكماء ، واضطهاد المصلحين وإنزال ألوان العذاب بالمجاهدين ، ومصادرة الحريات ، ومناصرة الأقليات ، ومحاربة اللغة العربية بوصفها لغة القرآن الكريم ، واللغة التى حرر بها التراث الإسلامى المجيد .

بجانب تصوير رسول الله ﷺ فى صورة لاتتفق ومكارم أخلاقه ، وسمو منزلته ، والطعن فى سنته والنيل من سيرته .

كما تعمل دائبة على إشاعة التحلل الخلقى ، والفساد الاجتماعى ، والإغراء الجنسى ، والغزو الثقافى ، والفراغ العقائدى ، والبلبلة الفكرية .

وذلك فضلا عن السيطرة على مقدرات الأمة الإسلامية ، ونهب ثرواتها ، وتوجيه سياستها إلى ما يلائم مصالحها ، ويحقق مطامعها .

نشاطها فى تحقيق مآربها

لقوى الشر المتحالفة فى سبيل الوصول إلى تحقيق تلك الأهداف طرق فى الاستهواء جذابة ، وحيل فى الإضلال بارعة ، وأساليب فى الإفساد ماكرة ، وصور فى البر ظاهرها فيه الرحمة ، وباطنها من قبله العذاب .

فمن نشرات وندوات إلى محاضرات ومؤلفات ومن نوادى ومنظمات إلى حلات وبعثات ، ومن ملاجىء ومستشفيات إلى مدارس وجامعات ، ومن إذاعات وتمثيليات إلى صحف ومجلات .

ومن معونات فنية وقروض مالية إلى محاصرات اقتصادية وضغوط سياسية . ومن أحلاف ومعاهدات إلى خذلان فى المؤسسات الدولية ، وازدراء فى المؤتمرات العالمية .

ومن كبت الحريات ، واضطهاد المصلحين إلى تدبير المؤامرات ، ثم نهاية المطاف إذا استدعى الأمر الغزو المسلح ، والاعتداء الأثيم .

ولقد أفصح عن تلك النوايا الخبيثة ، والمطامع الخسيسة ، سادتهم وكبراؤهم فها هو « غلادستون » كبير وزراء بريطانيا فى القرن الماضى يقف فى مجلس العموم البريطانى ، ويصيح فى أعضائه قائلا :

« إن العقبة الكؤود أمام استقرارنا بمستعمراتنا فى بلاد الإسلام شيئان ، ولابد من القضاء عليهما مهما كلفنا الأمر ، أولهما هذا الكتاب « يعنى القرآن الكريم » ثم سكت قليلا ، واتجه نحو الشرق مشيرا بيده اليسرى قائلا : وهذه الكعبة »[1] .

---

(١) نظرات فى القرآن الكريم للشيخ محمد الغزالى ص ٥ .

ويقول القسيس « وليم جيفورد بالكراف : « متى توارى القرآن ، ومدينة مكة ، من بلاد العرب أمكننا أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه » (١) .

ويقول الكردينال « لافيجرى » الذى وضع أساس برنامج التنصير عام ١٨٦٧ م :

« إنه يجب أن نجعل من الأمة الجزائرية مهداً لأمة مسيحية كريمة ، وأن نضيىء أرجاءها بنور مدنية وَحْيُها الإنجيل ، وأن نربط مصير أفريقيا بحياة الشعوب المسيحية ... تلك هى رسالتنا الإلهية » (٢)

ويقول الحاكم العام الفرنسى للجزائر فى الاحتفال بمرور مائة عام على استعمارها :

« إننا لن ننتصر على الجزائر ماداموا يقرءون القرآن ، ويتكلمون العربية ، فيجب أن نزيل القرآن العربى من وجودهم ، ونقتلع اللسان العربى من ألسنتهم » المنار عدد ٩ / ١١ / ١٩٦٢ .

كما أفصح عنها الإمبراطور المعزول « هيلا سلاسى » إمبراطور الحبشة حينما وقف فى الكونجرس الأمريكى سنة ١٩٥٤ يقول بملء فيه :

« إن أهم الأهداف التى نسعى إليها هو توحيد الدين واللغة فى بلادنا ، وبدون ذلك لايمكن أن نحقق شيئا من التقدم » .

ولما سئل عن المسلمين فى بلاده أجاب بقوله : «نعم توجد أقلية مسلمة فى الجنوب اعتنقت الإسلام بتأثير الأجانب من التجار ، وقد وضعنا لها برامج منذ

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام للداعية الشيخ محمد محمود الصواف ص ١٨٠ ، ٢١٤ .

(٢) العدد ٨ من « اخترنا لك » ص ٦٧ .

اثنى عشر عاما فلا يمضى وقت طويل إلا وقد عادت إلى حظيرة آبائها »(١)

هذا وإن ماقامت به إسرائيل من اغتصاب « فلسطين » العربية المسلمة بمؤازرة أعداء الإسلام والعروبة لتكون سرطانا فى العالم العربى ، ومنطلقا ينفذون منه ليحققوا مآربهم . وماقامت به دول العدوان الثلاثى الغادر من الاعتداء على مدن القنال بعد تأميم مصر لقناة السويس ، وتحريرها من التبعية الذليلة ، وتحويل دخلها لأبناء مصر الذين حفروها بأيديهم وشقوها بسواعدهم . وماقام به الشيوعيون فى زنجبار بعد استقلالها من سفك دماء عشرين ألف عربى . وماتقوم به الفيليبين من حرب الإبادة للمسلمين ، وإنزال ألوان القمع بالمستضعفين . و« بلغاريا » من اضطهاد المسلمين ، وحملهم على تغيير أسمائهم إلى أسماء بلغارية ، وحظر تجمعهم فى مكان واحد . وماقامت به وتقوم به « روسيا » من الغزو المسلح لأفغانستان المسلمة على مرأى ومسمع من العالم ، والمنظمات الدولية . وماقامت به « إسرائيل » ربيبة الاستعمار من غزو « لبنان » وإشعالها نيران الفتنة بين أبنائه ، ومارتكبته من الفظائع التى يشيب لها الولدان فى قرية « دير ياسين » وفى مخيمات الفلسطينيين فى « صبرا وشاتيلا » . ومايقع فى الهند من المصادمات بين المسلمين والهندوس ، وفى قبرص من مذابح المسلمين مع الاستعانة بأحدث ما اخترعته المادية الكافرة من سلاح ، والصليبية المقنعة من ذخيرة لهو أثر واضح ، ودليل قاطع على تلك النوايا الآثمة التى بيتت للقضاء على الإسلام كعقيدة ، وعلى المسلمين كأمة تعتنق تلك العقيدة . ﴿ ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾(٢) . ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾(٣)

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام للداعية الشيخ محمد محمود الصواف ص ١٨٠ ، ٢١٤ .

(٢) سورة البقرة / ٢١٧ . (٣) سورة النساء : ٨٩ .

لماذا ركزت قوى الشر المتحالفة على تلك الثلاث :

القرآن الكريم .

وإنما ركزت قوى الشر المتحالفة نشاطها على القرآن المجيد ، لأنه حجة الله القائمة ، ومعجزة رسوله ﷺ الباقية ، ولأنه القوة الدافعة إلى التحرير والعزة ، والمعين الفياض بالعقائد الحقة ، والتشريعات الحكيمة ، والآداب العالية ، والمبادىء السامية ... ولأنه سر بقاء المسلمين وحيويتهم ، والسراج المنير لمسيرتهم ، والبلسم الشافى لأمراضهم ، والعلاج الناجح لمشاكلهم .

به عز المسلمون وسادوا ، وبه أقاموا دولة رحبة الأكناف ، مترامية الأطراف فى أقل من قرن من الزمان ، تهيمن عليها تعاليمه ، وتحكمها شريعته ، وينعم الناس تحت لوائها الخفاق بالتوحيد والوحدة ، والعلم والحكمة ، والعدل والمحبة ، والإخاء والمساواة ، والأمن والوئام ، وكانوا كما قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [1] .

فلا بد أن تعمل **قوى الشر المتحالفة** على محاربة القرآن الكريم الذى هو سر قوتهم ، وموطن عزتهم ، وجامع وحدتهم ، وذلك بإلقاء الشبهات حوله ، والتشكيك فى تعاليمه ، وفى النهاية صرف المسلمين عن هديه وهيمنته على شئون حياتهم ، وقصره على العبادات ، والأحوال الشخصية من زواج وطلاق ...

بعيدا عن المجتمع ، تطبيقا لمبدأ : « فصل الدين عن الدولة » وبذلك يقبل المسلمون على ماشرعوه لهم ، ويقطعون صلتهم بالقرآن الكريم .

---

(١) من الآية (١١٠) — آل عمران .

لماذا يروج الاستعمار لفصل الإسلام عن الحياة ؟

ومن هنا ندرك السر فى تلك الدعوة الخبيثة التى يروج لها الاستعمار بشتى الأساليب دعوى فصل الإسلام عن الحياة باعتباره فى نظره القاصر ، وإدراكه المحدود شريعة روحية محضة ، جاءت لتنظيم العلاقة بين الإنسان وربه ، أما بين الإنسان وأخيه الإنسان ، ومابين الإنسان والمجتمع ، ومابين المجتمع والمجتمع فلا شأن للإسلام بذلك .

تأثر القادة والرؤساء بالفكر الغربى :

ولقد تأثر جميع القادة والرؤساء العرب بهذا الفهم الخاطىء للإسلام إلا من عصمه الله منهم ، ولا أدل على ذلك من أنهم فى جميع تصرفاتهم ينحون الإسلام عن تنظيم المجتمع ، وتدبير شئونه ويقبلون على الأخذ بما شرع لهم ، وماوضعوه لأنفسهم .

تأثر الرئيس السادات :

وكان تأثر الرئيس محمد السادات بهذا الفهم قويا ولاأدل على ذلك من أنه كان يعلن فى شتى المناسبات خصوصا إذا ارتفعت الأصوات بالعودة إلى الإسلام ، بالعودة إلى تعاليمه الهادية ، وتشريعاته الحكيمة ، وحدوده الزاجرة ، بعد أن فشلت القوانين المستوردة فى الإصلاح ، والشرائع الوضعية فى التقويم ، وتتابعت المصائب ، وتلاحقت الأزمات نتيجة البعد عن هدى السماء بأنه : « لاسياسة فى الدين ، ولادين فى السياسة » .

كان يردد شعاره هذا فى الصحافة ، والإذاعة والتليفزيون .

موقف الأزهر الرسمى ومواقف مشرفة لعلمائه .

والعجب كل العجب أن يسمع الأزهر الرسمى هذا الهراء ولايصحح فهمه ، ويقوم خطأه مع أن تاريخه حافل بالشخصيات التى كانت تجهر بالحق فى قوة ، وتسدى النصح فى عزيمة ، وتقاوم الانحراف وإن كانت عاقبته الإقالة من المنصب ، وتوجه النقد وإن كانت نتيجته الاعتقال فى غياهب السجون ، مع إنزال ألوان التعذيب والامتهان .

فالإمام « المراغى » يخطب فى مسجد الرفاعى بالقاهرة أثناء الحرب العالمية الثانية معلنا موقف مصر منها حيث لاناقة لنا فيها ولاجمل فلامصلحة لها فى الاشتراك فى الحرب .

فتقوم قيامة الحكومة حينذاك ، وتهتز بريطانيا اهتزازا عنيفا ، وتطلب إلى الحكومة بيانا بما قاله الإمام المراغى ، وكيف يعلن هذا الموقف فى أحرج الساعات فاتصل رئيس الحكومة بالإمام وخاطبه فى لهجة تفوح منها رائحة التهديد ..

فتثور ثائرته ويقول لرئيس الحكومة :

« مثلك يهدد شيخ الأزهر .. وشيخ الأزهر أقوى بمركزه ، ونفوذه بين المسلمين من رئيس الحكومة ، ولو شئت لرقيت منبر مسجد الحسين ، وأثرت عليك الرأى العام ولو فعلت لوجدت نفسك على الفور بين عامة الشعب »[1]

وهنا ينكمش رئيس الحكومة ويتراجع ، ويظل الإمام المراغى فى موقفه كالطود الأشم ، لايتأثر بتهديد ، ولايقيم وزنا لاستنكار بريطانيا العظمى .

والإمام الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر يأخذ على الملك

---

(١) الإمام المراغى للأستاذ أنور الجندى . ص ١٠٩ .

« فاروق » إسرافه فى غيه ، وتماديه فى فساده ، وتبذيره الفاحش حينما كان يقضى شهر العسل مع عروسه الثانية فى « كابرى » بإيطاليا فيقول قولته المأثورة الشجاعة :

« تقتير هنا وإسراف هناك »

فيثور الملك ، وتغضب الحكومة ، ويتواطآن على إقالة الإمام الوقور من منصبه لماذا لأنه قاوم الفساد ، وجهر بالحق ، وهنا يتلقى الإمام الإقالة بقلب سليم ، ونفس راضية . لأنه أدى الأمانة .

وشيخنا الكبير « محمد الأودن » يأخذ على الثورة انحرافها عن الخط ، وتنكرها للعهد ، وتورطها فى حرب اليمن ، فيزج به فى المعتقل الذى قاسى فيه ماقاسى ولكنه قابل كل هذا بإيمان المخلص لعقيدته ، وثبات الصابر على البلاء .

ومعذرة لهذا الاستطراد فما قصدت من ورائه إلا بيان أن الأزهر فى تاريخه الطويل حافل بالكثير من الشخصيات التى لاتأخذها فى الحق لومة لائم ، وتجهر بالحق فى قوة مهما كانت العاقبة ، فلماذا خرج الأزهر الرسمى عن هذا النهج وآثر الصمت ، وركن إلى العافية إن هذا لعجيب .

الفهم الصحيح للإسلام :

ولو درى الرئيس « محمد أنور السادات » الذى اتخذ « العلم والإيمان » شعارا لحكمه ، أن الإسلام الذى ختم الله به رسالات السماء يربط بين علاقة الإنسان بربه ، وعلاقة الناس بعضهم ببعض ، ويوجه العلاقتين ، ويعنى بالجانب الروحى عنايته بسائر جوانب الحياة ، أو بصره الأزهر بأن الإسلام عقيدة وشريعة ، وعبادة وقيادة ، ودين ودولة ، وسلام وحرب ، ونظام كامل للفرد والمجتمع ، والعلاقات الدولية لما تمادى فى تصريحاته الهوجاء ، ولعاد إلى صوابه ، وربما أقام نظام حكمه

على هدى من كتاب الله الكريم ، وهدى رسوله المبين ، وحينذاك يدخل التاريخ من أوسع أبوابه ، وتسجل له الصفحات الحافلة بأجل الأعمال ، لأنه حقق لأمته الأمل الذى ترجوه ، من الأخذ بتعاليم الإسلام وهيمنته على جميع شئونها ، وأحبط على الاستعمار هدفه من فصل الإسلام عن الحكم ، ولحمد الرأى العام فى مصر والعالم الإسلامى للأزهر قيامه بواجب النصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

ومما لاريب فيه أنه كان متأثرا فى فهمه للإسلام بالفكر الغربى ، الذى يفصل بين مسائل الاعتقاد ، ومسائل الحياة العملية ، ويعمل فى خبث ومهارة على أن يسود هذا الفهم الخاطىء فى المجتمع الإسلامى ، ويسيطر على عقول حكامه ، وبذلك يرتمى فى أحضانه ، يقيم حياته على أنماطه ، ويتأثر بنزعاته ، وينسلخ عن إسلامه .

وهذا هو منتهى مايعمل له الاستعمار ، ويجند فيه كل طاقاته ، ويحشد له كل قواه .

وهذا الفهم الذى قدمناه عن الإسلام هو ماقرره العلماء الراسخون ، وتقبلته الأمة بالقبول وقام عليه إجماع المسلمين ، وللإمام المراغى كلمة نفيسة فى هذا الموضوع تعرض فيها لحيل المبشرين فى الصد عن الإسلام ، وبين حكم الدين فى الذين يدعون إلى فصل الإسلام عن الحياة جعلناها خاتمة الباب الرابع .

التركيز على الكعبة المشرفة :

بعد أن ركزت قوى الشر المتحالفة على القرآن الكريم ، ركزت على الكعبة المشرفة لأنها مظهر وحدة المسلمين الأكبر ، وملتقى وجوههم ، ومهوى أفئدتهم ، وجمع كلمتهم على الوفاء للإسلام ، والثبات على عقيدته ، والتواصى بالحق

والصبر ، لايحول دون ذلك حواجز جغرافية ، ولاتحجبه مواقع سياسية ، ولاتصد عنه تكتلات إقليمية .

كما أنها بجانب ذلك تثير فيهم الذكريات الغالية التى تزودهم بالدروس النافعة ، والتوجيهات الحكيمة التى تدفعهم دفعا قويا للعمل لدينهم ، والعمل لدنياهم .

ويعلق المستشرق الفرنسى « هانوتو » المستشار بوزارة المستعمرات على فريضة الحج باعتبارها مظهرا قويا من مظاهر الترابط التى تربط المسلمين فيقول :

« وخلاصة القول أن جميع المسلمين على سطح المعمورة تجمعهم رابطة واحدة ، بها يديرون أعمالهم ، ويوجهون أفكارهم إلى الوجهة التى يبتغونها .

وهذه الرابطة تشبه السبب المتين الذى تتصل به أشياء تتحرك بحركته ، وتسكن بسكونه ، ومتى اقتربوا من الكعبة ، من البيت الحرام ، من زمزم الذى ينبع منه الماء المقدس ، من الحجر الأسود المحاط باطار من فضة من الركن الذى يقولون عنه إنه سرة العالم ، وحققوا بأنفسهم أمنيتهم العزيزة ، التى استحثتهم على مبارحة بلادهم فى أقصى مدى من العالم ، للفوز بجوار الخالق ، فى بيته الحرام ، اشتعلت جذوة الحمية الدينية فى أفئدتهم فتهافتوا على أداء الصلاة فى صفوفهم ، وتقدمهم الإمام مستفتحا العبادة بقوله : ﴿ بسم الله ﴾ فيعم السكوت والسكون ، وينشران أجنحتهما على عشرات الألوف من المصلين فى تلك الصفوف ، ويملأ الخشوع قلوبهم ، ثم يقولون بصوت واحد : « الله أكبر » ثم تعنو بعد ذكل جباههم قائلين : « الله أكبر » بصوت خاشع يمثل معنى العبادة » .

لهذا ركزت قوى الشر المتحالفة على الكعبة المشرفة بعد أن ركزت على القرآن الكريم لتصرف المسلمين عن هذه المعانى السامية ، وتصدهم عن الكعبة التى تربطهم بعقيدتهم ، وتوثق صلتهم بإسلامهم ، وتدفعهم إلى العمل النافع ،

والإصلاح الشامل لخيرى الدنيا والآخرة .

التركيز على اللغة العربية :

بعد ذلك ركزت قوى الشر المتحالفة على اللغة العربية لأنها اللغة التى أنزل الله بها قرآنه المجيد فهى مفتاح معرفته ، والوقوف على تشريعاته الحكيمة ، ومبادئه العظيمة ، وتعاليمه الجامعة ، وأهدافه السامية ، وقيمه الرفيعة ، وهدايته الشاملة .

ولأن الشعوب الإسلامية مادامت على صلة وثيقة باللغة العربية فإنها ستظل مرتبطة بالإسلام والقرآن .

وستظل متمسكة بفكرة الوحدة الإسلامية الكبرى ، وستظل متمسكة بتراثها العلمى والحضارى الذى كتب باللغة العربية .

ولهذا تعمل قوى الشر المتحالفة جاهدة على محاربة اللغة العربية ، وفى الدعوة إلى العامية فى أسلوب الكتابة ، وفى أحاديث الإذاعة والتليفزيون وفى مقالات الصحف ، وفى الدعوة إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية .

لأن الهدف من وراء ذلك كله هو قطع حياة المسلمين عن ماضيهم الحافل بالمكارم ، وتجميد كنوزهم العلمية التى خلفها سلفهم الأمجاد فى شتى مجالات المعرفة .

والحيلولة بين القرآن وأثره فى الهداية ، وبين القرآن وأثره فى القيادة ، وبين القرآن وهيمنته على جميع شئون الحياة ، بجانب تفتيت الوحدة الإسلامية ، ومسخ الشخصية للأمة المحمدية .

السر فى شن الافتراءات والحملات :

لعلنا بعد ذلك العرض الذى تحدثنا فيه عن أهداف قوى الشر المتحالفة ،

ونشاطها فى تحقيق مآربها ندرك السر فى القول ببشرية القرآن الكريم ، وترجمته أو ترجمة معانيه ترجمة شوهت تعاليمه ، وفى طبعه محرفا أو منقوصا .

ولقد اكتشفت حكومة المغرب العربى آلاف النسخ المزورة من المصحف الشريف ، وفيه عدد من الآيات المحرفة لتلائم أهداف الاستعمار واليهود .

واكتشفت مؤامرة يهودية أخرى فى « شيكاغو » حين نشرت دار « ديفز » اليهودية مأأسمته : « القرآن الصغير » أوجزت فيه القرآن على هواها ، وحذفت منه ماسجله القرآن عن اليهود من ألوان البغى والتمرد ، ومظاهر المكر والفساد .

وتنبهت القاهرة والأزهر هذه المؤامرة الخطيرة ، وسارعت الجمعيات الإسلامية فى المناطق التى وزع فيها القرآن الشريف إلى جمعه وحرقه .

ومن قبل نشر الصحفى الروسى : « شارلوت سايكوسكى » أن الاتحاد السوفيتى قام بطبع المصحف ليوزع على الجهات المختصة خارج روسيا .

ومن يدرى أن هذا المصحف طبع محرفا ، أومليء بالأخطاء المتعمدة ، أو بتفسير يساير المفاهيم الشيوعية وعلى الرغم من عدم اطلاع الكثيرين على هذا المصحف المطبوع فى روسيا فقد حدثنى من أثق فى صدقه ، وسبق له الاطلاع عليه أنه حافل بالأخطاء ....

وطبعا هذه المصاحف لاتوزع إلا على الذين قد تأثروا بالأفكار الماركسية من المسلمين ، أو على غير المسلمين الذين يدرسون الإسلام بقصد تشويه حقائقه ، والصد عن اعتناق دعوته .

كما قامت طائفة القاديانية فى « نيروبى » بطبع المصحف بعد أن حذفت منه مايهدم دعوتها الباطلة ثم ترجمته إلى اللغة السواحلية ، وعملت على نشره فى جميع أرجاء شرق أفريقية .

كما عثرت الحكومة الماليزية أخيرا على نسخه من القرآن الكريم طبعت فى

فلسطين المحتلة ، وتسربت إلى ماليزيا وإن عدد المطبوع من هذه النسخة يبلغ نصف مليون نسخة ، حذفت منها الآيات المتعلقة بعناد ومكابرة « بنى إسرائيل » والتى تصور ألوان بغيهم ، وتمردهم على أنبيائهم ....

كما تقدم فى هذه الأيام اثنان من الهنود إلى محكمة « كلكتا العليا » بمطلب يكشف عن نواياهم الخبيثة ، وحقدهم السافر على القرآن الكريم يقضى بفرض الحظر على القرآن المجيد ، ومنع نشره وتداوله فى الهند .

ولقد أثار هذا المطلب الجائر ، سخط المسلمين واستنكارهم ، وقاموا بمظاهرات عمت أرجاء « بنجلاديش » محتجين على هذا المطلب الجرىء الوقح ، الذى لم يحاوله الاستعمار البغيض طوال مقامه فى الهند ، ولو حاوله لكان له مندوحة ، لأنه يريد أن يباعد بين المسلمين وسر قوتهم ، ولكن ثالثة الأثافى كما يقولون أن يحاوله اثنان من الهنود بعد أن ظفرت الهند باستقلالها ، ونعمت بحريتها ، وصارت إليها أمورها .

ثم تقدم « حزب جماعة الإسلام » بتسليم مذكرة احتجاج إلى مسئول اللجنة المركزية بسحب القضية حفاظا على الحقوق الدينية لمائة مليون مسلم هندى .

وهكذا يُحَارَبُ القرآن الكريم فى شتى العصور ، وعلى مر الأيام ، تارة بالطعن فى نسبته إلى الله سبحانه وتعالى ، والزعم بأن رسول الله ﷺ قد افتراه .

وتارة بالتشكيك فى تعاليمه ، والخروج على آدابه ، وتارة بعدم صلاحيته للحياة ، وقصره على العبادات من صلاة وزكاة ...

وتارة بطبعه محرفا منقوصا إلى غير ذلك من الحملات التى برع فيها خصوم الإسلام والقرآن . ولاغرابة فى ذلك فلقد قال المبشر « تاكلى » :

« يجب أن نستخدم القرآن ، وهو أمضى سلاح فى الإسلام ، ضد الإسلام نفسه ، حتى نقضى عليه تماما ، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح فى القرآن

ليس جديدا ، وأن الجديد فيه ليس صحيحا »[١] .

ومن قبل قال : « غلادستون » :

« مادام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوربة السيطرة على الشرق ، ولأن تكون فى أمان »[٢] .

وندرك السر فى الحملات المسعورة التى يشنها المبشرون والمستشرقون ، ومن تأثر بهم على مولانا محمد ﷺ ، بإلصاق التهم ، والمفتريات الكاذبة ، والتشكيك فى السنة النبوية ، وإثارة الشبهات حول رواتها ومدونيها وذلك للتنفير من سلوكه الأقوم ، والصد عن دعوته الحكيمة ، والقضاء على المصدر الثانى للتشريع بعد جهودهم الشرسة فى محاولة القضاء على المصدر الأول وهو القرآن الكريم .

ولكن رغم مايبذلونه من جهود ، وينفقون من أموال ، ويجندون من أقلام فسيبقى القرآن الكريم كالطود الراسخ ، لا تنال منه حملاتهم ، ولاتوهنه ضرباتهم ، لأن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظه عبر القرون الماضية ، وسيظل حافظا له من كيدهم إلى أن تقوم الساعة قال تبارك وتعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ الآية (٩) من سورة الحجر .

كما ستبقى السنة النبوية ، وهى المذكرة المفسرة للقرآن الحكيم ، موطن ثقة المسلمين ، ومحل تقديرهم ، لايصرفهم عن التعويل عليها ، والأخذ بها ، ماأثاره خصوم الإسلام من مهاجمتها ، والتشكيك فى حجيتها ، وصدق جامعيها ورواتها .

كما ستبقى سيرة رسول الله ﷺ العطرة ، المعين الفياض بكل ألوان الكمال والجمال ، والزاخر بالمعانى الكريمة ، والقيم الفاضلة للإنسانية فى مختلف

(١) التبشير والاستعمار ص ٤٠ « الطبعة الرابعة » .

(٢) الإسلام على مفترق الطرق ص ٣٩ .

انطلاقها ، عصرا بعد عصر ، وجيلا من بعد جيل : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ . الآية (٤) من سورة القلم .

وندرك السبب فى تحقير العلماء ، والزراية بهم فى المجتمعات ، وتلفيق التهم ، وتقديمهم إلى المحاكمات لأنهم الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله .

فإذا مامسخت صورتهم ، وشوهت سمعتهم ، ونسب إليهم مالا يليق بهم تقلص نفوذهم وزالت هيبتهم ، وانفض الناس من حولهم .

كما ندرك السبب فى ذلك الوباء الزاحف من الكتب الحافلة بالمبادىء الهدامة ، والأفكار العفنة ، والمجلات الخليعة التى تثير غرائز الشباب وتشغلهم بالتفكير فى إشباع غرائزهم عن التفكير فى صالح أمتهم ومستقبل حياتهم .

والأفلام السينمائية ، والروايات التليفزيونية التى تعلم الرذيلة ، وتزهد فى الفضيلة ، وتشجع على الخروج على الآداب العامة ، والتقاليد الصالحة .

ثم أشرطة الفيديو ، ومأدراك مأشرطة الفيديو ، إنها الوباء المدمر للدين والفضيلة ، إنها الجامعة التى تغرى بالاعتداء على الأعراض والأنفس والأموال إنه السرطان الذى سرى حتى غزى المدن والقرى ، بل أرصفة الشوارع .

ونعلم السبب فى بعث قوميات ماقبل الإسلام ، والإشادة بمفاخرها والتغنى بمآثرها كالفرعونية فى مصر ، والأشورية فى العراق ، والفينيقية على ساحل لبنان وفلسطين ، والبربرية فى شمال أفريقية ، وترك الاعتزاز بالإسلام الذى رضيه الله للبشرية دينا ، وشرفنا بالانتساب إليه .

وأخيرا وليس آخرا ندرك السر فى قمع الحركات التحريرية التى تهدف إلى بعث المسلمين من رقدتهم وإيقاظهم من غفلتهم ، وتبصيرهم بالأخطار المحيطة بهم ،

وتخليصهم من براثن الاستعمار بألوانه المتعددة ، وأشكاله المتنوعة ، والسير بهم إلى الأمام لينهضوا برسالتهم فى الحياة .

كما ندرك سر القضاء على النهضات الإصلاحية التى تدعو المسلمين فى جميع أنحاء العالم إلى الأخذ بتعاليم الإسلام ، وتحكيمه فى جميع شئونهم ، وصبغ مظاهر حياتهم بصبغته الربانية ليعود إليهم سالف مجدهم ، وتالد عزهم ، وليعيشوا سادة قادة .

ولماذا زج برواد هذه الحركات فى السجون والمعتقلات ، ولماذا ذاقوا من الأذى ، وضروب التعذيب مالم يرو التاريخ له مثيلا حتى فى أسوأ عهوده ، وأحلك أيامه ، وكثير منهم لفظ أنفاسه تحت وطأة التعذيب الرهيب ، ودفن فى مقابر سرية فى الصحراء .

وكثير منهم انتقلت روحه الطاهرة إلى ربها راضية مرضية بالإعدام شنقا ، أو رميا بالرصاص بعد تلفيق التهم والمحاكمات .

وكثير منهم رجالا و نساء شبابا وشيبا حكم عليه بالسجن المؤبد ، وغير المؤبد مع الأشغال الشاقة [1] .

ويحدثنا الدكتور إبراهيم عبده عن نشاط المخابرات المصرية فى تعذيب المعتقلين ، وامتهان إنسانيتهم فيقول :

« لقد كانت وظيفة المخابرات العامة فى ذلك العهد الأسود تعذيب المواطنين ، وإهدار كرامتهم باغتصاب بنات وزوجات بعض المعتقلين أمام آبائهن وأزواجهن ... وتعليق بعضهم الآخر عرايا من أرجلهم ، وضربهم بالسياط ، وإطفاء السجائر فى أجسامهم ، وتسليط التيار الكهربائى على مواضع حساسة من هذه الأجسام » .

(١) راجع رابطة العالم الإسلامى . ندوة محاضرات موسم حج ١٣٨٦ هـ ص ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ .

ثم قال :

« لقد تجاوز التعذيب كل ماعرفه التاريخ من ألوان التعذيب منذ عهد اليونان والرومان ، ومحاكم التفتيش ، وسجن الباستيل ، وأنا لا أختلق على جهاز المخابرات هذه الجرائم فقد نقلتها عن حيثيات أحكام القضاء ، وهى حيثيات نشرتها الصحف ، وسجلتها الكتب فى أكثر من قضية ، وخاصة قضية « كمشيش » الذى وصل فيها هذا الجهاز إلى قمة الخسة والدناءة فدرب الكلاب على مواطأة الرجال ...

ثم ختم حديثه بقوله :

« لقد كانت المخابرات مدرسة أساتذتها من الطغاة الذين انتحرت على أيديهم القيم الرفيعة وأهدرت فيها تعاليم السماء ، التى نصت عليها كل الأديان » [1] .

كما يحدثنا عن دور المخابرات المصرية فى تلفيق التهم ، وتدبير المؤامرات ، والزج بالأبرياء فى غياهب السجون مع ضروب التعذيب والامتهان الصحفى الكبير الأستاذ مصطفى أمين فى رسالة بعث بها من سجن الاستئناف بالقاهرة إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » يقول فيها :

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر :

لم أفتح فمى ، ولن أفتحه أبداً حتى لو وقفت على حبل المشنقة ، إننى مؤمن بأنه إذا عرف الرأى العام العالمى جرائم التعذيب والتلفيق التى تعرضت لها على يد جهاز المخابرات سوف تسيء إلى صورة بلادى ، وتخدم أعداءها .

هذه الصورة العظيمة التى بذلت شبابى ودمى وأعصابى وحياتى من أجل أن تبدو أمام العالم فى صورة الأمة المتحضرة المجيدة ، فلا أريد أن يكون الذى كان فى

(١) راجع صحيفة الوفد العدد (٥٠) الصادر فى صباح الخميس الأول من جمادى الآخرة سنة ١٤٠٥ هـ الموافق الحادى والعشرين من فبراير سنة ١٩٨٥ .

يد بلادى خنجراً يغمد فى ظهرها .

ولكن لا أكتب إليكم دفاعا عن نفسى ، وإنما أكتب إليكم دفاعا عن بلادى . فقد تبينت فى الشهور التى أمضيتها فى المخابرات أن جهاز المخابرات لا يخدم هذا البلد ، ولا يخدم هذا الحكم ، وإنما هو عصابة تضلُّكم ، وتكذب عليكم ، وتخدعكم وتزيف الحقائق .[1]

كما تعرض لتلك المحن الأستاذ أنور زعلوك فى كتابه « حبيبي ١٥ مايو » ، والأستاذ جابر رزق فى كتابه « المؤامرة على الإسلام مستمرة » والأستاذ أحمد رائف فى كتابه : « البوابة السوداء » الذى يعتبر كما يقول الأستاذ الصحفى الكبير أحمد بهجت « وثيقة تدين عصرا بأكمله ، وتدين جيلا سكت على ما يجرى من ظلم واعتبر حدوده الآمنة هى جلده »[2] والأستاذ حسن عبد المنعم من وكلاء الوزارة فى كتابه « ليلة زفاف بنت الرئيس » الذى ستسمع فيه أنين المعذبين وصراخ المظلومين واستغاثة الأبرياء وصوت سياط الجلادين وهى تلهب الظهور .

ويجرنا الحديث عن دور المخابرات المصرية إلى الحوار الذى جرى بين الداعية الشهيد الأستاذ عبد القادر عودة والرئيس « جمال عبد الناصر » حينما نصحه عام ١٩٥٤ بضرورة إلغاء قرار حل جماعة الإخوان المسلمين مخافة أن يتهور شاب منهم فى حالة غيظ واندفاع فيقوم بعمل من أعمال الاعتداء وبعيدا عن مشاورة قادة الحركة فقال الرئيس عبد الناصر : كم عدد الإخوان ... مليونان .. ثلاثة ملايين .. إننى مستغن عن ثلث الأمة ، ومستعد للتضحية بسبعة ملايين إذا كان الإخوان سبعة ملايين .

وهنا غلب الذهول الداعية الشهيد عبد القادر عودة وقال فى ثورة : « سبعة

(١) جريدة المساء الصادرة فى يوم الجمعة ٢٠ من رجب ١٤٠٧ هـ ٢٠ من مارس ١٩٨٧ م .

(٢) جريدة الأهرام فى يوم السبت ٧ من جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ ــ ١٨ من يناير ١٩٨٦ م

ملايين ثمنا لحياة فرد .. ما أغناك عن هذا ياجمال » .

فأسرها فى نفسه ، ولما رفع إليه الحكم بإعدام الداعية الشهيد فى الاتهام الجائر بمحاولة اغتيال عبد الناصر ما وسعه إلا الموافقة عليه فأعدم شنقاً ولما تقدم إلى منصة الإعدام قال :

« ماذا يهمنى أين أموت ... أكان ذلك على فراشى أو فى ساحة القتال ... أسيرا أو حرا .. إننى ذاهب إلى لقاء الله ».

ثم توجه إلى الحاضرين وقال لهم :

أشكر الله الذى منحنى الشهادة ... إن دمى سيتفجر على الثورة ، وسيكون لعنة عليها .»[1]

لم كل هذا ؟

لئلا تقوم للإسلام قائمة ، لئلا تقوم للإسلام دولة تهدى الضال ، وترشد الحائر ، وتصحح المسار ، وتقود الإنسانية إلى أشرف الغايات ، وأحمد المقاصد ، ولئلا ترتفع الرءوس فى مقاومة الاستبداد ، ومكافحة الطغيان ، ومقاومة الدكتاتورية الفاجرة ، وليظل المسلمون فى تخلف وهوان ، ويستقل الاستعمار بالأمر والنهى والنهب والسلب ، وينعم منفذو سياسته بمظاهر الحكم ، وأبهة الملك ، وجبروت السلطان ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .[2]..

---

(١) الموسوعة الحركية لمؤسسة البحوث والمشاريع الإسلامية بإشراف الأستاذ فتحى يكن صحيفة (١٦٧) .

(٢) الآية ٢١ من سورة يوسف .

الباب الثانى

الاستشـــــراق

الباب الثانى

الاستشــــراق

الاستشراق والتبشير توأمان تجمعهما وحدة الهدف . الفـرق بين التـبشير والاستشراق . تاريخ الاستشراق وأسبابه ومجال نشاطه . الفلك الذى تدور فيه كتابات المستشرقين . مثال من حملتهم الفاجرة على الإسلام ورسوله . هل هذا درس الإسلام ؟. المستشرقون كما يصورهم العلماء والمفكرون . تأثر بعض المفكرين المعاصرين بأفكار المستشرقين . نحن لا ننكر دور المستشرقين فى الدراسات الإسلامية ولكننا نرتاب فى نواياهم . نشاط الاستشراق فى العصر الحديث . أبرز نشاط المستشرقين وأخطرهم . الشيخ الكوثرى يحدثنا عن « جولد زيهر » . دور اللورد « كرومر » فى تغريب الفكر الإسلامى . دور اللورد « كرومر » فى محاربة اللغة العربية . دور القسيس « دانلوب » فى وزارة المعارف المصرية . رواسب سيئة تنطلق بين الوقت والوقت . جمعية المستشرقين الروس نشأتها ، أهدافها ، وسائلها . لماذا وجهت روسيا اهتمامها إلى العرب والمسلمين ؟ كتابات المستشرقين عن الإسلام . المكتبات المتعاونة مع جمعية الاستشراق . من أقوال المستشرقين الروس وقادتهم . واجبنا وقد وضحت النوايا وصدقتها الأعمال .

الاستشراق والتبشير تجمعهما وحدة الهدف

الاستشراق والتبشير يسيران جنبا إلى جنب ، ويعملان لهدف واحد ، وغاية مشتركة وهى : توهين القيم الإسلامية ، وتفتيت وحدة المسلمين ، والسيطرة على مقدراتهم وثرواتهم ، ثم صرفهم فى نهاية المطاف عن إسلامهم ، وحملهم على الارتماء فى أحضانهم ، والسير فى ركبهم ، ولهذا يوليهما الاستعمار كبير عنايته ، وبالغ تأييده ، باعتبارهما الجسر الذى يعبر عليه لتنفيذ مخططاته ، وتحقيق أهدافه فى العالم الإسلامى والعربى .

يقول اللورد « بلفور » وزير خارجية بريطانيا ، وصاحب الوعد المشئوم بجعل « فلسطين » العربية المسلمة وطنا قوميا لليهود ، ورئيس شرف إحدى الجمعيات التبشيرية : « إن المبشرين هم ساعد جميع الحكومات المستعمرة ، وعضدها فى كثير من الأمور المهمة ، ولولاهم لتعذر على تلك الحكومات أن تذلل كثيرا من العقبات ، ولذلك فإنا فى حاجة إلى لجنة دائمة تعمل لما فيه صالح المبشرين » (١)

ويقول أستاذنا الدكتور محمد البهى :

« إن التبشير والاستشراق كلاهما دعامة الاستعمار فى مصر والشرق الإسلامى ، فكلاهما دعوة إلى توهين القيم الإسلامية ، والغض من اللغة العربية وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب العربية ، وكذا بين الشعوب الإسلامية ، والتنديد بحال الشعوب الإسلامية المعاصرة ، والازدراء بها فى المجالات الدولية العالمية » (٢)

ويحدثنا الأستاذ كامل الشريف وزير الأوقاف الأردنى السابق عن الدور الخطير

(١) المجلد (٢٧) ص (٦٠٧) مجلة الأزهر .

(٢) « الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى » ص ٥٠٧ .

الذى يقوم به كل من الاستشراق والتبشير فيقول :

« إن أى دراسة واعية لطبيعة الهجمة التى عصفت بالشرق الإسلامى فى القرون الأخيرة ، ولعب فيها التبشير والاستشراق أدوارا لاتقل خطرا عن دور السياسى والجندى . تلك الدراسة تقود حتما للقناعة بأن إضعاف العقيدة ، وتشتيت الفكر ، وتشويه الثقافة كانت هى الميادين التى اتجه إليها الهجوم ، وفيها تحدد مصير المعركة . ومن هذه المواقع المستباحة خرجت سموم كثيرة بعضها يحمل شعارات قومية مدخولة هدفها :

ضرب الإسلام ، وإضعاف شوكته ، وبعضها يدمر الثقافة والحضارة باسم العلمانية ، أما الهدف الحقيقى فهو تمزيق الفرد المسلم ، والجماعة المسلمة ، وإبعاد الأمة عن الأصل الأول ، والفكرة الموحدة التى يرتكز عليها الكيان الواحد » (١)

على أنه إذا كان هناك فرق بين التبشير والاستشراق فإنما هو فى أسلوب العمل فقط لتحقيق الهدف المشترك بينهما .

فالاستشراق أخذ صورة البحث العلمى ، وادعى لنفسه الطابع العلمى الأكاديمى بينما بقيت دعوة التبشير فى حدود مظاهر العقلية العامة الشعبية .

ولقد استخدم الاستشراق الكتاب والمقال فى المجالات العلمية ، وكرسى التدريس فى الجامعات ، والمناقشة فى المؤتمرات العلمية ، والعضوية فى المجامع العلمية واللغوية ، بينما سلك التبشير طريق التعليم المدرسى فى دور الحضانة ، والمراحل الابتدائية والثانوية .

كما سلك سبيل العمل الخيرى ، فى المستشفيات والمستوصفات ، ودور الضيافة والملاجىء ، ودور اليتامى واللقطاء والتمريض .

(١) جريدة (المسلمون) العدد (٣) الصادر فى ٤ من جمادى الآخرة (١٤٠٥ هـ ٢٣ فبراير ١٩٨٥ م) السنة (١) .

الاستشراق

تاريخه وأسبابه ومجال نشاطه

يرجع تاريخ الاستشراق فى بعض البلدان الأوروبية إلى القرن الثالث عشر الميلادى ، وقام الاستشراق أولا لغرض دينى حيث تركت الحروب الصليبية فى نفوس الأوروبيين من الآثار المرة العميقة ماتركت ، فباءت حملاتهم الظالمة بالفشل الذريع ، ووقع قادتهم أسرى فى أيدى المسلمين ، وعلى رأسهم « لويس التاسع » الذى أسر وسجن فى دار ابن لقمان بالمنصورة ، وظل فى أسره حتى دفع الفرنسيون فديته أذلة وهم صاغرون .

واندحرت جيوشهم فأخذوا يهيمون على وجوههم وهم يلعقون أصابع الندم بعد أن تبين لهم أن سر قوة المسلمين هو الإسلام .

وأنهم لن يستطيعوا الوصول إلى مآربهم إلا بعد أن يجردوا المسلمين من مصدر قوتهم .

ثم جاءت حركة الإصلاح الدينى فشعر المسيحيون أنهم فى أمس الحاجة إلى إعادة النظر فى كتبهم الدينية ، ومحاولة تفهمها على أساس التطورات التى تمخضت عنها حركة الإصلاح ، فاتجهوا إلى الدراسات العبرانية ثم العربية ثم الإسلامية ، وبمرور الوقت اتسع نطاق البحث فشمل الأديان واللغات والثقافات غير الإسلامية والعربية .

كما كان للاستشراق أسباب تجارية ، وأخرى سياسية دبلوماسية ، ويلاحظ أن ليهود الذين قاموا بالاستشراق كان لأسباب دينيه وهى : إضعاف الإسلام ، والتشكيك فى قيمه ، ونسج المفتريات حول تعاليمه .

ولقد تركزت أهداف الاستشراق مع تنوعها على خلق التخاذل الروحى ،

وإيجاد الشعور بالنقص فى نفوس المسلمين ، وحملهم من هذا الطريق على الخضوع للتوجيهات الغربية ولهذا نرى الاستعمار يولى الاستشراق كبير اهتمامه فمكن للمستشرقين بكل ماأوتى من قوة ، واعتمد عليهم فى بسط نفوذه فى الشرق والعالم الإسلامى .

وتدور كتابات المستشرقين حول القول ببشرية القرآن الكريم : أى أنه ليس من عند الله سبحانه وتعالى وإنما هو من تأليف رسول الله محمد ﷺ جمعه من ثقافات متعددة يونانية ورومانية وهندية وفارسية .

وكالقول بأن الحديث النبوى من عمل الصحابة والتابعين ، وأئمة المذاهب الأربعة ، حيث أعد كل منهم الأحاديث المؤيدة لمذهبه الفقهى ، ونسبها إلى رسول الله ﷺ .

وكالقول بأن « عيسى » عليه السلام لم يخطىء قط بينما ارتكب محمد ﷺ فى زعمهم عددا من الأخطاء التى عاتبه عليها ربه فى القرآن .

وهذا القول منهم يسجل تناقضهم مع أنفسهم فكيف زعموا أن القرآن كلام محمد ﷺ فلو كان كما زعموا لما أثبت معاتبة نفسه على ماتوهموه من أخطاء صدرت منه .

وكالقول بأن الإسلام يميل إلى الاعتداء ، وسفك الدماء ، ويحرض المسلمين على الغلظة ، والشدة على مخالفيهم فى الدين ، وأنه يدعو إلى الحيوانية ، والانهماك فى الملذات الهابطة ، والشهوات العارمة ، واستنكارهم تعدد الزوجات الذى كان شائعا دون قيود تنظمه فجاء الإسلام وهذبه (كما وكيفا) وحملتهم الشعواء على رسول الله ﷺ حيث تعددت زوجاته الطاهرات . وقد فندنا مفترياتهم الباطلة ، ومزاعمهم الكاذبة فى كتابنا : « نقض مطاعن المستشرقين حول تعدد زوجات صفوة المرسلين » ﷺ .

وكإثاراتهم الحملة الجائرة على اللغة العربية ، ودعوتهم إلى استعمال اللهجات العامية ، وكتابة العربية بالحروف اللاتينية ، وترويجهم لعقيدة « الجبر » بين الشباب المسلم الذى يدرس فى جامعاتهم ليصرفوهم عن الجادة ، ويحببوا إليهم الكفر والفسوق والعصيان ، بدعوى أنهم مجبورون على اقتراف مافعلوا ، لأن كل شىء مقدر فى الأزل ، وماقدر لابد من وقوعه ، واستدلالهم على فهمهم الخاطىء بآيات من القرآن الكريم لم يفقهوا معناها ، ولم يدركوا القصد منها ، وزعمهم أن التشريع الإسلامى مقتبس من القانون الرومانى ، وأن التراث الفكرى والعلمى الذى خلفه علماؤنا إنما هو مزيج من الثقافات اليونانية والهندية والفارسية إلى غير ذلك من الأكاذيب والأباطيل التى تصدى لبيان زيفها ، والرد عليها العلماء الأجلاء .

وإليك ما كتبه المستشرق الفرنسى « كيمون » فى كتابه « باثولوجيا الإسلام » كمثال لما يكتبه هؤلاء الحقدة عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ : « إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس ، وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هو مرض مريع ، وشلل عام ، وجنون ذهولى ، يبعث الإنسان على الخمول والكسل ، ولايوقظه من الخمول والكسل إلا ليدفعه إلى سفك الدماء ، والإدمان على معاقرة الخمور ، وارتكاب جميع القبائح !!

وماقبر محمد « ﷺ » إلا عمود كهربائى يبعث الجنون فى رءوس المسلمين ، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة ، والذهول الذهنى ، وتكرار لفظة « الله » إلى مالانهاية ، والتعود على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة ، ككراهة لحم الخنزير ، والنبيذ ، والموسيقى ، وترتيب مايستنبط من أفكار القسوة والفجور فى اللذات .

ثم يتابع هذا المستشرق الموتور حملته فيقول :

« أعتقد أن من الواجب إبادة خمس المسلمين ، والحكم على الباقين بالأشغال

الشاقة ، وتدمير الكعبة ، ووضع قبر محمد « ﷺ » وجثته فى متحف للوفر »(١) .

فهل مثل هذا المستشرق درس الإسلام وفقه تعاليمه ، لاشك أنه برع فى دراسة تزوير الحق واختراع الأباطيل ، ليرضى نفسه المملوءة حقدا على الإسلام وتنكرا لتعاليمه ، وسخطا على رسول الله ﷺ ، وكراهية للمسلمين . ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر ﴾ .

ولقد قال فيهم الأستاذ أحمد فارس الشدياق :

« إن هؤلاء المستشرقين لم يأخذوا العلم عن شيوخه ، وإنما تطفلوا عليه تطفلا ، وتوثبوا عليه توثبا ، ومن تخرج فيه بشىء فإنما تخرج على القسس ، ثم أدخل رأسه فى أضغاث أحلام ، أو أدخل أضغاث أحلام فى رأسه ، وتوهم أنه يعرف شيئا وهو يجهله .. وكل منهم إذا درس فى إحدى لغات الشرق ، أو ترجم شيئا منها تراه يخبط فيها خبط عشواء ، فما اشتبه عليه منها رفعه من عنده بما شاء ، وماكان بين الشبهة واليقين حدس فيه وخمن ، فرجح منه المرجوح ، وفضل المفضول »(٢) .

ولقد صور ماتنطوى عليه نفوس المستشرقين من الحقد على الإسلام ، والتعصب للأهواء المستشرق النمساوى محمد أسد فقال :

« إن كره الأوروبيين نحو الإسلام كره عميق الجذور ، يقوم فى الأكثر على التعصب الشديد .

وهذا الكره ليس عقليا فحسب ، ولكنه يصطبغ بصبغة عاطفية شديدة وقوية وعنيفة ، وقد لاتتقبل أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية ، أو الهندوكية مثلا ، ولكنها تحتفظ دائما فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلى متزن ورصين وحكيم ، ومبنى على التفكير ، وخلق الأعذار لأصحاب هذه المذاهب الوثنية ، إلا أنهم حين

(١) الاتجاهات الوطنية ح — ١ ص ٣٢١ . الفكر الإسلامى الحديث ص ٥٣ .
(٢) دفاع عن العقيدة والشريعة ص ٨ .

يتجهون إلى الإسلام يختل عندهم التوازن ، ويأخذهم الميل العاطفى حتى إن أبرز المستشرقين جعلوا أنفسهم فريسة التحزب غير العلمى فى كتاباتهم عن الإسلام .

ويظهر فى جميع بحوثهم على الأكثر كما لو أن الإسلام لايمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث فى البحث العلمى ، بل على أنه متهم يقف أمام قضاته » المخططات الاستعمارية ص ٩٢ .

ويقول : « إن أعداء الإسلام فى الخارج ، يرون أن فى اتحاد المسلمين قرب هلاكهم ، واضمحلال حضارتهم ، فينشرون فى طول العالم وعرضه أفكاراً سيئة مشوهة عن الإسلام والمسلمين ، وأنهم أناس طواقون للحروب والتدمير ، كما يشوهون حضارة الإسلام وتراثه بكل أنواع الوسائل التى لديهم » رابطة العالم الإسلامى — ندوة محاضرات عام ١٣٨٨ — ص ١٦٣

ويصور لنا الأخ الداعية الشيخ محمد الغزالى حقيقة الاستشراق ، والدور الذى يقوم به فيقول : « إن الاستشراق كهانة جديدة ، تلبس مسوح العلم والرهبانية فى البحث ، وهى أبعد ماتكون عن بيئة العلم والتجرد .

وجمهرة المستشرقين مستأجرون لإهانة الإسلام وتشويه محاسنه ، والافتراء عليه »[١]

كما حدثنا عن ذلك الحقد الكامن فى نفوسهم ، والعصبية الحمقاء التى تسيطر عليهم الفيلسوف الإنجليزى « برناردشو » فى عبارة واضحة جلية فيقول :

« إن قساوسة القرون الوسطى ، إما لجهلهم المطبق ، وإما لتعصبهم الأحمق ، قد رسموا الإسلام بألوان سوداء مظلمة ، وكانوا فى الحقيقة قد تطبعوا على كره محمد ، ومقت دينه الحنيف ، لأن محمدا كان يظهر لهم أنه ضد المسيحية .

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ص ٨ .

أما أنا فقد درست الدين الإسلامى ، وشخصية محمد تلك الشخصية العظيمة اللامعة فوجدت محمدا بعيدا عما يلحقونه به من التهم ، ويجب أن يسمى فى الحقيقة : « مخلص الإنسانية ومنقذها » .

ويقول « جون وبستر » الإنجليزى الذى اهتدى إلى الإسلام فاضحا مادأب عليه الغرب المسيحى من مهاجمة الإسلام ، وتشويه صورته ، وتجريح رسول الله ﷺ : « يظهر أن الغرب المسيحى قد تآمر منذ الحروب الصليبية على التزام الصمت تجاه محاسن الإسلام ، وحاول تشويه مبادئه بطريقة متعمدة كلما تحدث عنها »

ويقول « السير عبد الله أرشبا لدهاملتون » الإنجليزى الذى اعتنق الإسلام بعد الدراسة الواعية ، والمقارنة بينه وبين غيره من الأديان فظهر له أنه الدين الحق . يقول أيضا كاشفا عن نوايا الغرب الصليبى نحو الإسلام : « لايوجد دين أسيىء فهمه ، وكثر الهجوم عليه من الجهلة والمتعصبين مثلما أسيىء فهم الإسلام وهوجم »

وبعد فهذا قليل من كثير مما امتلأت به قلوب الحقدة على الإسلام من المستشرقين وأذنابهم ، وهذا هو أسلوبهم فى تناول الإسلام ، وفى الحديث عن رسول الله ﷺ ولعل ذلك يزيل الغشاوة عن أعين المؤمنين بهم والمعجبين بدراستهم ، ولعلهم يتدبرون ماقاله الفيلسوف المشهور « توماس كارليل » فى كتابه الأبطال حين يقول عن الإسلام : « لقد أصبح من أكبر عار على أى فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى مايظن من أن دين الإسلام كذب ، وأن محمدا خداع مزور ، وآن لنا أن نحارب مايشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة » وحين ينوه بكمال رسول الله ﷺ : « ماكان محمد أخا شهوات رغم مااتهم به ظلما وعدوانا ، وأشد مانجور ونخطىء إذا حسبناه رجلا شهوانيا ،لاهم

له إلا قضاء ماربه من الملاذ . كلا فما أبعد ماكان بينه وبين الملاذ أياكانت »

﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾

الآية ٣٧ — ق .



تأثر بعض المفكرين المعاصرين بأفكار المستشرقين

ومما يؤسف له أن كثيرا من المفكرين المعاصرين قاموا بنشر هذه الشبهات ، وتلك الأباطيل ، التى بثها خصوم الإسلام مدفوعين بالحقد الدفين على الإسلام والمسلمين ، نشروها مصدقين لها ، داعين إليها ، وذلك نتيجة تأثرهم بالثقافات الغربية ، وإعجابهم بكل مايقوله أساتذتهم الغربيون ، ورغبتهم فى الشهرة ، وإذاعة أسمائهم فى عداد الأحرار الباحثين ، والعلماء المبرزين بل منهم من دعى علانية عن طريق الإذاعة والكتابة والتأليف إلى الارتماء فى أحضان الثقافة الغربية دون تمييز بين غثها وثمينها ، وضارها ونافعها ، وفاسدها وصالحها ، وأن نضحى بكياننا المعنوى ، وشخصيتنا الإسلامية لنذوب فى كيانهم ، ونَدين بالولاء لهم .

قال مؤلف : « مستقبل الثقافة فى مصر » وعميد الأدب العربى فى الشرق الدكتور طه حسين فى الصحيفة (٤١) من كتابه طبعة سنة ١٩٤٤ م:

إن السبيــل إلى ذلك واحــدة فذة ليس لها تعــدد ، وهــى أن نسير سيرة الأوروبيين ، ونسلك طريقهم ، لنكون لهم أنــدادا ، أو لنكــون لهم شركاء فى الحضارة : خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، ومايحب منها ومايكره ، ومايحمد منها ومايعاب ، ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع » بل وصل به الولاء لمن تتلمذ على أيديهم ، وارتوى من آسن معينهم أن يقول فى صراحة تامة إن مصر « حفظها الله » لم تكن قط جزءا من الشرق ، وإنما كانت دائما جزءا من حوض البحر المتوسط أى الذى تقع عليه فرنسا ! وأن روابطها الفكرية والروحية والثقافية كانت دائما مع أمم البحر الأبيض ، وليست مع الشرق (أى ليست مع الإسلام الذى جاء من قلب الجزيرة العربية ، ولم يجىء من شواطىء البحر الأبيض »[1]

(١) هل نحن مسلمون للداعية محمد قطب ص ١٣٢ .

وليس هذا بمستغرب من الدكتور طه حسين صاحب كتاب : « فى الشعر الجاهلى » الذى أحدث ضجة كبرى فى الأوساط الدينية والعلمية والسياسية ، وأثار سخط الرأى العام لا فى مصر وحدها بل فى جميع أرجاء العالم الإسلامى ، لما حواه من الدعاوى الجريئة ، الأفكار الخاطئة ، التى تأثر فيها بنزغات المبشر المسيحى : « صمويل زويمر » والمستشرق الإنجليزى : « مرجليوت »[1] وزعم أنه أخذ فى كتابه ، بمناهج البحث العلمى الصحيح ، واهتدى إلى خلاف ما يعرف الناس من أساسيات الدين واللغة والتاريخ : **فكذب القرآن الكريم فى أخباره عن إبراهيم وإسماعيل ، وزعم أن القراءات السبع المجمع عليها ليست منزلة من عند الله سبحانه وتعالى ، وأن العرب قرأتها كما استطاعت ، لا كما أوحى الله بها إلى نبيه عليه الصلاة والسلام ، ونفى إسناد نسب محمد ﷺ إلى أشراف قريش ، وأنكر أن للإسلام أولية فى بلاد العرب ، وأنه دين إبراهيم عليه السلام[2] وذلك بجانب إنكاره للشعر الجاهلى ، وزعمه أنه مدسوس فهو لهذا لا يمثل الحياة الدينية والعقلية للعرب الجاهليين .**

ولسنا هنا بصدد تفنيد مزاعمه ، ولا بمناقشة أفكاره بعد أن توفر على ذلك علماء أجلاء وكتاب فضلاء عرفوا بأصالة الفكر ، وعمق البحث ، ونزاهة القلم ، نذكر منهم السيد / محمد الخضر حسين فى كتابه : « نقض كتاب فى الشعر الجاهلى » والسيد / مصطفى صادق الرافعى فى كتابه : تحت راية القرآن — المعركة بين القديم والحديث ، والأستاذ محمد أحمد الغمراوى فى كتابه : النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى » .

---

(١) راجع « أكذوبتان فى تاريخ الأدب الحديث » (أحمد لطفى السيد — طه حسين) للأستاذ أنور الجندى ص ٢١ .

(٢) راجع صحيفة ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٧٢ ، ٨١ من « فى الشعر الجاهلى » .

وبعد أن قالت فيه اللجنة العلمية التى ألفها الأزهر الشريف من كبار علمائه لبحث مفترياته ، وإزهاق باطله ، وتقديم تقرير عنه :

« والكتاب كله مملوء بروح الإلحاد والزندقة ، وفيه مغامز عديدة ضد الدين مبثوثة فيه ، لا يجوز بحال أن تلقى إلى تلامذة[1] لم يكن عندهم من المعلومات الدينية ما يتقون به هذا التضليل المفسد لعقائدهم ، والموجب للخلف والشقاق فى الأمة ، وإثارة فتنة عنيفة دينية ضد دين الدولة ودين الأمة » .

« والكتاب وضع فى ظاهره لإنكار الشعر الجاهلى ، ولكن المتأمل قليلا يجده دعامة من دعائم الكفر ، ومعولا لهدم الأديان ، وكأنه ما وضع إلا ليأتى عليها من أصولها ، وبخاصة الدين الإسلامى » .

وبعد أن ختمت تقريرها بمطالبة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر والحكومة **بوضع حد لهذه الفوضى الإلحادية خصوصا التى تنبث فى التعليم لهدم الدين بمعول الزنادقة حرصا على أبناء الدولة أن يتفشى هذا الداء فيهم ، وهم رجال المستقبل ، وسيكون بيدهم الحل والعقد فى مهام الأمور .**

لكننا بصدد أن نقرر أن الدكتور طه حسين :

أحد الذين تأثروا بأفكار المبشرين والمستشرقين لدرجة أنستهم أنفسهم وإسلامهم ، وتاريخهم وحضارتهم .

وأحد الذين اندفعوا فى قوة إلى الدعوة إلى الانتماء فى أحضان الغرب المسيحى ، والانسلاخ عن الشرق الإسلامى ، والعمل على تغيير وجه مصر المسلمة لتصير كأوربا فى كل شئونها .

---

(١) كان الدكتور طه حسين حينذاك مدرسا للأدب العربى بالجامعة المصرية .

ونقول له : شكرا يا أبا « كلود »[1] وشكرا لك ياصاحب « الخطوة الثانية »[2] وشكرا لك يا مؤلف « فى الشعر الجاهلى » و « مستقبل الثقافة فى مصر » و « فى الصيف »[3].

وهنيئا لك تقدير فرنسا صاحبة النشاط الجبار فى التبشير فى عالمنا الإسلامى لنشاطك ، وإنعامها عليك بأرفع أوسمتها .

وجزاك الله بقدر ما تحمل لأساتذتك الغربيين من مبشرين ومستشرقين من صادق الحب ، وخالص الوفاء ، وبقدر ما تحملت فى نشر أفكارهم ، وترويج أباطيلهم من جهد وعناء .

وإلى اللقاء ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ﴾[4]

---

(١) كلود : هو الاسم الفرنسى الذى سمى به الدكتور طه ولده . راجع ما كتبه الدكتور زكريا البرى تحت عنوان : (طه حسين وابنه « كلود » بالجزء الرابع من المجلد السابع والعشرين صحيفة ٥١٨ من مجلة الأزهر .

(٢) الخطوة الثانية : كتب الدكتور طه فى عدد الجمهورية الصادر فى ٢٧ — ١١ — ١٩٥٥ م مقالا بعنوان : « الخطوة الثانية وإن غضب الغاضبون » يدعو فيه إلى إدماج المعاهد الأزهرية فى وزارة التربية والتعليم مبتغيا بذلك توحيد التعليم على زعمه معتبرا أنها الخطوة الثانية بعد الأولى وهى : إدماج القضاء الشرعى فى القضاء الوطنى وبذلك تتحقق أمنيته التى طالما دعى إليها وهى القضاء على الأزهر بعد أن تحققت أمنية الاستعمار فى القضاء على المحاكم الشرعية فى مستهل عهد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

(٣) فى الصيف : كتاب أخرجه فى عام ١٩٣٣ م حمل فيه على الأزهريين كعادته منذ رسوبه فى امتحان العالمية ، واتهمهم بالجهل والعجز عن إدراك الجمال الفنى فى القرآن لأنه يتوقف على من درس كنه الأدب وأتقن اللغة وفقه أسرارها وحقائقها ، والأزهريون ليسوا على شىء من ذلك .

(٤) الآية (٣٠) من سورة آل عمران .

الشيخ على عبد الرازق وكتابه « الإسلام وأصول الحكم » .

ويجرنا الحديث عن الدكتور طه حسين إلى الحديث عن الشيخ « على عبد الرازق » لأنهما من دعاة فصل الدين عن الدولة ، وإقصاء الإسلام عن الحياة ، والأخذ بكل ما عند الغرب من فكر ومنهج للبحث ، وحضارة وعادات إلخ .

ولا شك أنهما بهذه الدعوة ، وذلك الاتجاه تجمعهما بالاستعمار غاية واحدة وهى إقصاء الدين عن المجتمع ، والسير فى ركب الغرب المسيحى ، نستمد منه أفكارنا ، وننشىء حضارتنا ، والعزوف عن الإسلام وتعاليمه التى وضعها الله لسعادة الفرد ، وهناءة المجتمع .

ففى سنة ١٩٢٥ م أخرج الشيخ على عبد الرازق مؤلفه « الإسلام وأصول الحكم » قرر فيه أن الإسلام دين لا دولة ، وزعم أن ولاية النبى ﷺ على قومه كانت ولاية روحية منشؤها إيمان القلب ، وخضوعه خضوعا صادقا يتبعه خضوع الجسم ، وهى تختلف بطبيعة الحال عن ولاية الحاكم المدنى صاحب « الولاية المادية » لأنها تعتمد على إخضاع الجسم من غير أن يكون لها بالقلوب اتصال .

تلك ولاية هداية إلى الله ، وإرشاد إليه ، وهذه ولاية تدبير لمصالح الحياة ، وعمارة الأرض ، تلك للدين ، وهذه للدنيا ، تلك لله ، وهذه للناس ، تلك زعامة دينية ، وهذه زعامة سياسية ، ويا بعد ما بين السياسة والدين[1].

ثم أخذ يسوق من الأدلة ما يراه يؤيد فكرته ، ويؤكد بدعته .

وما كاد هذا الكتاب يذاع خبره ، وما تضمنه من أمور مخالفة للدين ، ونصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية وإجماع الأمة حتى قوبل بالاستنكار

---

(١) الإسلام وأصول الحكم صحيفة ٦٩ (الطبعة الثالثة بمطبعة مصر) .

وتصدى لتفنيد مزاعمه ، ونقض أدلته كبار العلماء والكتاب أذكر منهم مفتى مصر الأكبر الشيخ محمد بخيت المطيعى فى كتابه « حقيقة الإسلام وأصول الحكم » والدكتور حامد المنزلاوى فى كتابه « سهام اليقين فى نحر أعداء الدين » والدكتور محمد البهى فى كتابه « الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى » . بجانب المقالات القيمة فى الصحف والمجلات لاسيما ما كتبه العلامة الشيخ محمد الخضر حسين فى مجلة الأزهر تحت عنوان ضلالة فصل الدين عن السياسة[1] كما انعقدت[2] جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف برياسة الأستاذ الأكبر الشيخ أبى الفضل الجيزاوى شيخ الجامع الأزهر لمناقشة الشيخ على عبد الرازق فيما حواه كتابه من أمور تخالف الدين وما أجمع عليه المسلمون .

وبعد مناقشة طويلة أصدرت حكمها بإدانته ، وإخراجه من زمرة العلماء كما جاء فى حيثيات حكمها[3] « ويترتب على ذلك الحكم محو اسمه من سجلات الأزهر وعدم أهليته للقيام بأية وظيفة عمومية دينية كانت أو غير دينية » .

ولما أرسلت صورة الحكم إلى وزير الحقانية وكان حينذاك « عبد العزيز فهمى » ليفصله من وظيفة القضاء حيث كان قاضيا بمحكمة « المنصورة » الشرعية رفض أن ينفذ الحكم متحديا بذلك جماعة كبار العلماء التى أصدرته ، والرأى العام الذى استقبل كتاب « الإسلام وأصول الحكم » بالاستنكار فما كان من الملك « فؤاد » إلا أن أقاله من منصبه ، وما كان من الشيخ على عبد الرازق إلا أن تنكر لزيه الأزهرى وافتتح له مكتبا للمحاماة .

وبعد فإن الشيخ على عبد الرازق بفهمه القاصر للإسلام **حيث زعم أنه دين لا دولة ، وعبادة لا قيادة يكون قد قصر الإسلام على أحد شطريه وهو**

(١) المجلد الثانى صحيفة ٣٢٤ .

(٢) كان ذلك فى صباح الأربعاء ٢٢ من المحرم سنة ١٣٤٤ هـ (١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥) .

(٣) ذكرت الحيثيات فى « قصص ممتعة » من صحيفة ٢٢ إلى ٢٦

العقيدة ، وحكم على شطره الثانى ، وهو الشريعة بالإعدام ، وهذا ما تقر به أعين الاستعمار ، حيث لامناص بعد ذلك من السير فى ركابه ، وبناء الحياة على أنماطه ، والزهد فيما جاء به الإسلام من نظم لا تقوم الحياة الطيبة إلا عليها ، ولا يسود السلام إلا بها بل لاتسعد البشرية جمعاء إلا فى ظلالها الوارفة .

ولما كانت الأفكار التى دونها الشيخ على عبد الرازق فى كتابه « الإسلام وأصول الحكم » تخدم أهداف الاستعمار ، فإن لهذا الكتاب أهمية كبرى ، حيث يدرس فى الجامعات الأوروبية خصوصا الجامعات الأمريكية كما يعتبر من المراجع الأساسية لعلم الاجتماع الإسلامى لاسيما وأنه تأليف عالم من علماء الأزهر الشريف ، وقاض من قضاة المحاكم الشرعية .

ومما يدعو إلى العجب أنه بعد اثنين وعشرين عاما على الحكم الذى أصدرته جماعة كبار العلماء برئاسة الأستاذ الأكبر الشيخ أبى الفضل الجيزاوى شيخ الجامع الأزهر بإدانة الشيخ « على عبد الرازق » وإخراجه من زمرة العلماء ، وعدم أهليته للقيام بأية وظيفة تقدم أعضاء جماعة كبار العلماء وأعضاء مجلس الأزهر الأعلى ، وشيوخ الكليات بمذكرة إلى الملك « فاروق » ملتمسين العفو عن الأثر المترتب على الحكم الذى أصدرته جماعة كبار العلماء ، وبعد أسبوع من تقديم ملتمسهم وبالتحديد فى ٣ من مارس سنة ١٩٤٧ نشرت الصحف مرسوما بتعيين الشيخ على عبد الرازق وزيرا للأوقاف .

فهل عدل الشيخ على عبد الرازق عن آرائه ، وهدى إلى الرشد حتى يلتمس كبار العلماء وأعضاء المجلس الأعلى ، وشيوخ الكليات العفو عنه . الجواب « لا » وكل ما هناك أن الملك « فاروقا » أراد أن يعين الشيخ على وزيرا للأوقاف فأمر الأزهر بأن يقوم بهذه الحركة فاستجاب ، وهذه سقطة كان ينبغى عدم الوقوع فيها بعد الضجة الكبرى التى أحدثها علماء الأزهر حول الكتاب ومؤلفه إقرأ فى ذلك ما نشرته صحيفة الأهرام فى ٢٦ / ٢ / ١٩٤٧ تحت عنوان « العلماء

يلوذون بالعرش فى مسألة على عبد الرازق بك » والصحيفة رقم (١٤٦) من العدد الثانى للسنة الثالثة بمجلة « رسالة الإسلام » والصحائف (٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠) من فصول ممتعة للأستاذ محمد سيد كيلانى .

الدكتور منصور فهمى ورسالته : « حالة المرأة فى التقاليد الإسلامية وتطوراتها » .

وكما جرنا الحديث عن الدكتور طه حسين وكتابه « فى الشعر الجاهلى » إلى الحديث عن الشيخ على عبد الرازق وكتابه : « الإسلام وأصول الحكم » فإنه يجرنا كذلك إلى الحديث عن الدكتور منصور فهمى وكتابه « حالة المرأة فى التقاليد الإسلامية وتطوراتها » لما بين الأقطاب الثلاثة من الاشتراك فى كثير من وجوه الشبه ، ولما بين الكتب الثلاثة من الاتفاق فى الفكرة ، ووحدة الهدف حينذاك .

بعد أن حصل الدكتور منصور فهمى على شهادة البكالوريا . أوفدته الجامعة المصرية إلى فرنسا ليتابع دراسته فى إحدى جامعاتها ، وما كاد يصل إلى فرنسا حتى تأثر بالوسط الفرنسى ، وبالثقافة الفرنسية ، وبموجة الإلحاد التى كانت تغمرها فى تلك الفترة ، كما تأثر بما كتبه المستشرقون والمبشرون عن الإسلام ، ولقد ظهر أثر ذلك واضحا فى الرسالة التى أعدها تحت إشراف أستاذه المستشرق « ليفى بريل » للحصول على دكتوراه الدولة وكان موضوعها : « حالة المرأة فى التقاليد الإسلامية وتطوراتها » حيث حوت الكثير من المطاعن فى الإسلام وفى رسول الله ﷺ .

وقد تصدى للرد عليها كثير من الكتاب نذكر منهم الأستاذ « محمد لطفى جمعة » كما حفلت صحيفة المؤيد[1] بالكثير من المقالات فى الرد على تلك المفتريات وبمطالبة ولاة الأمر أن يعملوا على وقف تيار الإلحاد حتى لا تفسد عقول

(١) فى العدد الصادر فى ٢٠ / ٢٨ من يناير ١٩١٤ ، والعدد الصادر فى أول مارس ١٩١٤ .

الناشئة .

كما بادرت الجامعة المصرية ففصلته حيث كان مدرسا بكلية الآداب فما وسعه إلا أن يعتزل المجتمع ويفر إلى قريته « شرنقاش »[1] حتى لا يواجه سخط المجتمع واستيائه

لكن من الإنصاف للحق ، ومن الإنصاف للدكتور منصور فهمى أن نقرر أنه رجع عن معتقداته وتبرأ مما حوته رسالته من المطاعن فى الإسلام وفى رسول الله ﷺ بعد أن تجرد من أهوائه ، وتخلى عن عصبيته ، ودرس الإسلام وحياة رسول الله ﷺ دراسة من ينشد الحق ، ويلتمس الرشد فأدرك ما امتاز به الإسلام من السمو فى تعاليمه وما امتاز به رسول الله ﷺ من الكمال فى سلوكه ، ولم يشأ أن يمضى فى الغى ، أو يتمادى فى الباطل شأن ﴿ **الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا** ﴾ وشأن الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ، فأعلن توبته ، وطلب من الله أن يغفر زلته ، وأن يتجاوز عن سقطته فقال فى خشية وضراعة :

« اللهم قد قطعنا من العمر مراحل ، فيها كبونا ، وزلت النفس ، وعثر القدم ، فأعنا على أن نستفيد لبقية طريقنا من كبوة كبوناها فيما مضى ، وعثرة عثرناها فيما انقضى . اللهم : لقد كتبنا بأعمالنا صحائف تشهد عندك علينا بما أحسنا وبما أسأنا ، فأعنا على أن نكتب فى صحيفتنا الجديدة ما يزيد فيها الحسنات على السيئات .. »[2] .

واسمع إليه يحدثنا عن رسالته ، وكيف هدى إلى الحق والتقى بأجلة العلماء الذين كان لهم أثر كبير فى هدايته :

(١) قرية من قرى مديرية الدقهلية .
(٢) خطرات نفس للدكتور منصور فهمى ص ١٧٥ .

« كانت رسالتى فى الدكتوراه عن المرأة فى الإسلام ، واندفعت أكتب بحرارة الشباب المندفع ، ويظهر أنى انحرفت قليلا حيث كانت معلوماتى عن الإسلام طفيفة ، وحين قوبلت فى مصر بضجة كبرى ازددت عنادا ، ولكن الله كتب لى أن أجلس طويلا مع بعض مشايخ العلماء من ذوى الأفق الواسع ، والصدر الرحيب من أمثال الشيخ حسونة النواوى ، والشيخ مصطفى عبد الرازق ، والشيخ على الزنكلونى هؤلاء الذين يمثلون رجل الدين الحقيقى فى عقولهم وعلومهم ، فبدأت أتخلص من الزيغ لأعود إلى حظيرة الدين والحمد لله »(١) .

ثم أخذ يباشر نشاطه المحمود فى شتى المجالات الدينية والعلمية والثقافية والاجتماعية وأصبح من المؤمنين بعظمة الإسلام ، وبسمو أخلاق المصطفى عليه الصلاة والسلام ، الساخطين على دعاة اختلاط الجنسين لما يجره من تداعى الأسر ، وإثارة الغرائز ، والتحلل من قيود الفضيلة والشرف .

واسمع إليه يحدثنا عن الإسلام وعظمته ، وعن رسول الله ﷺ فى هجرته فيقول فى الحفل الذى أقيم بجمعية الشبان المسلمين عام (١٣٦١ هـ) ابتهاجا بعيد الهجرة النبوية .

« ... إننا فى هذا اليوم المحتفى بمقدمه ، قد نتسمع فى صميم وجداننا المرهف صوتا مدويا ينبعث من خلال هذه القرون الخالية ، ليلقى فى سمعنا أنشودة البطولة المحمدية الرائعة ، ويهز عواطفنا لمطلع دين جديد ، إنسانى سمح عظيم ، ويذكرنا بروائع الجهاد البالغ حين حمل رسول الله ﷺ أمانته فحملها واثقا لكى يبلغها إلى الناس كاملة ولكى تتشخص بها على الأرض نعمة الله حين وضع للناس دستورا ، ويرسم لحياتهم نظاما يؤمنهم من وساوس الشك ، وينقذهم من تضليل الارتياب ... »(٢) .

(١) مجلة : « حياتك » ديسمبر سنة ١٩٥٨ .

(٢) « فصول ممتعة » صحيفة ١٩

واسمع إليه يتحدث عن مساوىء اشتراك النوعين فى المجتمعات :

« فقد يزدحم النساء والرجال فى مجتمع من مجتمعات الشاى والخمر ، فلا يلبث هذا المجتمع أن يتحول إلى معارض للتزين والأناقة ، وإلى مضمار للتأنق بالأقوال الرخيصة ، وبذل التظرف المصنوع ، واتخاذ الابتسامات المنافقة ، وإذا كان لبعض النساء من وسائل الزينة ما ينحدر فى المرتبة عن زينة الأخريات ، فسرعان ما تنبض القلوب بالغيرة والحسد ، أو تدق دقات الزهو الأجوف ، وإذا كان فى هذه المجتمعات من تعوزه يقظة الفضيلة ، وصلابة الخلق ، فثم النظرات المسمومة ، وثم الأحاديث المهيئة لنزغات الشيطان ، ومن ثم فضائح الغواية ، ومآسى الغيرة ، وما قد يجره ذلك من الكوارث فى هدم سعادة الأسر .. الخ »(١)

فأين هذا الفهم السليم للإسلام ، والتقدير العظيم للرسالة الربانية التى حملها للبشرية محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وأداها فى أمانة وإخلاص مما كتبه فى رسالته : « محمد يشرع للجميع ويستثنى نفسه » ؟!

وأين هذه الكلمة التى هاجم فيها الاختلاط بين الرجل والمرأة فى المجتمعات وما يسفر عنه من مآثم ويجر من كوارث مما جاء فى رسالته « حالة المرأة فى التقاليد الإسلامية وتطوراتها » من الدعوة السافرة إلى أن نقتدى بأوروبا التى أطلقت للمرأة العنان فانطلقت انطلاق السوائم ، واختلطت بالرجل فى غير تورع وتوقر .

إنه الرجوع إلى الحق بعد التمادى فى الباطل ، إنه التوجيه الحكيم بعد الانحراف الأثيم ولا عجب إذا أصبح بعد أن هدى إلى الرشد ، وبصر بالصواب أن يكون من دعاة الإسلام والفضيلة ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء

(١) مجلة الرسالة العدد (٤٠٤) .

كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ، وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون ﴾(١) .

« أستاذ الجيل »

ومن الذين تأثروا بالفكر الغربى ، ودعوا إلى تغريب مصر « لطفى السيد » أو « أستاذ الجيل » كما يطلقون عليه ويحدثنا عنه الأستاذ « أنور الجندى » فيقول :

« وأنشأ الاستعمار جماعته ، من الذين يلتقون به فى منتصف الطريق ، ويؤمنون بأنه لا سبيل لحرية الأوطان إلا بالتفاهم مع محتلها ، والتعامل مع غاصبيها » .

وكان أستاذ الجيل فى مقدمة هؤلاء : الرأس المفكر فى جريدة الجريدة لسان حزب الأمة الذين هم جماعة الباشوات الذين صنعهم الاستعمار فى مصر ليكونوا أداته فى السيطرة . كان أستاذ الجيل يؤمن بأنه لاضرورة أن تتعلم الأمة ، وإنما يتعلم أبناء الذوات وحدهم ، كان يؤمن بأن الغرب هو المثل الأعلى فى نظامه السياسى والاجتماعى والاقتصادى . كان يكره الدولة العثمانية ، والخلافة والجامعة الإسلامية والعروبة ، ولا يؤمن إلا بالإقليمية الضيقة : « مصر للمصريين » .

وكان على رأس مدرسة نماها « كرومر » لتخلف الاستعمار الإنجليزى فى حكم مصر أو ليتمكن الاستعمار آمنا من أن يتخلى لها عن قيادة البلاد فتحقق مايريد وفوق ما يريد ذلك هو الرجل الذى أُطْلِق عليه أستاذ الجيل فخدع الكثيرين »(٢) .

(١) الآيتان : ١٢٥ ، ١٢٦ من سورة الأنعام .

(٢) راجع صحيفة ٤ ، ٥ من أكتوبتان فى تاريخ الأدب الحديث — لطفى السيد — طه حسين .

و « قاسم أمين » الذى رحل إلى فرنسا عام ١٨٨١ ليدرس القانون بجامعة « مونبليه » والذى قرأ لمفكرى أوروبا مثل نيتشه وداروين وماركس ، والذى عاش فى الوسط الفرنسى أربع سنوات فأعجب به أيما إعجاب ، وأخذ يشيد بالمجتمع الأوروبى الذى يجمع الرجل والمرأة ، ويبين أثر هذا الاختلاط منوها بدور المرأة فيه فيقول :

« يضم المجتمع الأوروبى الرجال والنساء دائما ، فيسهل الاتصال بينهم ، وتنشأ فيما بينهم علاقات ألفة وصداقة وحب .

وهذا الاختلاط بين الجنسين فى الاجتماعات يسبغ عليها عذوبة ورقة فالسحر الذى تشيعه المرأة فى كل مكان توجد فيه شىء ممتع ونفاذ كعطر الزهور ، وفى هذه الاجتماعات ينعم المرء دائما بالمرح ، وغالبا مايتودد للغير ، ويخرج فى النهاية مفعم القلب بالرضا »(١) .

هو الذى دعى إلى تحرير المرأة ليخفى وراءه هدفه وهو أن تكون المرأة فى مجتمعنا الإسلامى كالمرأة فى المجتمع الأوروبى لتشيع فيه العذوبة والرقه ، وتعطر أرجاءه بسحرها الفتان ، وأريجها العطر ، وهو الذى أفصح عنه فى « المرأة الجديدة » لتكون العلاقة بين الرجل والمرأة حرة ، لا تخضع لنظام ، ولا يحددها قانون ،(٢) فأين ما كتبه قاسم أمين عن الاختلاط مما كتبه عنه منصور فهمى ؟!

و « سلامة موسى » الذى سخر قلمه فى محاربة الإسلام ، والانتقاص من تعاليمه ، والدعوة إلى إهمال اللغة العربية ، واستخدام العامية المصرية فى الحديث والكتابة ، والذى اتخذ من جريدة « مصر » الطائفية مجالًا فسيحا لنشر أفكاره

(١) من كلام له عن الحب ص ٢٩٢ من الجزء الأول — (الأعمال الكاملة) لقاسم أمين للأستاذ محمد عمارة .

(٢) راجع صحيفة (٧٠) من المؤامرة على المرأة المسلمة للدكتور / السيد أحمد فرج .

ومطاعنه ، ولو أحصينا ماكتبه ضد الإسلام والمسلمين لخرجنا كما يقول العالم الداعية الشيخ محمد الغزالى بسجل من أقذر ما عرف فى الصحافة المصرية منذ أنشئت (١) .

و « محمود عزمى » الذى كتب عدة مقالات نشرتها جريدة الأهرام فى يونيو سنة ١٩٢٥ يدعو فيها إلى ترك الأديان لأنها فى زعمه قيود عتيقة يجب التخلص منها ، والخروج عليها . وغيرهم كثير وكثير .

ويحدثنا أستاذنا الكبير فضيلة الشيخ « عبد العزيز عيسى » وزير الأزهر الأسبق عن نشاط تلك القوى المحاربة للإسلام وعن تأثر بعض المفكرين من المعاصرين بأفكارها ودعوتهم لها فقال :

« وقد لا يشك أحد منا فى أن القوى المعادية للإسلام وعقيدته ودعوته — وهى أخطر من القوى الاستعمارية — تسيطر فى عصرنا الحاضر على عقول بعض المسلمين محاولة أن تزعزع عقائدهم فى شريعتهم ، وفى أحكامها وتوجيهاتها ، ولا يعلم إلا الله متى تنتهى سيطرتها ، وهى تعمل جاهدة على أن تزين لمن تسيطر عليهم ، ولمن تستميلهم إلى جانبها من الرجال والشباب قيما توهم أنها جديدة ، وموازين تريدهم على أن يقتدوا بها ، لا بما يبصرهم به المتخصصون فى هذا الدين ، والعارفون لأسراره ، وحكم تشريعاته ، وتجتهد فى تلوين أفكارهم وأبصارهم بما يباعد بينهم وبين ما درجوا عليه فى أسرهم وبيئاتهم ، وما عرفوه عن آبائهم ومعلميهم .

إن هذه القوى المعادية للإسلام — وهى قوى ماكرة مخادعة صبورة عنيدة المجادلة — لا تؤمن بقيم ، ولا تلتزم جادة ، ولا تحكم ضميرا حرا ولا تألوا جهدا فى تشكيك من اتصلت ، أو اتصل بها فى مقررات الدين وضرورته وشموله ، وصلاحيته لكل زمان ومكان ، ولعلها قد بلغت من ذلك مبلغا ترضاه حين زينت

(١) كفاح دين ص ١٧٢ .

لطائفة من أبنائه أن الدين أمر لا يحتاج إليه الناس ، وأن الدين مخدر ومعوق عن التقدم المنشود ، وأن ما صلح منه لعصور البداوة لا يلائم عصور الحضارة والتقدم ، وأن مذاهبها المستحدثة تضمن للمجتمعات التى تعتنقها مالا يضمنه الإسلام لمجتمعه من رغد العيش ، وإدراك الأمن ، ورفاهية الحياة ، واقتسام الحظوظ ، ومساواة النظراء .. ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا[١] ﴾[٢] .

وهكذا يحارب الإسلام بأقلام نفر من أبنائه ، لعدم فهمهم الصحيح للإسلام ، ونتيجة تأثرهم بالفكر الغربى ، وانبهارهم بما وصلت إليه أوروبا من تقدم وحضارة ، ورغبتهم فى أن تذكر أسماؤهم فى عداد العباقرة والمفكرين ، كما تحارب لغة الإسلام اللغة العربية بأقلام من بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر ، وذلك بجانب ما يقوم به المبشرون والمستشرقون من ألوان الأنشطة المناوئة لتعاليمه ، والمعوقة لانتشار دعوته .

نحن لاننكر دور المستشرقين فى الدراسات الإسلامية ولكنا نرتاب فى نواياهم

على أننا لاننكر دور بعض المستشرقين فى الدراسات الإسلامية التى قاموا بها ، ولاالجهود المضنية التى بذلوها فى بعث النصوص القديمة ونشرها وإن كان جانب الكثير منهم الصواب فى فهم النصوص ، وتفسير الأحداث .

ولكننا نتساءل هل الدافع لذلك هو خدمة الإسلام الذى لم يؤمنوا به كدين ختاره الله للبشرية جمعاء ، ونسخ به ماسبقه من دين ، وبعث به محمدا ﷺ ، وختم به وحى السماء ، وأيده بالقرآن الكريم ليكون دليل صدقه ، ومنهج رسالته ؟

(١) سورة الكهف من الآية ٥ .

(٢) من مذكرته المقدمة للمجلس القومى للتعليم عن قصة السنة التأهيلية بجامعة الأزهر .

أم كان الدافع هو البحث عن الحق لذات الحق كما يزعمون إن كان ذلك كذلك لماوسعهم إلا الإيمان بالإسلام ، لأنه هو الحق المبين قال تعالى : ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ومآأرسلناك إلا مبشرا ونذيرا ﴾[1] .

إننى لاأتردد فى أن أقرر فى شجاعة أن الدافع هو دس السم فى العسل كما يقال وذلك بتشويه الإسلام ، ومسخ صورته فى النفوس وذلك بأسلوب هادىء لايستثير المشاعر ، ولاينبه المسلمين إلى مواجهة مايراد بهم بعد أن فشلت المواجهة الصريحة بالحروب التى شنتها الصليبية لتحقيق نواياهم الخبيثة ، ومطامعهم الخسيسة ، وهذا مايؤيده الواقع ، ويترجم عنه سلوكهم . قال تعالى : ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾[2]

نشاط الاستشراق فى العصر الحديث :

ومما يلاحظ أن نشاط الاستشراق فى العصر الحديث اتخذ صورا عديدة ، من أهمها الجمعيات الآسيوية وهى جمعيات أنشأها الاستعمار أول الأمر لدراسة شئون الدولة التى يحكمونها وتعرف لغاتها ، وآدابها ، ونفسيتها ، حتى يكون الحكم عليها مبنيا على البحث والدراسة .

ومن أشهر هذه الجمعيات : « الجمعية الآسيوية بلندن » وقد تأسست سنة ١٧٢٠ م « والجمعية الآسيوية فى فرنسا » وقد تأسست سنة ١٨٢٠ م ولكل من الجمعيتين مجلة تعنى بالأبحاث الشرقية والإسلامية .

وقد عنيت هذه الجمعيات بالمذاهب خاصة فدرسوا الدروز والشيعة والبهائية وغيرها وقد تبعت الدول الأخرى نهج إنجلترا وفرنسا فى إنشاء الجمعيات الآسيوية

(١) الآية (١٠٥) من سورة الإسراء .

(٢) من الآية (١١٨) آل عمران .

فصار لأمريكا الجمعية الشرقية ، ولألمانيا الجمعية الآسيوية ، وكذلك إيطاليا والنمسا ولروسيا (جمعية المستشرقين الروس) وسيأتى الحديث عنها فى خاتمة هذا الموضوع لأهمية الدور الذى تقوم به .

ويعقد المستشرقون بين كل وقت وآخر المؤتمرات فى إحدى المدن الأوروبية يتدارسون فيها أمور الدول المحكومة ، ويتبادلون الخبرات ، ويزودون الجهات التى يعملون لحسابها بشتى المعلومات العسكرية والسياسية وغيرها .

وقد استفاد المستشرقون من الكتب العربية فنقلوا نفائسها إلى عواصمهم وأنشأوا المكتبات التى تعنى بالفكر الإسلامى فى شتى فنونه ، ولقد تجمع فى هذه المكتبات مايبلغ حوالى مائتين وخمسين ألف مجلد كما أقاموا معاهد للغات الشرقية فى بلدانهم تعنى بلهجات الشعوب الشرقية ولغاتها وأبرز تلك المعاهد مدارس اللغات الشرقية فى لندن وباريس وبرلين .

أبرز نشاط المستشرقين وأخطرهم :

وأبرز مظاهر نشاط المستشرقين حتى الآن هو إصدار « دائرة المعارف الإسلامية » فى عدة لغات وإصدار موجز لها بنفس اللغات التى صدرت بها الدائرة ، ويعتبرها الكثير من الكتاب المسلمين مرجعا لكتاباتهم رغم مافيها من الخطأ الجسيم ، والتعصب البغيض ، والعداء السافر للإسلام والمسلمين .

ويعتبر المستشرق اليهودى المجرى « جولد زيهر » من أخطر المستشرقين وأشدهم هجوما على الإسلام حيث حاول أن يصور للناس أن الشريعة الإسلامية من صنع الصحابة والتابعين ، وأن الصحابة هم الذين وضعوا السنة النبوية ، وادعى أن الفقه الإسلامى مستمد من الفقه الرومانى ثم بعد أن طعن السنة النبوية هذه الطعنة الآثمة حاول أن يطعن القرآن الكريم طعنة غادرة فزعم أن ابن عباس رضى الله عنهما أخذ تفسيره للقرآن الكريم عن علماء اليهود وأحبار النصارى .

ويعتبر عضوا بارزا من محررى دائرة المعارف الإسلامية فلا غرابة بعد ذلك إذا اعتبرناه من أشد المستشرقين خطرا ، وأكثرهم عداء للإسلام ، ببحوثه المسمومة ، وآرائه العفنة ، وهجومه العنيف على المقررات العلمية الثابتة .

ولقد أحسن تصويره العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثرى حينما كان يتحدث عن كتابات المستشرقين ضد الإسلام فقال طيب الله ثراه :

« ومن أخطر هذا الفريق المموه « جولد زيهر »[١] المجرى الدم ، اليهودى النحلة ، العريق فى عداء الإسلام ، الماضى فى هذا السبيل طول حياته .

وهو من رجال أوائل القرن الميلادى الحاضر ، وله دراسات فى القرآن وعلومه ، والحديث وعلومه ، والفقه وأصوله ، وفى الكلام وفرق المتكلمين .

إلا أنه محتال ماهر فى توليد مايشاء من نصوص يتصيدها من مصادر تعجبه ، باعتبار غايته ، مغالطا فى تحميلها مالاتحتمله من المعانى عن أهل البصيرة ، ومتجاهلا اختلاف منازل تلك المصادر فى الثقة والتعويل »[٢]

كما أجاد تصويره على حقيقته العالم الداعية الشيخ محمد الغزالى فقال :

« إن هذا المستشرق من أعمدة المستشرقين ودهاتهم ، ولاشك أنه قرأ كثيرا من الأصول والمصنفات الإسلامية ، ولكنه منذ قرأ وكتب لم يحمل بين جنبيه إلا فؤادا مترعا بتكذيب الإسلام ، فهو يدس إصبعه فى كل شىء ليتخذ من أى شىء دليلا على أن محمدا « ﷺ » كذاب . وقرآنه مفتعل ، وسنته مختلقة ، والإسلام

(١) ولد سنة ١٨٥٠ وهلك سنة ١٩٢١ ودرس فى مدارس اللغات الشرقية برلين وليبزج وفينا ، ورحل إلى سوريا سنة ١٨٧٣ وتتلمذ على يد العلامة الشيخ طاهر الجزائرى ، ثم نزح إلى مصر حتى تضلع فى العربية على شيوخ الأزهر .

(٢) دفاع عن العقيدة والشريعة ص ١٦ .

كله منذ جاء إلى أن بلغنا مجموعة مفتريات ...[٢]

ويشارك « جولد زيهر » فى شدة عدائه للإسلام الأب « لامانس » الذى ألف كتابا عن الإسلام مملوءا بالأكاذيب والمفتريات ، ويعول المستشرقون على مايكتبه عن الإسلام .

والبروفسور : « اندرسون » الذى تخرج فى كلية اللاهوت فى جامعة « كمبردج » وكان من أركان حرب الجيش البريطانى فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية ، وتعلم العربية فى مصر كما تعلم اللغة العامية المصرية خلال اختلاطه بالشعب المصرى حين قيامه بعمله العسكرى ، وانتقل من الخدمة العسكرية إلى رئاسة قسم قوانين الأحوال الشخصية فى معهد الدراسات الشرقية بجامعة لندن .

وقد سلك فيه مسلك أستاذه « جولدتسيهر » فى الدس على الإسلام ، وتشويه حقائقه .

و« يوسف شاخت » أحد محررى « دائرة المعارف الإسلامية » وله عدة كتب عن الفقه الإسلامى وأصوله ، وأشهر كتبه : « أصول الفقه الإسلامى » .

و« عطية سوريال » المصرى الوطن ، المسيحى العقيدة ، كان أستاذا بجامعة الإسكندرية ثم رحل إلى احدى الجامعات الأمريكية وهو شديد الحقد على الإسلام والمسلمين ، وكثير التحريف للتعاليم الإسلامية . ويستعين على التنفيس عن حقده وتحريفه بكونه بعيدا عن مصر وفى مأمن من المسلمين .

و« فليب حتى » وهو لبنانى مسيحى كان أستاذاً بقسم الدراسات الشرقية بجامعة « برنستون » بأمريكا ، وكان واسع الحيلة ، كبير الدهاء حيث كان يخفى

(١) المرجع السابق ص ٩ .

حقده على الإسلام بالتظاهر بالدفاع عن القضايا العربية فى أمريكا ، وكان شديد الحرص على أن ينتقص دور الإسلام فى بناء الثقافة الإنسانية ، ويكره فى عناد ومكابرة أن ينسب للمسلمين فضل ما .

وكان يشرف على البحوث التى يقدمها طلاب الدراسات الشرقية إلى أساتذتهم فى التاريخ الإسلامى ، أو الشريعة الإسلامية ، أو اللغات الشرقية ، أو الأحوال الاقتصادية فى الشرق الأدنى حتى يطمئن إلى أنها تسير وفق معتقداته ، وتتجه وهواه من الحقد على الإسلام والانتقاص من دوره المجيد فى مجال الثقافة والمعرفة .

وغيرهم كثير من الحاقدين على الإسلام الذين حملوا أسلحة الكذب والتضليل ، لينالوا من الإسلام ، ويشوهوا من جماله ، والذين تؤازرهم الهيئات السياسية والاقتصادية والدينية بما تغدقه عليهم من الأموال ، وما تضفيه عليهم من الرعاية ، وما تمكن لهم من النفوذ ليحققوا مطامعهم التى هى مطامع الاستعمار : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾(١) .

﴿ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون : يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾(٢) .

دور اللورد « كرومر » فى تغريب الفكر الإسلامى :

نكبت مصر بالاستعمار البريطانى لها عام ١٨٨٢ م كما نكبت بـ « افيلنج يارنج كرومر » حيث كان يشغل منصب المندوب السامى البريطانى ، وكان سياسيا بالمعنى المعروف ، وكان دبلوماسيا بارعا فضلا عن أنه كان من دعاة تغريب الفكر الإسلامى ، وذلك لتركيز النفوذ الاستعمارى فى مصر . وفى الشرق

---

(١) الآية ١٠٩ — البقرة .

(٢) الآيتان ٧٠ ، ٧١ — آل عمران .

الإسلامى .

وقد ظهرت آراؤه فى كتابه : « مصر الحديثة » الذى عرض فيه للمخطط الذى يرى فى تنفيذه القضاء على الإسلام ، والتمكين للاستعمار البريطانى ويتمثل هذا المخطط فيما يلى :

(١) إثارة الشبهات حول الإسلام عن طريق تأكيد منافاته للمدنية .

(٢) حقن عقول المسلمين بأن الطريق إلى الحضارة لن يكون إلا بترك الإسلام حيث أنه فى زعمه سبب التخلف الذى يعانى منه المجتمع الإسلامى .

(٣) إلقاء الأضواء الساطعة على بعض المشاكل الموجودة فى العالم الإسلامى ، لإظهارها بمظهر سيىء مع إلحاق سبب ذلك بالإسلام .

وقد استطاع « كرومر » خلال وجوده فى مصر أن يوجد اتجاها فكريا معاديا للإسلام يحقق مصالح الاستعمار فى المنطقة ، ويقوم هذا الاتجاه على أساس عزل البلاد العربية والإسلامية عن بعضها البعض ، وظهرت فى أيامه بعض الاتجاهات التى دعت إلى الإقليمية الضيقة منها : مصر للمصريين ، ومصر فرعونية وليست عربية مسلمة .

دور « كرومر » فى محاربة اللغة العربية :

ومن جملة آرائه التى كان شديد التحمس لها دعوته إلى إلغاء اللغة العربية الفصحى ، والاعتماد على اللغة العامية ، وذلك ليقطع صلة المسلمين بالقرآن مصدر القوة ، وينبوع العزة ، ويقطع الصلة بين ماضى هذه الأمة وتراثها ، وبين حاضرها الذى تعيش فيه .

وجاراه فى ذلك صاحب المقتطف حيث اقترح كتابه العلوم بلغة الحديث ، ولكن اقتراحه باء بالفشل . ثم جاء المستر « ولمور » وكان قاضيا فى محكمة

الاستئناف الأهلية فألف كتابا أسماه « لغة القاهرة » ووضع فيه قواعد اللهجة العامية ، ودعى إلى أن تكون لهجة القاهرة لغة العلم والأدب .

ولقد فطن الرأى العام إلى ما وراء تلك الدعوة الخبيثة من القضاء على لغة القرآن الكريم فحمل عليه ، وعلى الصحف التى روجت لفكرته حملة عاتية .

وما كادت هذه الدعوة تخبو نيرانها حتى أوقدها من جديد السير « وليم ولكوكس » وكان مهندسا للرى فى مصر ، ومن أعمدة الاستعمار البريطانى الذين يعول عليهم فدعا إلى هجر اللغة العربية فثارت ثائرة الرأى مرة ثانيا ، وهاجم هذه الفكرة هجوما عنيفا ، وكشف عما يكمن وراءها من محاربة الإسلام فى لغته التى نزل بها كتابه المجيد .

دور القسيس : « دانلوب » فى وزارة التربية والتعليم :

وما هو جدير بالذكر وقد تعرضنا فى إيجاز إلى الدور الذى قام به « اللورد كرومر » ، أن نشير إلى أن الاستعمار البريطانى عمل على إخراج القسيس : « دانلوب » من مجاله الكهنوتى ، وجعله مستشارا لوزارة المعارف ، كى يتسنى له أنه يجرد الثقافة ، والمناهج الدراسية من كل شيء اسمه الإسلام ، أو التربية الإسلامية .

وقد نجح إلى حد كبير فى تنفيذ تلك السياسة فأنشأ عددا من المدارس الابتدائية تدرس بها اللغة الإنجليزية لغة الاستعمار بجانب العلوم المدنية ، ونتفا متناثرة من القرآن والدين بينما كانت المدارس التبشيرية فى مصر تبدأ نشاطها اليومى بالصلاة فى كنيسة المدرسة ، والتوجه إلى الله بالدعاء المسيحى ويستوى فى ذلك التلاميذ المسلمون الذين كانوا يحملون على الصلاة قسرا ، ويجبرون عليها كرها ، وزملاؤهم المسيحيون .

وكانت حصص القرآن والدين توضع فى نهاية اليوم المدرسى بعد أن كَلّ التلاميذ وملوا ، وأخذوا يفكرون فى التفلت من جو المدرسة الرهيب إلى الانطلاق فى الشوارع ، أو الذهاب إلى البيوت ، وكانت تلك الحصص توكل إلى أسن مدرس فى المدرسة حيث لا تمكنه صحته من النهوض بواجبه فضلا عن ضآلة معلوماته ، وقلة خبرته ، وبخس راتبه ، وامتهان كرامته .

ولم تكن اللغة العربية أسعد حالا من القرآن الكريم والدين ، فكانت حصصها من القلة بمكان بحيث لا تقوم لسانا ، ولا تنمى ذوقا ، ولا تربط التلاميذ بالتراث الإسلامى .

وكان يدرس التاريخ الإسلامى على أنه مجموعة من الغزوات شنها المسلمون على مخالفيهم رغبة فى التوسع والسيطرة ، والنهب والسلب ، وحبا فى سفك الدماء ، وإشاعة الفساد .

وكانوا يلقنون التلاميذ أن مصر بلد زراعى لا تقوم فيه الصناعة لعدم وجود المواد الخام كالحديد والفحم ، وأنه بلد متخلف ، وأن أوروبا لا سيما إنجلترا بلاد متقدمة فى مجال الصناعة لوفرة الحديد والفحم ، وأنها بلاد ازدهرت فيها المدنية والحضارة ، ومن الخير لمصر أن تعيش معها بل وأن تندمج فيها ، لتنعم بالرخاء والرق وكانوا يوحون إلى التلاميذ أن دينهم هو العامل الأول فى انحطاط مستواهم ، ولا يمكن النهوض بهم إلا إذا تخلصوا من هذا الدين ، وساروا فى ركبهم .

ثم توسعت سياسة « دانلوب » فأنشأ بضع مدارس ثانوية لكى تدفع الموجة الصليبية خطوات إلى الأمام ، وكانت تسير على هذا المنهج الذى وضعه والذى لا يعلم عن الإسلام إلا أنه مجموعة من العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج وحسب المسلم أن يؤديها وبذلك يكون قد أدى ما عليه من الفرائض ، أما أن الإسلام نظام كامل يتناول جميع شئون حياة الأفراد والجماعات ، وأنه دين يحض

على العمل للدنيا كما يرغب فى العمل للآخرة ، وأنه دين يدعو إلى مكارم الأخلاق ، والأخذ بأسباب القوة والعزة ، ويحذر من التواكل ، ويأبى على أهله أن يخضعوا لغيرهم فى دينهم وأخلاقهم وأنماط حياتهم فهذا مالا يدرس فى المدارس لأن فى تدريسه وأخذ النشء به القضاء عليهم لأنه يثير فى التلاميذ روح الاعتزاز بدينهم ، والوفاء لعقيدتهم ، والوقوف فى عزيمة وقوة أمام عدو الله وعدوهم .

ولقد خرجت تلك المدارس الكثير من الكتبة الموظفين ليعملوا فى الدواوين الحكومية والاستعمارية ويتلقوا الأوامر من سادتهم بالسمع والطاعة .

نستطيع بعد ذلك أن نقول : إن القسيس « دانلوب » قد التقى مع زميله اللورد « كرومر » فى التآمر على الإسلام ولغته فى بلاد الإسلام ولغته ، ولولا أن الله قيض لمصر الأزهر فحفظ التراث العلمى ، وحمل لواء اللغة العربية لكانت المصيبة فادحة ، والخطب أليما ، قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [1]

رواسب سيئة تنطلق بين الحين والحين :

وإن مما يبعث على الأسف ، أن رواسب هذه الأفكار الهدامة ، تنطلق بين الحين والحين تنادى بسلخ مصر عن إسلامها وعروبتها ، والاعتزاز بفرعونيتها وحضارتها ، وذلك لعزلها عن المسرح الإسلامى والعربى ، وتأكيد النزعات الإقليمية ، وإيجاد لغات عربية محلية ، ووضع نظام لزواج مدنى يعاقب فيه من يتزوج بأكثر من واحدة ، ويمنع الطلاق إلا بحكم المحكمة ، ويجيز الزواج بين مختلفى الدين . بل وبإعادة فتح بيوت الدعارة التى كانت وصمة عار فى جبين البلاد .

وكتابة العربية بالأحرف اللاتينية ، والعجب أن شيخ القضاء المدنى فى مصر ،

(١) الآية (٩) — الحجر .

وثالث الثلاثة الذين قاوموا الاستعمار البريطانى ، ووقفوا منه وقفة الند للند معالى « عبد العزيز فهمى باشا » كان من أنصار كتابة العربية باللاتينية [1] ، وكان الجدير بهؤلاء الداعين إلى كتابة العربية باللاتينية أن يأخذوا من ولاء اليهود للغتهم مايحملهم على الوفاء للعربية ، فإنهم بعد تشردهم أكثر من ألف عام ، وضياع لغتهم ، قاموا يعملون على إحيائها ، ولم يستبدلوا حرفا من حروفها ، وجعلوها لغة التعليم فى مدارسهم وجامعاتهم ، وموطن فخرهم واعتزازهم .

ورغم مايبذله خصوم الإسلام وأشياعهم ، من محاولة الإجهاز على الدين ولغته ، وفصل مصر عن إسلامها وعروبتها فإنها ستظل بمشيئة الله وفية لإسلامها ، حارسة للغته ، حاملة لواء الإسلام والعروبة ، مادمنا على يقظة مما يدبر لإسلامنا من وسائل الهدم ، ومايوضع فى طريق نهضتنا من عقبات ، ومادمنا نعمل على صد هذه التيارات المعادية بالتمسك بديننا والاحتفاظ بشخصيتنا : ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾ [1]

جمعية المستشرقين الروس :

بعد تلك الكلمة العامة عن الاستشراق ، نختم الحديث عنه بالحديث عن جمعية المستشرقين الروس ، للدور الخطير الذى تقوم به ، والذى يلتقى مع دور الاستشراق الغربى ، من التمكين للاستعمار ، وبسط نفوذه على العالمين الإسلامى والعربى ، وتفتيت وحدة المسلمين ، وسلخهم عن إسلامهم ، والقضاء على شخصيتهم .

وبذلك تكون لدينا صورة واضحة المعالم عن الاستشراق فى المعسكرين الغربى والشرقى .

(١) كان ذلك سنة ١٩٤٣ . والأعجب من دعوته هذه أنه كان عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة . فهل أنشىء المجمع لحماية اللغة العربية ، أم للقضاء ، عليها ؟! .

(١) من الآية (٤٠) — الحج .

نشأتها ، أهدافها ، وسائلها :

فى عام ١٨٥٨ م نفذت روسيا مخططاتها فى قضية الوطن القومى اليهودى فى فلسطين من مجرد الاهتمام إلى حيز الوجود .

فأنشأت : « اللجنة الصهيونية » وكان هدفها تهيئة الوسائل لتقسيم القدس الشريف ، وتشييد بيوت لإيواء المهاجرين من اليهود ، وإقامة المستشفيات لمرضاهم .

وفى عام ١٨٦٤ م بعثت اللجنة الصهيونية الروسية وفدا إلى فلسطين لتهيئة الوسائل لتأسيس ملاجىء ودور للعجزة من اليهود الذين سيزورون « المبكى » فى بيت المقدس من جميع أنحاء العالم .

وفى عام ١٨٨٨ م أصبحت هذه اللجنة هيئة قائمة بذاتها ، فأسست أكثر من مائة مدرسة فى بلدان الشرق الأوسط بما فى ذلك فلسطين بأسماء مستعارة حتى لايعرف حقيقتها أحد سوى اليهود ، وانتظم فى هذه المدارس أكثر من عشرة آلاف تلميذ .

ثم خطت هذه اللجنة خطوة أخرى لتضلل الرأى العالمى فطورت اللجنة بسعى من :

« الأكاديمية الروسية للعلوم » إلى : « جمعية المستشرقين الروس » لتتفرغ لدراسة كل مايتعلق بالعرب ، والبلدان العربية ، ثم الأقطار غير العربية ، تاريخيا ودينيا واجتماعيا ، واقتصاديا ، وكان من بين مؤسسى هذه الجمعية الاستشراقية الروسية :

(١) ستوروف (٢) كراسكوفسكى (٣) يورتشييف (٤) بيلفو يفسكا
(٥) تولستوى عضو الأكاديمية .

لتقوم بنشاطات تربوية واسعة النطاق للوصول إلى إعداد المزيد من المستشرقين الجدد بجانب أعمالها المقررة .

ثم مضت جمعية المستشرقين الروس فى القيام بأهدافها . وهى كما جاءت فى المادة الأولى من دستورها .

(١) إضعاف الروح المعنوى الدينى بين المسلمين لإبعادهم عن عقيدتهم ، وتشكيكهم فيه .

(٢) إغراء المسلمين بالمفاهيم المادية الجديدة بأسلوب جذاب .

(٣) إحياء تراث ما قبل الإسلام للاعتزاز به باعتباره مفخرة من مفاخر القومية التاريخية الخالدة ، والمدنية والحضارة .

(٤) مؤازرة من يقوم بإحياء تراث ما قبل الإسلام ، وترويج هذه المفاهيم لتشويق الناس إليها ، والاعتزاز بها .

ثم جاء بعد تلك الأهداف : وبهذا فقط يبتعدون عن الإسلام كعقيدة ، وينصرفون عنه حتى لم يكن من الدين إلا شكله ، ويصبح من الطقوس المتبعة .

هذه هى الأهداف ، أما الوسائل فهى كما جاءت فى دستور الجمعية :

(١) تطعيم أفكار المسلمين بالعقائد والمفاهيم المادية ، بأسلوب يتماشى مع مزاج كل شعب من الشعوب الإسلامية .

(٢) تسريب الفلسفة المادية إلى عقول المسلمين ، حتى يتراءى لهم أن المفاهيم الإسلامية متناقضة ، وغير ثابتة على أساس .

(٣) تدعيم هذه الفلسفة بالبراهين من أقوال وفتاوى علماء المسلمين فى أمورهم ومسائلهم الخلافية ، لتكون هذه البراهين حجة دامغة ، وتؤتى بأمثلة من هذه الفتاوى والأقوال من جميع مذاهب المسلمين ، وآراء علمائهم .

(٤) تزويد المسلمين فى الاتحاد السوفيتى وخارجه بمن هم من غير المسلمين ممن يهتمون بالقضايا الإسلامية وشئون المسلمين ، وحياتهم وثقافتهم وأفكارهم وآدابهم وحضارتهم ، ومجتمعاتهم التاريخية .

(٥) إن الاعتزاز بالقومية ، والتشبث بتراث ماقبل الإسلام ، والافتخار بإحياء هذا التراث معناه تفتيت القوى الإسلامية ، لأنهم خرجوا من الاعتزاز بالإسلام إلى قومية وتراث ماقبل تاريخ الإسلام [١]

لماذا وجهت روسيا اهتمامها إلى العرب والمسلمين ؟

يرجع اهتمام روسيا بالعرب والمسلمين إلى مايأتى :

(١) العداوة المتوارثة بين روسيا والدولة العثمانية التى كانت تمثل حينذاك الخلافة الإسلامية .

(٢) الخوف من ثورة مسلمى آسيا الوسطى حيث احتلت روسيا بلادهم .

(٣) اهتمام المسلمين فى آسيا الوسطى بأداء فريضة الحج .

(٤) الخوف من اتصالهم ، واحتكاكهم بمسلمى العالم ، والاتصال بالحكام الأتراك .

(٥) طموح روسيا للسيطرة على العالم الإسلامى فى ضمن مخططاتها للاستيلاء على العالم[٢]

وانطلاقا من تلك الأسباب ركزت روسيا كل اهتمامها وطاقاتها ضد الإسلام ، وأصبحت تنظر إلى المسلمين نظرة حقد وكراهية .

---

(١) راجع الاستشراق الروسى والصهيونية العالمية ومدى العلاقة بينهما فى تنفيذ الوطن القومى اليهودى للأستاذ محمد أحمد شهاب الدين .

(٢) المرجع السابق . والعدد (٣) من رابطة العالم الإسلامى السنه ١٤ .

ولاعجب إذا اهتمت الأكاديمية الروسية للعلوم فأنشأت جمعية المستشرقين الروس ، ثم أنشأت معهدا خاصا للدراسات العليا للشئون الإسلامية ، ويتولى إدارته والتدريس فيه مستشرقون روسيون بالتعاون مع الجمعية الاستشراقية الروسية فى موسكو .

كتابة المستشرقين الروس عن الإسلام :

إن المتتبع لكتب هؤلاء المستشرقين الروس أمثال « كليفوفينس » و « بنشانوف » وغيرهما عن الإسلام لايجد فيها بحثا علميا كما يقولون ، ولكن يجد فيها مغالطات بأساليب التمويه ، والألفاظ المملوءة بالسخرية والازدراء بالإسلام ، والقذف فى الأديان ، واحتقار الشخصيات الإسلامية ، وامتهان العقائد الدينية .

وسيجد أن جمعية المستشرقين الروس اتخذت كلمات : العلم . الدراسة . الأبحاث وغيرها قناعا لتخدير أفكار الشعوب التى تدين بالإسلام فى محاربتها للأديان ، وأنها عددت الأسماء فيما يتعلق بالاستشراق حتى تبعد عن الأذهان كلمة استشراق ، وبذلك تجد من الشعوب التجاوب الذى تنشده ، ومن هذه الأسماء مثلا :

(١) معهد الفنون الشرقية .
(٢) مكتب الشئون الإسلامية .
(٣) دائرة الإفتاء .
(٤) أكاديمية العلوم الشرقية .
(٥) الجمعية الاتحادية للعلوم .
(٦) جمعية الصداقة الروسية العربية .
(٧) معهد الدراسات العليا للشئون الإسلامية .
(٨) جامعة لومومبا .

ويقوم الجمعية الاتحادية للعلوم والفنون والسياسة فى موسكو متعاونة مع وكالة « لانوفوستى » الروسية بنشر وطبع المؤلفات التى يضعها المستشرقون الروس باللغات التى تراها لازمة وفقا للمصلحة العليا من اللغة التركية أو الهندية أو الأوردية أو الصينية أو العربية وغيرها . وتصدر هذه الجمعية مجلة باسم : « العلم والدين » . هذا ويعتبر « سيلوكوف » أول مستشرق روسى ترجم القرآن الكريم إلى اللغة الروسية وقد صدرت الترجمة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ثم أعيد طبعها مرارا فى النصف الأول من القرن العشرين .

المكتبات المتعاونة مع جمعية الاستشراق :

وهناك مكتبات فى روسيا تتعاون مع الجمعية الاستشراقية الروسية . منها مكتبة لينغراد حيث يوجد فيها اثنا عشر ألف كتاب بينها مخطوطات عربية مما سلم من الإبادة والإحراق والنهب الذى قام به الشيوعيون فى محاربتهم للإسلام حينما استولوا على البلدان الإسلامية فى آسيا الصغرى .

وإذا كان هذا العدد فقط الذى سلم فكم كان مجموع الكتب التى أحرقت وأبيدت ؟

ومكتبة لينغراد تابعة لمعهد : « الشعوب الآسيوية » لأكاديمية العلوم فى موسكو .

وفى مكتبة مدينة « طشقند » يوجد فيها ثمانون ألف كتاب من مخطوطات ومطبوعات من الكتب العربية والفارسية والتركية .

ويقول المستشرق الروسى : « غريغورى سربانوف » إن الكتب باللغة العربية الموجودة فى هذه المكتبة لاتقل عن خمسة عشر ألف كتاب .

من أقوال المستشرقين الروس وقادتهم :

بعد أن تعرضنا لأهداف جمعية المستشرقين الروس التى تلتقى مع أهداف المستشرقين التى أشرنا إليها وبعد أن عرفنا وسائلها فى تنفيذ مآربها يحسن بى أن أسمعك تصريحات بعض المستشرقين الروس وكبار قادة الاتحاد السوفيتى عن نواياهم الإجرامية نحو الإسلام والمسلمين ، وعن عواطفهم الوثيقة بإخوانهم اليهود ، وجهودهم فى تثبيت دعائمهم فى فلسطين ، وتصفية القضية الفلسطينية علها تبصرنا بالخطر الداهم ، ولعلها تفتح عيون الذين يسيرون فى ركب الماركسية الإلحادية ، من بعض قادة العرب وحكامهم ، فيثوبوا إلى رشدهم ويعملوا مع إخوانهم فى جبهة متماسكة لتطهير الوطن العربى من براثن الاستعمار ، وتخليص فلسطين من دنس الصهيونية ، وعودتها عربية إسلامية .

يقول المستشرق الروسى : « تيخيفينيسكى » رئيس جمعية المستشرقين الروس فى الحفل الذى أقامته الجمعية بمناسبة مضى تسعين عاما على تأسيسها يقول فى التقرير العام عن الجمعية وأعمالها الكثيرة ، ومنجزاتها الوفيرة :

« إن جمعية الاستشراق الروسى قد ساهمت مساهمة فعالة لإنجاز وتحقيق الوطن القومى اليهودى فى فلسطين »

وإن هذه الجمعية همها جدا المحافظة على الآثار اليهودية التاريخية فى « إسرائيل » التى يجب صيانتها والمحافظة عليها ، ليتم بعد ذلك المحاولة لإيجاد تقارب وتفاهم مع الشعوب العربية بطريق الاتحاد السوفيتى[1] .

ويقول : « كليمو فيتش » فى كتابه عن الإسلام الذى طبع فى موسكو عام ١٩٥٦ : « إن الإسلام فى جوهره مازال ولايزال عدوا للعلم ، وخصما للمادية الجدلية » . « لايمكن لأمة متدينة النهوض قبل القضاء على بقايا العقائد الدينية

(١)الاستشراق الروسى والصهيونية العالمية .

وغيرها من الأفكار البالية التى تضلل الإنسان » « إن القضاء على الدين هو مايقتضيه الحق والواجب »

ويصف الجامعة الإسلامية بقوله : « لقد ظهر فى الشرق فكرة الجامعة الإسلامية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وهى حركة دينية سياسية رجعية »

ويقول : مردخاى أبى شاؤول :

« سيجدد السوفييت يوما ما معونتهم الخطيرة لإسرائيل لتصفية القضية الفلسطينية ، على نحو المعونة السوفياتية الخطيرة التى قدمتها موسكو للدولة اليهودية يوم مولدها فى الأمم المتحدة »[١].

ويقول : « أوسكارليفى » فى مقدمته لكتاب « الأهمية العالمية للثورة الروسية »:

« نحن مازلنا هنا ، كلمتنا الأخيرة لم نقلها بعد ، هدفنا الأخير لم يتحقق حتى الآن ، ثورتنا النهائية لم يحن وقتها بعد »

ويقول : « ستيفانوف » :

«إن الحملة الشيوعية السوفياتية المعادية للدين يجب ألا تنحصر فى روسيا وحدها بل إن الضرورة تدعو إلى تعميمها على العالم أجمع »[٢].

ويقول : « لينين الماركسى » :

« الدين أفيون الشعوب ، ورجل الدين يعمل على تخدير أعصاب المظلومين والفقراء ، وجعلهم يستكينون للذل والبؤس » .

---

(١) ماركس وإسرائيل للأستاذ عمر بهاء الدين الأميرى.

(٢) ماركس وإسرائيل .

ويقول : « ليس صحيحا أن الله هو الذى ينظم الأكوان ، إنما الصحيح أن الله فكرة خرافية ، اختلقها الإنسان ليفسر عجزه ، وكل شخص يدافع عن هذه الفكرة جاهل ضعيف »[١].

ويقول فى الثالث من يونيه سنة ١٩١٧ فى المؤتمر الثالث للهيئات التشريعية الروسية العليا قبل تسلم الحكم :

« ... يجب أن تكون موسكو « مكة والمدينة » لجميع الشعوب الثورين المعادين لله ، ويجب أن يدمر الإسلام من على هذه الأرض ، ويستأصل كليا ، لأنه دين الاستعمار .

يجب أن نقوم بانقلاب ثورى للجماهير المسلمة المضطربة لتحريرها من عبودية الأوهام البالية ولهذا فإنه واجب حتمى على الأجهزة الشيوعية أن تقوم بدراسة دقيقة لخطة طويلة الأمد تعمل على تفكيك ، وتدمير المسلمين فى تركيا والبلاد العربية والقارة الهندية .

كما أن التسلط الروسى يجب أن يكون أقوى نفوذا فى هذه المناطق ، وأنا أحذركم تحذيرا شديدا بأن عدونا الحقيقى هو الإسلام ، والمسلمون الأقذار »[٢] .

ويقول : ستالين :

« نحن ملحدون نعتقد أن الدين يعرقل تقدمنا ، ونحن لانحب أن يسيطر الدين علينا لأننا نكره أن نعيش سكارى »[٣] .

وبعد فهذه أقوالهم ، وقد ترجمت عنها أفعالهم ، فهل لنا ألا نلدغ بعد أن لدغنا

---

(١) معركة المصحف للشيخ الغزالى ص ٣٢ .

(٢) ماركس وإسرائيل .

(٣) معركة المصحف للشيخ الغزالى ص ٣٢ .

مرات : ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾[٨] .

هل لنا بعد هذه التصريحات الواضحة الجلية ، وبعد هذا السلوك السافر فى محاولة القضاء على الإسلام ، والشخصية الإسلامية ، وتفتيت الوحدة الإيمانية ، وتصفية القضية الفلسطينية ؟

وهل لنا بعد أن وضحت النوايا ، واستبانت المقاصد ، بل وأخذت طريقها إلى التنفيذ ، أن نغير أسلوبنا مع الذين يتربصون بنا الدوائر ، ويستنفرون أعداء الله وأعداءنا للنيل من عقيدتنا ، والانسلاخ عن إسلامنا ؟

وهل لنا أن نبصر أنفسنا بأخطائنا ، وأن ندرك أننا مسئولون أمام الله ، وأمام التاريخ عن الدين المضطهد ، وعن التراث المضيع ، وعن الحق المهضوم ، وعن الوطن المغصوب ، وعن الكرامة الممتهنة ؟

وهل لنا أن ندرك أننا نؤتى من قبل تفرقنا شيعا وجماعات ، وسير بعضنا فى ركاب الشرق وسير بعضنا فى ركاب الغرب ، وانضواء بعضنا على نفسه كأن أمر الإسلام والمسلمين لايعنيه فنعمل على استقامة الصف ، وجمع الشتات ، ووحدة الكلمة ؟

هل لنا أن نعلم أننا إذا أردنا أن نواجه المشكلات الخارجية والداخلية من قاعدة صحيحة ، وأن نصل فيها إلى النتائج الحاسمة ، التى تحفظ علينا إسلامنا ، وترهب اللئيم الغادر ، والمستعمر الغاشم ، وتضمن لنا البقاء العزيز ، والمكانة السامية أن نعمل شعوبا وحكاما ، أفرادا وجماعات على وحدة المسلمين إذ بالوحدة عزوا ، وبها سادوا ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾[٢] ﴿ إنما المؤمنون إخوة

---

(١) الآية ١١٨ من آل عمران .

(٢) الآية ٩٢ ــ الأنبياء .

فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾[١]

متى أدركنا ذلك سمونا على أحقادنا ، وارتفعنا إلى مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقنا ، وانطلقنا فى إرادة قوية ، وعزيمة صادقة للعمل للدين ، والعمل للدنيا : ﴿ وأطيعو الله وأطيعوا الرسول ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾[٢] . ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾[٣] . ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾[٤] .



---

(١) الآية ١٠ الحجرات .

(٢) الآية ٤٦ ــ الأنفال .

(٣) الآية ١٠٥ ــ التوبة .

(٤) الآية ٤٠ ــ الحج .

الباب الثالث

التبشير

الباب الثالث

التبشـــــير

لماذا زحف المبشرون على العالم الإسلامى ؟

أهم المؤسسات التبشيرية وأثرها .

مؤتمر « ونبرج » والمستشرق « جب » والمبشر « تكلى » والقسيس « صمويل زويمر » يشيدون بأثرها .

الإمام محمد عبده يحذر من آثار المؤسسات التبشيرية التعليمية .

نشاط المؤسسات التبشيرية فى عقد المؤتمرات لترويج مبادئها .

من رسائل مؤتمر الخريجين بالقاهرة .

الدعوة السافرة فى الخروج على المقررات العلمية والمعتقدات والاقتداء بمصطفى كمال ... من هو مصطفى كمال ؟

خلاصة ماتدعو إليه هذه الرسائل . تفنيد المفتريات .

الاتجاه إلى إنشاء جامعة فرنسية .

المليونير اليهودى الأمريكى « روكفلر » يحاول إنشاء معهد للدارسات الفرعونية بالقاهرة .

كفى ماجره الاستعمار باسم العلم من ويلات ...

من مظاهر نشاط المبشرين فى القارة الخضراء .

المبشرون يعجبون من سرعة انتشار الإسلام .

لماذا ينتشر الإسلام وليس لنا نشاطهم ؟

الكاردينال : « لافيجرى » يتحدث عن البساطة التى ينتشر بها الإسلام وسر تقبل الناس لتعاليمه .

أثر تعاليم الإسلام فى الهداية . لماذا أسلم هؤلاء ؟

المبشر « لورانس براون » يعلن حقده على الإسلام ؟ المبشرون يعقدون المؤتمرات لوقف انتشار الإسلام . دعوات فاجرة لوقف انتشار الإسلام فى القارة الخضراء . لماذا يحتضن الاستعمار الطرق الصوفية . الطرق الصوفية الواعية تقاوم الاستعمار وتنشر الإسلام . قرار المجمع المسكونى يتعارض مع مقرراتهم الدينية . دور الصهيونية العالمية فى اتخاذ هذا القرار حركة التبشير فى الهند . أهدافها ومظاهر نشاطها . التبشير بين المسلمين فى أوروبا . نشاطات معادية للإسلام . أخطر المبشرين فى الشرق الأوسط : القسيس صمويل زويمر .

تقريراته وخطبه ونشاطه فى خدمة المسيحية والاستعمار . واجب المسلمين بعد تحالف المسيحية مع الصهيونية العالمية فى القضاء على الإسلام والمسلمين .



لماذا زحف المبشرون على العالم الإسلامى ؟

تناولنا فى الباب الثانى الحديث عن الاستشراق أحد قوى الشر المتحالفة ، ونتناول فى الباب الثالث الحديث عن شقيقه التوأم التبشير فلماذا زحف المبشرون على العالم الإسلامى ؟

زحف المبشرون على البلاد الإسلامية ، للتنفيس عن الهزائم التى حلت بالمسيحية كما يقول اليسوعيون : « ألم نكن نحن ورثة الصليبيين ، أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرّب التبشيرى ، والتمدن المسيحى ، ولنعيد فى ظل العلم الفرنسى وباسم الكنيسة مملكة المسيح » (١) .

زحف المبشرون ليقوموا بتلك المهمة ، يؤيدهم الاستعمار بماله الوفير ، وجاهه العريض ، ونفوذه القوى ، مستعينين بوسائلهم المتعددة ، وحيلهم البارعة ، وأساليبهم المخدرة فأقاموا المدارس والمعاهد والجامعات ، وشيدوا دور البر والحضانة والمستشفيات ، وعقدوا الندوات والمؤتمرات بجانب الإذاعة والصحافة ودور الطباعة والنشر والفرق الكشفية والرياضية .

وأول جمعية أسست للتبشير فى العالم الإسلامى هى « جمعية لندن التبشيرية » فقد تأسست سنة ١٧٩٥ م ، ثم تتابعت الجمعيات التبشيرية فى « اسكوتلنده » و « نيويورك » و « الدنمرك » و « هولانده » و « السويد » و « النرويج » و « سويسرا » وغيرها من بلاد الغرب .

أهم المؤسسات التبشيرية وأثرها :

ومن أهم المؤسسات التبشيرية المدارس والمعاهد العلمية الموجودة فى العالم الإسلامى والجامعات الأمريكية الموجودة فى كل من بيروت والقاهرة وحلب

(١) التبشير والاستعمار ص ١١٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ .

واستانبول وبغداد ، بالإضافة إلى الجامعة اليسوعية الموجودة فى بيروت .

ولايغرنك ماتتظاهر به من خدمة العلم ونشره ، لأن هذه الشعارات تخفى وراءها الغايات ، التى أفصحت عنها الجامعة الأمريكية فى بيروت ، وذلك فى المنشور الذى أصدرته فى عام ١٩٠٩ حينما احتج الطلبة المسلمون بالإضراب عن الدراسة لأنهم كانوا يحملون على الدخول يوميا إلى الكنيسة للصلاة وفقا للطقوس المسيحية وقد جاء فيه :

« إن هذه كلية مسيحية ، أسست بأموال وشعب مسيحى ، هم اشتروا الأرض ، وهم أقاموا الأبنية ، وهم شيدوا المستشفى وجهزوه ، ولايمكن للمؤسسة أن تستمر إذا لم يسندها هؤلاء ، وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليما يكون الإنجيل من مواده ، فتعرض منافعه الحقيقية على كل تلميذ .

وكل طالب يدخل مؤسستنا يجب عليه أن يعرف مسبقا ماذا يطلب منه »[١] .

وبهذه المناسبة أعلن مجلس الأمناء فى الكلية منشورا يلتقى مع المنشور السابق فى وحدة الهدف جاء فيه :

« إن الكلية لم تؤسس للتعليم العلمانى ، ولالبث الأخلاق الحميدة ، ولكن أولى غاياتها أن تعلم الحقائق الكبرى التى فى التوراة ، وأن تكون مركزا للنور المسيحى ، والتأثير المسيحى ، وأن تخرج بذلك على الناس »[٢] .

لاشك أن من يقرأ ماجاء فى المنشور ، وما أعلنه مجلس الأمناء يجد النوايا واضحة ، والأهداف ظاهرة وهى نشر الحقائق التى فى التوراة والتعاليم التى فى

---

(١) التبشير والاستعمار ص ١١٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٢) التبشير والاستعمار ص ١١٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ .

الإنجيل ، وأن تكون هذه الجامعات مركزا للنور المسيحى والتأثير المسيحى أما التعليم والأخلاق الفاضلة فليست لها هدفا وإنما هى عناوين تجذب الانتباه ، وتثير الرغبة فى البحث والدرس .

ولقد نجحت هذه الجامعات المعادية للإسلام ، والخادمة لمصالح الاستعمار ، الذى شن الحروب الصليبية ليقضى على الإسلام فى دياره ، وليطعنه فى مأمنه .

تلك الجامعات التى تحتل مركز الصدارة من مؤسساتنا التعليمية ، وتلتحق بها الفئة المختارة من أبنائنا وبناتنا ليتعلموا مايضرهم ولاينفعهم ، ويتخرجوا منها وقد حملوا أسوأ فكرة عن دينهم وعقيدتهم ، وتنكروا لقيمهم وتقاليدهم .

نجحت تلك الجامعات فى إيجاد شخصيات مسلمة تتبنى الأفكار والمبادىء المعادية للإسلام ، وكثيرا ماتتبوأ هذه الشخصيات مراكز النفوذ والحكم فى البلاد وعندئذ يستطيع دعاة التبشير أن يحققوا عن طريق هؤلاء مايريدون دون أن يشعر بهم أحد .

لأن تلك الشخصيات ليست مجالا للطعن فيها ، ولأنها تتمتع بالمحبة والتقدير ، فكان كلامها أقرب إلى النفس ، وأبعد عن الريبة .

وقد نوه بالدور الذى تقوم به هذه المعاهد العلمية ، التى أسسها المبشرون ماقررته اللجنة التى ألفها مؤتمر « ونبرج » التبشيرى فقد جاء فى القرار :

« اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى فى عاصمة تركيا على أن معاهد التعليم التى أسسها الأوروبيون فى البلاد الإسلامية كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية[١]

---

(١) المسألة الشرقية : تعبير استعملته الكتب الغربية فى تاريخها للفترة الأخيرة من الخلافة العثمانية ، ويقصدون بحلها القضاء عليها لأنها كانت رغم ماحلّ بها رمزا لوحدة العالم الإسلامى ، كما كانت قوة تخشاها أوروبا ، وتعمل حسابها ولقد استطاعوا القضاء عليها بمساعدة حلفهم =

يرجح على تأثير العمل المشترك الذى قامت به أوروبا كلها » [١] .

كما نوه بالدور الذى تقوم به هذه المعاهد المستشرق « جب » فقال :

« لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئا فشيئا حتى انحصرت فى طقوس محددة ، وقد تم معظم هذا التطور تدريجيا عن غير وعى وانتباه وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد ، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه ، لكن نجاح هذا التطور يتوقف إلى حد بعيد على القادة والزعماء فى العالم الإسلامى ، وعلى الشباب منهم خاصة .

وكل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمى والثقافى العلمانى » [٢] .

ويقول المبشر « تكلى » :

يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربى العلمانى ، لأن كثيرا من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية ، وتعلموا اللغات الأجنبية »

ويقول القسيس الداهية الدكتور « صمويل زويمر » :

« مادام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية ، فلا بد أن ننشىء لهم المدارس العلمانية ، ونسهل لهم الالتحاق بها .

هذه المدارس التى تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب »

ويعترف بذلك مبشر آخر هو : أ . ل . شاتليه فى مقدمة كتابه ، « الغارة

= مصطفى كمال » وسيأتى الحديث عنه والدور الذى قام به فى الخروج على الإسلام ، والتنكر للعربية ، والانسلاخ عن العالم الإسلامى ، والسير فى ركب الغرب الصليبى .

(١) مجلة الأزهر المجلد (٢٤) ص ٩٧٦ .

(٢) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر للدكتور الفاضل محمد حسين ص ٢٠٤ — ٢٠٦ .

على العالم الإسلامى » إذ يقول : ينبغى لفرنسا أن يكون عملها في الشرق مبنيّا قبل كل شىء على قواعد التربية العقلية ، ليتسنّى لها توسيع نطاق هذا العمل والتثبيت من فائدته . ويجدر بنا لتحقيق ذلك بالفعل أن لا نقتصر على المشروعات الخاصة التي يقوم الرهبان المبشرون وغيرهم بها ، لأن لهذه المشروعات أغراضا اختصاصية ، ثم ليس للقائمين بها حول ولا قوة في هيئتنا الاجتماعية التي من دأبها الاتكال على الحكومة وعدم الإقبال على مساعدة المشروعات الخاصة التي يقوم بها الأفراد فتبقى مجهوداتهم ضئيلة بالنسبة إلى الغرض العام الذي نحن نتوخّاه ، وهو غرض لا يمكن الوصول إليه إلا بالتعليم الذي يكون تحت الجامعات الفرنساوية ، نظرا لما اختصّ به هذا التعليم من الوسائل العقلية والعلمية المبنية على قوة الإرادة .

وأنا أرجو أن يخرج هذا التعلم إلى حيّز الفعل ليبثّه في دين الإسلام التعاليم المستمدة من المدرسة الجامعة الفرنساوية » .

جاء في كتاب « المشكلة الشرقية » طبع لندن عام ١٩٥٧ م ما يلي : « لا شك أن المبشرين فيما يتعلق بتخريب وتشويه عقيدة المسلمين قد فشلوا تماماً : ولكن هذه الغاية يمكن الوصول إليها من خلال الجامعات الغربية ، فيجب أن تختار طلبة من ذوي الطبائع الضعيفة والشخصية الممزقة ، والسلوك المنحل من الشرق ، ولا سيما من البلاد الإسلامية ، وتمنحهم المنح الدراسية ، وحتى نبيع لهم الشهادات بأي ثمن ، ليكونوا المبشّرين المجهولين لنا ، لتأسيس السلوك الاجتماعي والسياسي الذي نصبوا إليه في البلاد الإسلامية . إن اعتقادي القويّ بأن الجامعات الغربية يجب أن تستغل استغلالاً تاماً جنون الشرقيين بالدرجات العلمية والشهادات واستعمال أمثال هؤلاء الطلبة كمبشّرين ووعّاظ ومدرسين لأهدافنا ومآربنا باسم تهذيب المسلمين والإسلام .

واسمع ما هو أدهى وأمر فى بيان ما انطوت عليه نفوسهم من آمال على إنشاء الجامعات والأسلوب الذى ينبغى أن يتبع فى اختيار الطلبة ليكونوا لهم أكبر عون

فى تنفيذ مخططاتهم ...

هذا ولم يغب عنهم إنشاء المدارس لتعليم البنات فعملوا على نشرها إيمانا منهم ببالغ أثرها ، وعظيم خطرها لاسيما مدارس البنات الداخلية ، لما يكون فيه من الأحوال المواتية والفرص المناسبة حيث تكون الصلة الشخصية بالطالبات أوثق ، ولأنها تنتزع البنات من سيطرة بيئة إسلامية ، إلى هيمنة بيئة مسيحية ، تؤثر فيهن ، وتنفث فيهن سمومها تلك السموم التى يحملنها إلى بيوتهن ، وينشئن عليها أولادهن فى مستقبل حياتهن .

تقول المبشرة : « آنا ميليفان » :

« فى صفوف كلية البنات فى القاهرة ، بنات آباؤهن باشوات وبكوات ، وليس ثمة مكان آخر ، يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات ، تحت النفوذ المسيحى ، وليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة » .

ولقد حذر الإمام محمد عبده طيب الله ثراه من العواقب الوخيمة التى تترتب على الالتحاق بتلك المؤسسات التعليمية فقال :

« ... فلاترى من البقاع إلا فيها مدرسة للأمريكان أو اليسوعيين أوالعزارية أو الفرير أو لجمعية أخرى من الجمعيات الدينية والأوروبية .

والمسلمون لايستنكفون من إرسال أولادهم إلى تلك المدارس طمعا فى تعليمهم بعض العلوم المظنون نفعها فى معيشتهم ، أو تحصيلها بعض اللغات الأوروبية التى يحسبونها ضرورية لسعادتهم فى مستقبل حياتهم .

ولم يختص هذا التساهل المحزن بالعامة والجهال ، بل تعدى المعروفين بالتعصب فى دينهم ، بل لبعض ذوى المناصب الدينية الإسلامية .

وأولئك الضعفاء أولاد المسلمين ، يدخلون إلى تلك المدارس الأجنبية فى سن

السذاجة ، وغرارة الصبا والحداثة ، ولايسمعون إلا مايخالف أحكام الشرع المحمدى ، بل لايطرق أسماعهم إلا مايزرى على دينهم ، وعقائد آبائهم ...

فلا تنقضى سنو تعليمهم ، إلا وقد خوت قلوبهم من كل عقد إسلامى ، وأصبحوا كفارا تحت حجاب اسمه الإسلام .

ولايقف الأمر عند ذلك ، بل تعقد قلوبهم على محبة الأجانب ، وتنجذب أهوائهم إلى مجاراتهم ، ويكونون طوعا لهم فيما يريدونه منهم ، ثم ينفثون ماتدنست به نفوسهم بين العامة بالقول والعمل ، فيصيرون بذلك ويلا على الأمة ، ورزية على الدولة نعوذ بالله ... »

نشاطهم فى عقد المؤتمرات :

وكما عملوا على إنشاء المدارس والمعاهد لتقوم بمهامها فإن الجامعات كثيرا ماكانت تعقد المؤتمرات التى يمكنها عن طريقها الترويج لمبادئها ، ونشر أفكارها .

من تلك المؤتمرات المؤتمر الذى عقده خريجو الجامعات الأمريكية فى القاهرة منذ سنوات لبحث قضايا الوطن العربى كما يزعمون ، وأعدت له الرسائل التى ستعرض للمناقشة ، وهى حافلة بالتنكر للإسلام ، والتشكيك فى تعاليمه ، وعدم ملاءمتها للحياة المعاصرة ، والدعوة إلى الانتماء فى أحضان الغرب وترسم خطاه ، وبذلك وحده ينهض المسلمون من كبوتهم ، ويشعرون بالسعادة التى ينعم بها الغرب .

ويطول بنا القول لو استعرضنا هذه الرسائل ، وبيان ماتحمل من دعوات هدامة ، ومبادىء تتنافى مع المقررات الإسلامية ، وحسبنا أن نذكر فى إيجاز ماحوته رسالة الأستاذ : « ماجد فخرى » والأستاذ « جبران شامية » عضوا المكتب الدائم للمؤتمر كمثال لتلك الرسائل التى تحارب الإسلام فى ضراوة ،

وتدعو إلى التخلص منه دون حياء .

حمل الأستاذ ماجد فخرى على الإمامين الجليلين محمد عبده ورشيد رضا حملة قاسية حيث قررا صلاحية مارسمه الإسلام من تعاليم ، وماجاء به من نظم لعالمنا الحاضر .

وحيث أرجعا تخلف المسلمين عن ركب المدنية إلى عدم الأخذ بتعاليمه التى شملت جميع نواحى الحياة ويرى أن سبب التخلف راجع إلى فساد الجهاز الإسلامى نفسه فى الأنظمة الفكرية والتشريعية التى رسمها ، ويرى عدم غنائها مع تطور العصور ، والتقدم ولهذا يجب علينا أن نولى وجوهنا شطر الغرب المسيحى نستمد منه أفكارنا ونقيم حياتنا .

كما يحمل على التشريع الإسلامى حيث جعل نصيب المرأة فى الميراث على النصف من نصيب الرجل ، ويرى أن فى هذه التفرقة إجحافا بالمرأة فلا تصلح للمجتمعات التى ساوت بينها وبين الرجل فى الحقوق والواجبات المدنية ، وفى فرص تحصيل المعاش ، وجزاء العمل الخ ، وينبغى أن تتغير الأحكام بتغير الأزمان ، وظروف الحياة .

أما زميله الأستاذ جبران شامية فيدعو فى رسالته إلى سلب الدين كل سلطة ، ووجوب إبعاده عن مجال الحياة ، وإلى جعل الحكم علمانيا خالصا ، ويعزو نكبة فلسطين إلى أننا مازلنا نحيا على التراث الدينى الذى خلفته القرون الوسطى ، كما يدعو إلى تجميد الوضع الفلسطينى ، وبقائه على حالته ، والكف عن المحاولات المستمرة لحسم هذه المشكلة حتى ينشأ الاتحاد العربى وهو وحده الكفيل بحل القضية الفلسطينية كما يهيب بنا أن نحذو حذو « مصطفى كمال » الذى وضع هو ورفاقه أسس نهضة تركيا الحديثة ، على أساس التخلص من القيود الدينية ، واللحاق بالمدنية الغربية .

فمن هو مصطفى كمال الذى يدعونا الأستاذ جبران شامية إلى الاقتداء به ، والسير على المنهج الذى سلكه فى الخروج السافر على الإسلام ، والتنكر العنيف لقيمه وتعاليمه ولغته .

مصطفى كمال :

هو الذى قبل فى سبيل بقائه رئيسا لتركيا الحديثة شروط الحلفاء المعروفة بشروط « كيرزون » وتقضى بقطع صلة تركيا بالعالم الإسلامى عامة ، وبالعرب خاصة ، وأن يلغى نظام الخلافة الإسلامية ، وأن يحكم الشعب بدستور تقدمى لاصلة تربطه بالإسلام ، وأن يطرد من تركيا أنصار الخلافة والفكرة الإسلامية .

وحينما وقف كرزون فى مجلس العموم البريطانى يستعرض الأحداث فى تركيا احتج بعض النواب الإنجليز على كرزون صاحب تلك الشروط القاسية ، واستغربوا كيف اعترفت بريطانيا باستقلال تركيا بعد سقوطها وخشوا أن تجمع حولها الدول الإسلامية ، وتحاول الهجوم على الغرب .

قال كرزون :

لقد قضينا على تركيا التى لن تقوم لها قائمة بعد اليوم ... لأننا قضينا على قوتها المتمثلة فى أمرين : الإسلام والخلافة .

فصفق له الجميع حيث حقق لهم حلما من أشهى أحلامهم . [١] .

مصطفى كمال :

الذى فرض على تركيا المسلمة العمل بالقانون السويسرى من غير أن ينقيه من النصوص التى لاتتفق والشريعة الإسلامية فى أحكام الطلاق والمواريث وزواج المسلمة بغير المسلم ، وزواج الأخوين فى الرضاعة .

---

(١) كيف هدمت الخلافة ــ ص ١٩٠ .

مصطفى كمال :

الذى نص فى دستور الجمهورية التركية الذى وضعه فى مادته الثانية بأنها دولة قومية ديمقراطية علمانية — أى أنها تفصل الإسلام عن الحكم ، ولا ترتبط بالإسلام فى تصريف شئونها .

وجاء فى المادة التاسعة عشرة : « .. كما لايجوز الاستناد إلى التعاليم الدينية لتأييد نظام الدولة الاجتماعى أو الاقتصادى أو السياسى أو القانونى . وكل من يخالف ذلك ، أويدفع الغير إلى مخالفته يعاقب وفقا للقانون .

« مصطفى كمال »

هو الذى حارب اللغة العربية لغة القرآن الكريم فاستبدل الكتابة اللاتينية بالعربية ، وأمر بأن يكون الآذان والصلاة باللغة التركية ، وأغلق عددا كبيرا من المساجد ، وحول مسجد « أيا صوفيا » إلى متحف ، ومسجد محمد الفاتح إلى مستودع ، وهدم أحد المساجد لأن العازفين على الموسيقى أوقفوا العزف حينما سمعوا المؤذن يدعو إلى الصلاة .

« مصطفى كمال »

هو الذى حرم التعليم الدينى فى المدارس ، وأغلق المعاهد العليا التى أنشئت لتخريج علماء الدين ، واستبدل التقويم الجريجورى بالتقويم الهجرى ، وجعل يوم الأحد العطلة الرسمية الأسبوعية.

« مصطفى كمال »

هو الذى ألغى وزارة الأوقاف ، وقاوم الطرق الدينية ، وحظر حفلاتها واجتماعاتها ، وجرد العلماء من كل سلطة ، وأنزل بهم ألوان الاضطهاد والامتهان ، وعلق الكثير منهم فى المشانق ، وحمل الكثير منهم على الهجرة من تركيا .

« مصطفى كمال »

الذى أجبر المرأة التركية على السفور ، وحرم تعدد الزوجات ، وألغى القضاء الشرعى ، وفرض القبعة واللباس الأوروبى ، وجعل الدعوة إلى الحكم بما أنزل الله جريمة كبرى ضد الدولة .

« مصطفى كمال »

الذى قال قولته المشهورة حينما افتتح البرلمان التركى عام ١٩٢٢ م :

« نحن الآن فى القرن العشرين لانستطيع أن نسير وراء كتاب تشريع يبحث عن التين والزيتون » .

فصفق له الدونمة[١] ورددوا مع شاعرهم « فاروق نافذ » : « سلمنا البلاد لأيدى « أتاتورك » وتركنا الكعبة للعرب » .

« مصطفى كمال »

الذى جعل الحج إلى بيت الله الحرام شبه ممنوع ، ومنع عرض الصور التقليدية للكعبة ومكة والمدينة ، وشدد فى عقاب من يطبعها أو يبيعها .

« مصطفى كمال »

الذى قال بعد أن قضى على استعمال اللغة العربية : « إن لغتنا الجميلة تبرز ساطعة بالحروف الجديدة ، وإن من الضرورى التخلص من إشارات لا تفهم ،

(١) الدونمة : اليهود الذين هاجروا إلى تركيا بعد انكسار الإسلام فى أسبانيا وادعوا المسيحية فرارا من اضطهاد الفرنجة فعاشوا فى تركيا تحت اسم الدونمة ، ويسميهم المسلمون الأتراك : « الطابور الخامس » ويقول عنهم « إسحاق ابن زفى » الرئيس السابق لإسرائيل : هؤلاء الدونمة عاشوا فى تركيا بوجه ظاهرى مسلم ، وبحقيقة باطنة يهودية ، وكان منهم الوزراء والنواب والمدرسون بالجامعة ، وشيوخ الفقه والتفسير والتصوف ، وكان هؤلاء الدونمة نواب حزب الاتحاد والترقى الذى صنع « مصطفى كمال أتاتورك » ودفع به إلى الثورة التى غيرت الوجه الإسلامى لتركيا .

حبست عقولنا من عصور فى نطاق ضيق من حديد » .

إلى غير ذلك من الجرائم التى ارتكبها فى حق الإسلام والعروبة ، ولقد قال عنه « أرمسترونج » فى كتابه « الذئب الأغبر » أنه طالما أوضح لأصدقائه أنه يرى وجوب اقتلاع الدين من تركيا .

وقال عنه أحد الضباط الأتراك فى كتابه[1]« الرجل الصنم » والذى ترجمه إلى العربية الأستاذ عبد الله عبد الرحمن فكان أول كتاب بالعربية عن حياة أتاتورك بالتفصيل تحت عنوان : كلمة أخيرة : « إن هذا الرجل الذى كان ابنا غير شرعى ... وبعيداً من أن يكون تركيا .. هذا الرجل الذى لم يكن له مثيل فى عبادته لنفسه ، وفى شهوته للحكم .

هذا الرجل الذى لم يحمل أية فكرة ، ولا أية أيديولوجية .

هذا الرجل الذى كان مستغلا ونصابا وسارقا ، بالمفهوم المعنوى وبالمفهوم المادى — وقاتلا وجبانا وغارقا فى الفحش ...

ثم لو جمعنا كل هذه الأمور لما بلغت شناعتها جزءا من المليون شناعة بيعه لمقدسات هذه الأمة .

هذا الرجل الذى كان عدوا لله فى أفظع صور العداوة ... فى صورة عداوته للرسول الحبيب ، وفى صورة هدمه للإسلام .

لمثل هذا الرجل أى تعريف يستطيع أن يحيط به ؟.

إن رئيس الوزراء[2]الأخير — والذى مشى خلف التابوت الرصاصى .. قال مرة : « إن حبه عبادة » .

---

(١) صحيفة ٥٤٣ ، ٥٤٤ .

(٢) المقصود هو : « عصمت اينونو » . إذ كان حين وضع المؤلف كتابه رئيسا للوزراء .

بينما نقول : « إن بغضه عبادة ، وإن أى فرد لا يحمل فى قلبه بغضا له لا يحمل إيمانا فى قلبه أى أن بغضه دخل ضمن أصول الإيمان .

إن هذا الرجل الذى قال مرة : « سنمكن الأعداء فى حريم الوطن » والذى باع حرمة الوطن ومقدساته للصليبيين .. هذا الرجل إن لم يدخل تابوته الرصاصى فى طائرة ويقذف به بعيدا عن هذا الوطن ... أى إن لم ينظف هذا الوطن منه فلا خلاص لتركيا ، ولا خلاص للعالم الإسلامى الذى يحاول تقليد تركيا .

« مصطفى كمال ».

صاحب تلك الصحائف ... هو الذى يدعونا الأستاذ «جبران شامية » إلى أن نتخذ منه مثلنا الأعلى فى الإصلاح والتنكر للإسلام ، والارتماء فى أحضان الغرب المسيحى . وخلاصة مايدعو إليه الأستاذان : جبران شامية ، وماجد فخرى هو أن نتحلل من ديننا لعدم ملاءمته الحياة ، وأن نقبل على الغرب الصليبى فنقفوا أثره فى كل مظهر من مظاهره ، وفى كل شأن من شئونه ، وبدون ذلك لن تقوم للمسلمين قائمة ، ولايتوقع لهم نجاح .

تفنيد مفترياتهما :

وفى الرد على أمثالهما يقول الإمام المراغى فى تفسيره لسورة الحجرات :

« ومن الخطأ كل الخطأ أن يظن ظان أن تأخر المسلمين نشأ عن دينهم ، كلا ! فإن فى دينهم من الأخلاق الكاملة الفاضلة ، ومن الحث على العلم ، ومن الأمر بتسخير ما خلقه الله للإنسان ، ومن النظم الدقيقة للمجتمع ، ومن الأوامر التى تحث على البذل والصدقة ، والتضحية فى سبيل الله مالا يوجد عند غيرهم .

ومن الحق أنهم تركوا دينهم فذلوا ، وتركوا هدى الرسول فضلوا . ولعل العبر الماثلة الآن تفتح عيون المسلمين ، وتبصرهم أن الخروج عن الدين ، واتباع المذاهب الضالة ، هو سبب مافى العالم من شرور قد تطوح بالإنسانية إلى الدرك

الأسفل ، كما تطوح بأصحابها فى الآخرة إلى النار » .

ويقول الأستاذ أنور الجندى فى كتابه : « مشكلات الفكر المعاصر فى ضوء الإسلام » ص ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٧ : « وقد علت أصوات ظالمة ، تحاول أن تقنع المسلمين والعرب ، بأن الدين معوق عن التقدم ، ومانع من النهضة ، وأن على المسلمين والعرب إذا أرادوا التقدم أن ينفصلوا عنه ، ولاريب أن تلك الأصوات ليست صادقة فى دعوتها ، وأيضا ليست صادقة من الوجهة العلمية الصحيحة ، وذلك أن خروج أمة من مقدراتها وقيمها ، ومزاجها النفسى ، لن يكون بحال من الأحوال ، عاملا من عوامل تقدمها ، وإنما يكون عامل استعبادها وإذلالها وانصهارها فى بوتقة النفوذ الاستعمارى الواسع الذى يريد أن يحتويها ويذيبها »

« إن الإسلام لم يكن عامل تأخير أو جمود بله عامل تقدم ، وليس الإسلام هو الذى وقف ويقف أمام تقدم العلم ، أو تطور المجتمعات ، أو نهضة الأمم ، لأنه كان بطبيعته المصدر الأول للبحث العلمى ، والمنشىء الأساسى للمذهب العلمى التجريبى الحديث ، بل إن الحضارة الإسلامية التى أقامها ، إنما كانت نتاج الإيمان بالله ، وتحقيق دعوة الله الداعية إلى النظر فى الآفاق ، واستطلاع أسباب القوة ، والعمارة فى الأرض ، وقد أكدت كل الأحداث التاريخية ، والدراسات العلمية أن الإسلام قادر على إعطاء طابع الحركة والبناء فى مجال التقدم فى ظل مفهومه الجامع المتكامل . مفهوم التقدم على جميع الجبهات ، دون إعلاء الجانب المادى وحده ، أو تضحية الجانب المعنوى من أجل الجوانب الأخرى ، ومن هنا فقد سقطت النظرية الوافدة ، التى حملها كثير من الكتاب ، والتى كانت تدعو إلى تبرير مفهوم التقدم الغربى ، هذا المفهوم الذى يفتح الباب لذوبان المسلمين ، وملاشاة شخصيتهم » .

ثم يختم كلمته الموفقة بقوله :

« وإذا وصف المسلمون فى العصور الأخيرة بالتخلف ، فليس هناك من دليل علمى يؤكد أن الإسلام كان مصدر هذا التخلف بينما هناك عشرات الأدلة على أن هذا التخلف كان مصدره انحراف المسلمين عن الإسلام فى مناهج حياتهم الاجتماعية والسياسية والتربوية وغيرها .

وتكذّب كل الوقائع مايذهب إليه كتاب الاستعمار ، ودعاة التغريب ، وخصوم العرب والمسلمين من أن التخلف فى العالم الإسلامى ، إنما يعود إلى جوهر الإسلام الداعى إلى التقدم والنهضة ، والذى حين طبق تطبيقا صحيحا ، بهر الدنيا بما قدم لها من آيات العلم والفن ، وما شكلت حضارته من حياة كانت غاية فى السماحة والحيوية ، والإنتاج والبناء فى شتى المجالات فى الحياة » .

كما تكفل الأخ الداعية الشيخ محمد الغزالى بارك الله فى حياته وجزاه عن الإسلام خير الجزاء فى كتابه « ظلام من الغرب » بالرد على تلك الآراء العفنة والدعوة الآثمة ، وأبان ماتنطوى عليه من بالغ الخطورة ، وسيىء الآثار فارجع إليه .

وبعد فهذه المدارس والمعاهد والجامعات ، وهذه المؤتمرات هى أهم المؤسسات التبشيرية التى يعول عليها الاستعمار ، فى بسط نفوذه ، من اقتلاع الإسلام من جذوره ، وتفتيت الكيان الإسلامى إلى دويلات صغيرة ، وبث الانحلال الخلقى والفكرى والدينى بين شعوبه ، والسيطرة على ثرواته ، ومواقعه الاستراتيجية .

ومما يبعث على الأسى ، ويثير كوامن الحسرة أننا نسمح بإقامتها بين ظهرانينا دون أن نقدر أهدافها ومراميها ، بل وكثير منا يرى أنها حاملة لواء العلم والمعرفة ، والتوجيه والإصلاح فى عالمنا المنكوب وفى وطننا الإسلامى المضيع ، كما نسمح بإقامة المستشفيات باسم العلاج ، وهى مكان للتبشير والإضلال .

هذا وإن مما يضاعف الأسى ، ويزيد من كوامن الحسرة ما سمعناه من أن هناك اتجاها لإنشاء جامعة فرنسية فى مصرنا العزيزة على غرار الجامعة الأمريكية بها :

وكأن جامعاتنا التى انتشرت فى تلك الفترة فى طول البلاد وعرضها ، وأصبحت تسد الحاجة أصبحت فى حاجة إلى المزيد .

ولقد حاول من قبل المليونير اليهودى الأمريكى « روكفلر » إنشاء معهد للدراسات الفرعونية ، يعين على سلخ مصر من عروبتها وإسلامها ، ويناهض به الأزهر الذى يحمل لواء الإسلام والعروبة فأوفد سنة ١٩٢٦ م الأديب الأمريكى « برستد » ليعرض على مصر عشرة ملايين من الدولارات لتأسيس هذا المعهد[١] . ولكنه لم يجد فى مصر حينذاك أذنا واعية فعاد كاسف البال ، قليل الرجاء .

ونرجوا ألا يجد هذا الاتجاه سبيله إلى التنفيذ ، وكفى ماجره الاستعمار علينا باسم العلم من مآسى وويلات ، زعزعت عقائدنا ، وبعثرت جهودنا ، وفتت وحدتنا ، وباعدت بيننا وبين الحياة العزيزة ، وأطمعت فينا من لايرقب فينا إلا ولاذمة ، ولايحفظ لنا عهدا ، ولايقيم لنا وزنا ، وجعلتنا لقمة سائغة فى أفواه اللئام الفجرة من المستعمرين ، والصهيونيين والشيوعيين .

من مظاهر نشاط المبشرين فى القارة الخضراء :

للمبشرين أينما حلوا نشاطهم الذى لا يجارى ، وعزيمتهم التى لا يعتريها فتور

(١) فى وكر الهدامين للدكتور النابه محمد محمد حسين ص ٢٧ .

ملحوظة : راجع فى ماكتبناه عن « مصطفى كمال » صحيفة ١٧٦ من كتاب « يقظة العرب » لجورج انطونيوس والجزء الخامس صحيفة ١٦ ومابعدها من كتاب « تاريخ الشعوب الإسلامية » تأليف « كارل بروكلمان » وصحيفة ٨٦ من كتاب « ظلام من الغرب » للداعية الشيخ محمد الغزالى . ومقال : « الأكفان ليس لها جيوب » المنشور فى الأهرام فى ١٥ — ١٠ — ١٩٨٤ للدكتور مصطفى محمود .

ولكنهم يجدون فى القارة الخضراء ، أو القارة السوداء كما يحلو لهم أن يطلقوها عليها أرضا خصبة لغرس سمومهم ، وسوقا رابحة لترويج بضاعتهم ، لأنهم يعملون تحت إشراف هيئة مركزية واحدة : « حاضرة الفاتيكان » التى أعدتهم للتبشير بالنصرانية بعد أن اجتازوا مراحل طويلة من الإعداد والتدريب مع الدراسة الدينية والنفسية والاجتماعية ، واللغات المتعددة لشعوب القارة الأفريقية .

« والغريب أن بعثات التبشير تشكل تعاونا أوربيا أمريكيا واسع النطاق ، وأن أعضاءها خليط من الدول الاستعمارية التى سيرت جيوشها لغزو الشرق الإسلامى ، والدول التى لم تشارك فى هذا الغزو العسكرى .

فللسويد مثلا نشاط تبشيرى فى أفريقية الشرقية ، وقد أسس المبشرون السويديون أربعين مركزا لنشر المسيحية فى أريتريا البلد الإسلامى المنكوب بالاحتلال الحبشى .

وللنرويج أكثر من خمسمائة مركز للتبشير تمتد حتى مدغشقر .

أما غرب أفريقية فإن ألمانيا تولت نشر النصرانية فيه ، ولها كفاح كبير فى أرجاء غينيا والكاميرون .

ومن أهم الجماعات العامة هناك مؤسسة « بازل » و « برلين » و « مؤسسة الكنائس الإنجليلية » وقد افتتحت عشرات المراكز القوية للتبشير .

وفى سيراليون والكاب وجنوب أفريقية قامت جمعية « نوتردام » الهولاندية بإنشاء عشرين أسقفية مدت نشاطها الصليبى حتى وصل إلى تنجانيقا فى وسط القارة .

فإذا جاء دور أمريكا فى هذا الجهاد العظيم فاعلم أن لها أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة بعثة تعمل فى طول أفريقية وعرضها »[١] .

(١) معركة المصحف للشيخ محمد الغزالى ص ٤٧ ، ٤٨ .

وهذه البعثات التبشيرية بجانب إقامة المدارس والمعاهد والجامعات ، ودور البر والرعاية والمستشفيات والصحافة التى تنشر بلغات متعددة فى كل من نيجيريا وكينشاسا وكمبالا والسنغال وتنزانيا وكينيا وغيرها .

ولم تقتصر الصحافة على الكبار بل إنها أولت الصغار كبير عنايتها ، حيث أخرجت لهم صحفا تناسب مداركهم ، وتنمى فيهم الشخصية التى تليق بالمسيحى الكاثوليكى حسب زعمها ، وذلك باللغة السواحلية لغة السواد الأعظم فى شرق أفريقية ، وبغيرها من اللغات الرسمية والوطنية .

وأقامت منظمة « شبيبة العمال الكاثوليك » التى بدأت فى « دكار » و « الكنغو » عام ١٩٣٩ ثم عممت فى معظم الأقطار الأفريقية .

والحركات الكشفية والرياضية التى ينتسب إليها الآلاف المؤلفة من شباب القارة .

ومما هو جدير بالذكر أن المدينة الرياضية الكبيرة فى « كينشاسا » من فكرة أحد الرهبان التى يعتمد عليها فى تحقيق رسالته التبشيرية .

المبشرون يعجبون من سرعة انتشار الإسلام :

ورغم هذه الجهود التى يبذلها المبشرون ، ورغم وسائل الإغراء ، ورغم أن المسيحية المعاصرة تعترف بتعدد الزوجات للأفريقيين المسيحيين إلى غير حد تشجيعا لهم على البقاء على نصرانيتهم ، وجذبا لغيرهم إلى اعتناق المسيحية رغم كل هذا فإن المبشرين يشكون مر الشكوى من أن جهودهم لاتحقق أهدافهم على النحو الذى يرجونه ، والنشاط الذى يبذلونه .

لأن الإسلام ينتشر بسرعة مذهلة ، والناس يقبلون على اعتناقه بوازع من نفوسهم دون حملات تبشيرية ، ولانشرات دورية ، ولاصحافة تضليلية ،

ولاإرساليات دينية ، تغرى بالمال والنساء ، وتخدع بالعلاج والدواء ، وترهب بالبطش والعذاب ، وتستهوى بالتربية والتعليم ....

ويؤكد هذا المعنى الكونت دى كاسترى فيقول :

« إن الإسلام لم يكن له دعاة مخصصون يقومون بالدعوة إليه ، وتعليم مبادئه كما فى المسيحية ، ولو أنه كان للإسلام أناس قوامون لسهل علينا معرفة السبب فى انتشاره السريع ، فقد شاهدنا الملك « شارلمان » يصحب معه على الدوام فى حروبه ركبا من القسس والرهبان ليباشروا فتح الضمائر والقلوب بعد أن يكون قد باشر فتح المدن والأقاليم بجيوشه ، التى كان يصلى بها الأمم حربا لاهوادة فيها ، ولكننا لانعلم للإسلام مجمعا دينيا ، ولارسلا ، ولا أحبارا وراء الجيوش فلم يكره عليه أحدا بالسيف ولا باللسان » .

لماذا ينتشر الإسلام وليس لنا نشاطهم ؟

لقد غاب عنهم أن عقيدة الإسلام النقية ، وتعاليمه الفاضلة ، وأخوته الصادقة ، وإهداره للفوارق بين الأجناس ، ودعوته إلى التواصى بالحق والصبر ، وترغيبه فى التعاون على البر والتقوى هى التى تحمل الناس على اعتناقه فى يسر وسهولة على أنه لو ظفر منا ببعض نشاطهم لتم نوره على القارة الخضراء ولدخل الناس فى دين الله أفواجا ، ولعادت المؤسسات التبشيرية من حيث أتت تجر أذيال الخيبة والخسران .

ويحدثنا « الكاردينال » « لافيجرى » عن البساطة التى ينتشر بها الإسلام ، وسرعة تقبل الناس لتعاليمه فيقول :

إن الدراويش البسطاء ، والتجار الذين يجوبون تلك الأقطار ، ينشرون الإسلام أينما حلوا ، فيقبل عليهم الناس أيما إقبال ، ويعاهدونهم على الإسلام دون أية مقاومة . كما يحدثنا « موريل » فى كتابه عن نيجريا فيقول :

إن الإسلام لايتطلب من وجهة نظر أهل نيجيريا أن يفقد أحد قوميته ، ولأن يقوض نفوذ الأسرة ، أو سلطة الجماعة .

وليست هناك هوة بين الداعى إلى الإسلام والمهتدى إليه ، فكلاهما متساويان أمام الله ، لانظريا فقط بل عمليا أيضا ، وينفذ مبدأ التآخى الإنسانى تنفيذا عمليا رائعا ، وإن انتشار الإسلام الذى نشهده اليوم فى نيجيريا الجنوبية ليؤثر بصفة خاصة تأثيرا اجتماعيا عظيما .

ويمنح الإسلام من يدخل فيه منزلة أرقى ، وفكرة أسمى من مكانة الإنسان من العالم المحيط به ، ويحرره من ربقة الأحكام والخرافات [1] .

أثر تعاليم الإسلام فى الهداية :

لتعاليم الإسلام السمحة ، وشعائره الجليلة ، وعقيدته الصافية أثر فعال فى الهداية ، ولو ترك الناس أحرارا دون ضغط أوإغراء لما وسعهم إلا اعتناق الإسلام فطرة الله التى فطر الناس عليها .

وهاهو أحد اليهود[2] الذين أعلنوا إسلامهم يحدثنا عن مشهده صلاة الجمعة . وأثره فى نفسه فيقول : « وعندما دخلت المسجد رأيت المسلمين يقفون صفوفا كأنهم الملائكة سمعت هاتفا يقول :

هذه هى الجماعة التى أخبر الأنبياء صلوات الله عليهم بقدومها ، ولما ظهر الخطيب استولى على شعور عميق من الرهبة ، ولما ختم الخطبة بالكلمات :

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾[3] .

---

(١) الدين العالمى ومنهج الدعوة إليه للشيخ عطية صقر ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) هو سعيد بن الحسن كان من يهود الاسكندرية وأسلم سنة ١٢٣٨ هـ .

(٣) الآية ٩٠ من سورة النحل .

ولما بدأت الصلاة أحسست بقوة تدفعنى إلى النهوض ، لأن صفوف المسلمين بدأت أمامى كأنها صفوف الملائكة الذين يتجلى الله القدير فى سجداتهم وركعاتهم ، ثم سمعت هاتفا يهتف بى : إذا كان الله قد تحدث إلى بنى اسرائيل مرتين فى كل العصور فإنه يتحدث إلى هذه الجماعة فى كل وقت من أوقات الصلاة ، وأيقنت فى نفسى أنى خلقت لأكون مسلما »[1] .

ويحدثنا الحاج « موسى كسولى » أحد أبناء يوغند الذين اعتنقوا الإسلام ، وأدى فريضة الحج عما جذبه إلى الإسلام فيقول :

أول مافتح الله بصيرتى للإسلام ، أننى لاحظت أن المسلمين عندما يريدون تأدية الصلاة والعبادة ، يقومون بتنظيف أعضائهم وغسلها من الأدارن ، ثم يذهبون فيضع كل منهم أشرف عضو فى جسده وهو وجهه على الأرض خشوعا لله ، وقارنت بين مايفعلونه ، وبين عبادة النصارى التى لاتشترط الطهارة ، والتى ليس فيها سجود ، فكان ذلك أول مااسترعى انتباهى ، وكان أول مافتح الله به على ، وهدانى بسببه إلى الإسلام »[2] .

كما يحدثنا إبراهيم خليل أحمد الذى أعد ليكون مبشرا ومسئولا عن الحركة التبشيرية فى مصر وكان له نشاط تبشيرى واسع مما دعا الإرسالية التبشيرية الألمانية والسويسرية لانتدابه أمينا عاما لها ، عن نقطة التحول فى حياته التى جعلته يعتنق الإسلام وذلك عندما كان يعد رسالة علمية ليحصل بها على درجة الدكتوراة فى الفلسفة واللاهوت فيقول :

« أردت الهجوم على الإسلام بمهاجمة القرآن الكريم ، ويشاء الله أن يقهرنى

---

(١) رابطة العالم الإسلامى ندوة محاضرات موسم ١٣٨٧ هـ ص ٢٣٤ — ٢٧٧ .

(٢) رابطة العالم الإسلامى ندوة محاضرات موسم ١٣٨٧ هـ ص ٢٣٤ — ٢٧٧ .

بالقرآن »[1] .

وتقرر المسلمة الإنجليزية « ماتيس ب .جولى » التى ظلت تحقد على الإسلام وتهاجمه وتعيبه ثم اقتنعت بصوابه وسمو تعاليمه ، وأعلنت دخولها فيه . تقرر أصالة الإسلام وروعة تعاليمه فتقول :

« لقد فعلت هذا وأنا أشعر بقدر عظيم من الرضا والارتياح ، لإدراكى التام أن هذا الإيمان لم ينشأ عن نزوة عاطفية عارضة بل كان نتيجة لعملية فكرية طويلة ، امتدت عامين تم فى خلالهما تأكدى من أصالة الإسلام ، وروعة تعاليمه ، مماجعلنى فى النهاية أعتنقه وأومن به »[2] .

ويحدثنا « سيف الدين ديرك والترموسيج » الذى كان يعد نفسه ليكون قسيسا كاثوليكيا فهدته الدراسة البعيدة عن الأهواء إلى الإسلام عن أثر القرآن فى هدايته :

« لقد عثرت على ترجمة للقرآن الكريم باللغة الأسبانية ، ولم يعترض والدى على قراءتى لها فى البداية ، حيث كان يظن أنها ربما تساعدنى على توسيع مداركى لأكثر ولأقل ، ولم يكن يدرى مدى الأثر العميق لكلمات الله فى عقلى .

كنت كاثوليكيا متعصبا عندما بدأت فى قراءة القرآن ، وأصبحت عند انتهائى منه مسلما على الأصالة ، ومن البديهى أن فكرتى عن الإسلام كانت فكرة خاطئة قبل قراءتى للقرآن الكريم ، حيث بدأت أقرأ فى تعجب وسخرية ، متوقعا أن أجد بين طياته أخطاء فاحشة ، وأفكارا كافرة ، وخرافات زائدة ، ومتناقضات لايقبلها ذو العقل السليم .

(١) رابطة العالم الإسلامى ندوة محاضرات موسم ١٣٩٠ هـ ص ٢٣٦ .

(٢) المجلد الثامن من مجلة الوعى الإسلامى ص ٣٩ ـــ ٤٠ من الجزء التاسع والثمانين .

لقد كنت متعصبا وأنا فى هذه السن الصغيرة ، ولكن لحسن حظى لم يكن قلبى قد أصبح صلدا بعد ، ولقد بدأت قراءة السور على الرغم منى فى البداية ، ثم انتهيت وأنا أكثر ماأكون ظمأ لمعرفة الحقيقة .

وفى لحظة من أعظم لحظات عمرى شرح الله صدرى للإسلام ، وهدانى إلى الصراط المستقيم وأخرجنى من الظلمات إلى النور ، ومن المسيحية إلى الإسلام ..»[1] .

وتروى لنا السيدة فاطمة خورشيد « اليزابيث م . » قصة إسلامها فتقول :

« إننى حينما تزوجت الدكتور خورشيد[1] لم يلزمنى باعتناق الإسلام ، وإنما كان يحدثنى عن العقائد الإسلامية كلما أتاحت له الفرصة .

كان يشرح لى مبادىء الإسلام وإن كان يعلم أننى لن أتخلى عن دين البروستنت ، ورغم أننى كنت منذ وقت طويل لاأجد فى المعتقدات المسيحية مايقنعنى بصحتها إلا أننى كنت أحتفظ بدين أجدادى دون المحاولة لتركه ، وكنت دائما أفكر فى دينى ، وأبحث فيه فألاحظ اختلافا كبيرا فى المذاهب المسيحية بين بعضها .

فالمرأة الكاثوليكية إذا تزوجت برجل بروستنتى كانت الكنيسة تحكم بحرمانها ، وبإبعادها عن زمرة المسيحيين ، كما كنت أجد أن الفوارق الجنسية قائمة بين طوائف المسيحية واختلاف الألوان والأجناس .

وكنت أفكر كثيرا ، وأقع فى حيرة حينما أجد أن بعض المسيحيين يقولون : إن المسيح هو الله ، وتارة : ابن الله .

كيف يكون فرد . إنسان . بشر مثلنا هو الله ؟! أيستطيع بشر أن يخلق

(١) المجلد الثامن من مجلة الوعى الإسلامى ص ٣٩ ـــ ٤٠ من الجزء التاسع والثمانين .

(٢) كان أستاذا للهندسة الإنشائية بجامعة أسيوط .

السماء والأرض وإذا نفيت ذلك فهل له ولد ؟!

ولما تعبت من حيرتى هذه إلى جانب أحاديث زوجى عن الإسلام ؛ وجدت نفسى أتجه بكل قواى ، للقراءة والبحث فى هذا الدين ، فوجدت أنه الدين الحقيقى المطابق للعقل والوجدان ، وأنه دين الأخوة الشاملة لجميع المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ، لافرق لعربى على أعجمى إلا بالتقوى .

ووجدت أن المرأة فى الإسلام لها من الحقوق ماليس للمرأة الإنجليزية والأمريكية .

فهى تحتفظ دائما بأملاكها وأموالها ، وحرية التصرف فيها ، كما تحتفظ بنسبها إلى عائلتها وأبويها ، أما المرأة المسيحية أيا كانت فإنها تنتسب إلى زوجها دون أبيها ، ولايمكنها أن تتصرف فى مالها إلا بإذن زوجها ووجدت أن العقائد الإسلامية تقول : إن المسيح هو رسول الله ، مثله كمثل سائر الرسل السابقين .

هكذا قال القرآن الكريم ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم﴾ ولم يقل أبدا إنه ابن الله .

وجدت أن هذه العقائد التى أتى بها الإسلام ، عقائد سليمة ، يقبلها العقل دون حيرة أو شك ، فنجد القرآن واضحا صريحا﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد . ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد﴾.

إننى حينما أقرأ هذه السورة من القرآن الكريم أجدها واضحة صريحة ، نافية لكل تضليل أو زعم بأن لله ولدا . وفى كثير من الآيات ، وجدت أشياء كثيرة ، قطعت كل شك عندى .

وهكذا بعد أن نهلت كثيرا من الإسلام ، وقرأت القرآن باللغة الإنجليزية ،

وجدت أننى كنت على خطأ .. وأردت أن أصحح هذا الخطأ بأن أشهر إسلامى [١].

وهناك نقطة أخرى أحب أن أضيفها :

هى أننى خلال فترة زواجى كنت أرقب زوجى ، وهو يؤدى الصلاة ، فأجد نفسى مشدوهة ، وأراقبه من بعيد .

إنه يغسل أجزاء جسمه بالماء ، ويقف فى خشوع وصمت ، ثم يهوى راكعا على الأرض ، كانت هذه الحركات كافية ، بأن يقف شعر رأسى دون أن أفهم شيئا . ولكننى حينما دخل الإسلام قلبى ، وتعلمت الصلاة ، وجدت أن الإنسان حينما يقف بين يدى الله سبحانه وتعالى يحس بالخشوع والرهبة ، لا لأى شىء سوى عظمته سبحانه وتعالى » [٢] .

تلك هى قصة إسلامها ترويها وهى فرحة مسرورة بما أنعم الله عليها من الهداية إلى الإسلام .

هذا وإذا كان لتعاليم الإسلام ، وللقرآن الكريم هذا الأثر الحميد فى الهداية إلى الدين الحنيف فإن لحملات خصوم الإسلام عليه ، وتشويههم لصورته ، وإلصاقهم المفتريات برسول الله ﷺ أثرا حميدا أيضا فى الهداية .

وفى ذلك يحدثنا المستشرق البريطانى المسلم « خالد شلدربك » فيقول :

« لم أتلق هذا الدين فى أول الأمر من كتبه ، ولكنى تلقيته من كتابات الطاعنين فيه .

---

(١) أسلمت على يدى المغفور له الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر فى صحبة زوجها عام ١٣٨٢ هـ .

(٢) منبر الإسلام العدد (١٢) من السنة (٢٠) ص ٢٣١ .

لقد حملنى البحث والتأمل إلى درس الديانات الأخرى ، فدرست البوذية والبرهمية وسائر الأديان ، وفى دور الكتب العامة بإنجلترا بحوث عن كل دين ماعدا الإسلام ، فإن الكتب التى ألفت عنه مملوءة بالتحامل والمطاعن ، والعرض الظالم ، وزعموا أن الإسلام ليس دينا مستقلا ، ولكنه أقوال محرفة عن كتب المسيحيين ، وقد تساءلت فى نفسى :

إذا كان الإسلام لا أهمية له إلى هذا الحد ، فلماذا هم يبذلون كل هذه الجهود .. للتحامل عليه ، ومقاومته ، وتوجيه المطاعن إليه ، وقد وقر فى نفسى أنه لولا أن الإسلام يخشاه هؤلاء الناس ويحسبون حسابا كبيرا لما فيه من القوة والحيوية ، لما بذلوا كل هذه الجهود لمقاومته ، والطعن فيه ، وتشويه سمعته .

لذلك عزمت على قراءة هذه الكتب التى كتبت عنه واحدا واحدا . والإسلام لايخفيه انتقاد منتقديه ، فمنتقدو الإسلام إنما يظهرون وجهة نظر خصومه ، ومن هذا مصلحة له وقوة ودعوة ، والحق يبدو مهما حاول المبطلون إخفاءه » (١) .

هذا ولما لتعاليم الإسلام ، وللقرآن الكريم من هذا الأثر العظيم فى الهداية فإننا نرى الإسلام ينتشر رغم التبشير المسيحى ،والنفوذ الشيوعى ، والدعايات المغرضة .

ومن هنا تحالفت قوى الشر على الوقوف أمامه ، وبذل الجهود الظاهرة والباطنة للصد عنه ، وصرف الناس عن هدايته .

يقول المبشر « لورانس براون » مصورا حقده على الإسلام ، ومبينا أنه العقبة الكؤود التى تحول بينهم وبين تنفيذ مطامعهم فى العالم الإسلامى .

« لقد كنا نتوجس خوفا من شعوب مختلفة ، لكننا بعد طول الاختبار لم نجد

(١) الإسلام فى غزوة جديدة للفكر الإنسانى للأستاذ أنور الجندى ص ٦٨ .

ما يبرر قلقنا .. خوفونا بالخطر اليهودى ، وبالخطر الشيوعى ، وبالخطر الأصفر ، إلا أن هذه المخاوف لم تستند إلى أساس .

لقد وجدنا اليهود أصدقاءنا .. ورأينا البلاشفة حلفاءنا . أما الخطر الأصفر فهناك دول كبرى تتكفل بالقضاء عليه .

إن الخطر الحقيقى يكمن فى نظام الإسلام ، وفى قدرة هذا الدين على التوسع والإخضاع ، وفى حيويته ، إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوروبى » (١) .

ويقول : « موروبيرجر » فى كتابه « العالم العربى المعاصر » :

« إن الخوف من العرب ، واهتمامنا بالأمة العربية ، ليس ناتجا عن وجود البترول بغزارة عند العرب ، بل بسبب الإسلام .

يجب محاربة الإسلام ، للحيلولة دون وحدة العرب التى تؤدى إلى قوة العرب ، لأن قوة العرب تتصاحب دائما مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره .

إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر فى القارة الأفريقية » .

ويقول الدكتور « راطسون » مدير الجامعة الأمريكية الأسبق بالقاهرة .

« إننا نراقب سير القرآن فى المدارس الإسلامية ، ونجد فيه الخطر الداهم . فالقرآن ، وتاريخ الإسلام هما الخطران العظيمان ، اللذان تخشاهما سياسة التبشير المسيحية » (٢) .

المبشرون يعقدون المؤتمرات لوقف انتشار الإسلام :

أخذ الإسلام يشق طريقه فى القارة الخضراء رغم أنه ليست هناك هيئات أو

(١) الإسلام والإرساليات ص ٤٤ — ٤٨ .

(٢) الإسلام فى غزوة جديدة للفكر الإنسانى ص ٥٣ .

هيئة تحتضن الدعوة إليه ، وتدفع عنه كيد المبشرين القائمين على نشر المسيحية فى جميع أرجاء القارة الأفريقية .

أدهشهم هذا النجاح الذى يحرزه الإسلام يوما بعد يوم ، وأفزعهم ماتلاقيه دعوته من كريم الاستجابة ولقد عبر عن ذلك « موروبيرجر » فى كتابه « العالم العربى المعاصر » ، « إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر فى القارة الأفريقية » .

فجعلوا يعقدون المؤتمرات لتعويق دعوته ، وصرف الأفارقة عن اعتناقه ، والحياة فى ظلال تعاليمه الوارفة وأخوته الصادقة .

فمن مؤتمراتهم المؤتمر التبشيرى الذى عقد فى القاهرة سنة ١٣٢٤هـ — ١٩٠٦م وإن نظرة إلى جدول أعماله تعطيك الصورة الواضحة على مايضمرونه للإسلام والمسلمين من النوايا السيئة ، وما يبذلونه فى سبيل مآربهم من شتى الجهود .

وهاك جدول أعماله بالمسائل التى توفروا على دراستها :

(١) ملخص إحصائى عن عدد المسلمين فى العالم

(٢) الإسلام فى أفريقية .

(٣) الإسلام فى السلطنة العثمانية .

(٤) الإسلام فى الهند .

(٥) الإسلام فى فارس .

(٦) الإسلام فى الملايو .

(٧) الإسلام فى الصين .

(٨) النشرات التى ينبغى إذاعتها بين المسلمين المتنورين ، والمسلمين العوام .

(٩) التنصير .

(١٠) الارتداد .

(١١) وسائل إسعاف المتنصرين المضطهدين .

(١٢) شئون نسائية إسلامية .

(١٣) موضوعات تتعلق بتربية المبشرين والعلاقات بينهم .

(١٤) كيفية التعليم فى الإسلام[١] .

وكان منها مؤتمر برلين السرى عام ١٩٦١ م واتخذوا فيه مااتخذوا من قرارات ، وأعلن فيه أن « الفاتيكان » يعد سلاحا سريا وهو تكوين ألف وثمانمائة راهب ، وخمسين أسقفا أفريقيا ، وذلك وفقا لبرنامج أفرقة الإطارات الكنسية فى القارة الأفريقية .

ومنذ سنوات انعقد المؤتمر التبشيرى فى روما عاصمة « الفاتيكان » وبعد أن استعرض نشاط المبشرين ومايعترضهم من عقبات أصدر قراراته بتكثيف الحملة على العالم الإسلامى لاسيما فى أفريقية ووضع من المخطط مايحقق أحلامه .

انطلق المبشرون فى تلك القارة لينشروا ضلالهم ، وينفثوا سمومهم ، وكان لهم من العون المادى ، والتقدير الأدبى بجانب إيمانهم برسالتهم التبشيرية ماجعلهم يخوضون المعركة جادين مستخدمين كل الوسائل فى النيل من الإسلام ، وتشويه صورته ، وتصوير رسول الله ﷺ فى صورة يمجها الطبع ، ويأباها الخلق الكريم ، وتصوير المسلمين فى أنهم غزاة قساة يميلون إلى سفك الدماء ، وسلب الأموال ، والانهماك فى الشهوات إلى غير ذلك من المفتريات ، وذلك لوقف المسيرة الإسلامية .

ولقد دعى الضابط الفرنسى : « أيدون أجين ماج » فى كتابه : « رحلة إلى

(١) أ . ل . شاتليه : الغارة على العالم الإسلامى تعريب محب الدين الخطيب .

السودان الغربى » ص ٣٠٣ إلى ضرورة قمع الإسلام الذى يعتبره مصدرا لكل الويلات والمصائب فى أفريقية ، وأن هذا القمع يجب أن يخطط له .

كما دعى الأب : « ديبونت » المبشر الكاثوليكى ، والخبير فى الإحصاء فى كتابه : « هل أفريقية أرض مسيحية ؟ » زملاءه المبشرين ألا يكتفوا بالتبرم من امتداد الإسلام المستمر فى أفريقيا ، وإنما يجب عليهم « العمل لوقف الامتداد » .

ونشرت جريدة « التايمس » البريطانية أخيرا مقالا بعنوان : « الاستعمار والإسلام » ذكرت فيه تقدم الإسلام بسرعة فى أفريقيا ، وأنه يثير القلق عند الأوروبيين ، ويخشون أن يخترق المناطق الاستوائية الجنوبية ، كما ذكرت أن المفكرين الغربيين اختلفوا فى الوسائل التى تحول دون انتشاره بتلك السرعة ، وأخيرا رأى بعضهم بجانب مايبذل من الجهود العمل على نشر البدع والخرافات حول تعاليمه التى تجذب الأفريقيين إليه ليكون ذلك حائلا يقف أمام انتشاره ، ولهذا نرى الاستعمار يرعى الطرق الصوفية وماأكثرها فى أفريقية لأن الكثير من مشايخها لايحسنون فهم الإسلام ولاعرضه على الناس ، ويزرعون فيهم التواكل والقناعة بالدون ، وبذلك ينفرونهم من الإسلام ويتيحون الفرصة للمبشرين ليقعوا فى شراكهم .

على أننا لانستطيع أن نغض الطرف عن نشاط الطرق الصوفية الواعية فى نشر الإسلام فى أفريقية ، بل إننا نحمد لها نشاطها الموفق فى مجال الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمناقشة بالتى هى أحسن . ومقاومة الاستعمار . وهكذا يعيش الإسلام فى القارة الخضراء فى صراع مع خصومه الأقوياء ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

حركة التبشير فى الهند . أهدافها ومظاهر نشاطها :

بعد أن تحدثنا عن حركة التبشير فى بعض أجزاء من القارة الخضراء ، ومظاهر نشاطها ناسب أن تكون لدينا صورة عامة عن حركة التبشير فى أجزاء من القارة الأسيوية مؤثرين الحديث عن حركة التبشير فى الهند وبذلك ندرك مابين الحركتين من الاتحاد فى الهدف وهو الكيد للإسلام يصرف المسلمين عن إسلامهم بزعزعة عقيدتهم ، وبذر بذور الشقاق فى صفوفهم ، الأمر الذى من شأنه أن يمكن الاستعمار من بسط نفوذه على أوطانهم ، وتوجيه سياستهم .

ولقد أحسن القول فى هذا الموضوع الدكتور محمد إسماعيل الندوى فى رسالته القيمة « القاديانية عرض وتحليل » فقال :

« قد وضعت حركة التبشير نصب عينيها ، كسر شوكة الإسلام ، بشتى الطرق والوسائل ، إذ أن الإسلام وقف سدا منيعا أمام انتشار المسيحية ، بل أذاق المسيحية الأوربية هزائم منكرة فى كل المواقع فى الحروب الصليبية .

ومن هنا قررت ، بل أخذت على نفسها عهدا بتمزيق صفوف المسلمين فى الدرجة الأولى ، وإيجاد تصدع عميق فيها ، لتنفذ من خلاله إلى قلوب المسلمين ، لزعزعة عقائدهم ، واستدراجهم إلى الفكر الصليبى الحديث المعروض فى زى براق من المدنية الحديثة ، ودست كل سمومها فى نظمها التربوية فى المدارس والجامعات ومراكز البحوث .

ولتحقيق هذه الأهداف أنشأت الحكومة البريطانية قسم الدراسات الشرقية فى الجامعات التى أنشأتها فى أنحاء الهند ، وبصفة خاصة فى كلية « فورت وليم » بمدينة كلكتا التى لعبت دورا كبيرا بالإضافة إلى أهدافها الأصلية للنيل من الإسلام — فى زرع ألغام الخلافات الفكرية والثقافية فى قلوب الهندوس ، والتى انفجرت فيما بعد ، ونسفت العلاقات الودية الراسخة القائمة بين الهندوس

والمسلمين على مدى تسعة قرون .

وتنفيذاً لهذه الخطط الاستعمارية الصليبية تلك التى وضعت فى أوروبا للقضاء على الإسلام فى الهند ، أوعلى الأقل إيجاد ثغرات فى عقيدته الغراء تدفقت على الهند أمواج هائلة من المبشرين الذين تحمسوا لنشر المسيحية بين الهندوس ، وبصفة خاصة المنبوذين منهم بوسائل الإغراء بالمال والوظائف والحسناوات ..

ثم اتجهوا إلى المسلمين لإيجاد الفرقة فى صفوفهم ، وغرس خلافات مذهبية فيما بينهم ، وزرع ألغام ناسفة عن طريق مناهج التعليم والتربية المقررة فى المدارس والجامعات ، لنسف عقيدة الإسلام .

كما تصدوا كذلك لإضعاف شأن الإسلام عن طريق المناظرة والمجادلة وفق أساليبهم الحديثة »

ثم بعد أن تحدث عن دور العلماء فى مكافحة الاستعمار ، والدفاع عن الإسلام بكل مافى وسعهم ومن ورائهم قوى الشعب المعتز بإسلامه ، الغيور على دينه ، الوفى لرسوله ، قال :

« ولم يجد المبشرون الإنجليز بدا من التهجم على ذلك الدين ، الذى يقف عقبة كأداء فى سبيل إتمام غزوهم الثقافى والعقائدى ، وتطاولوا عليه زورا وبهتانا ، خداعا للعامة ، وتمويها عليهم بأن فى الإسلام ضعفا ، وأنه لايثبت أمام دياناتهم ، وأن دينهم هو الحق »[1] .

---

(١) من العلماء الذين سجل لهم تاريخ الدعوة أنصع الصفحات فى الدفاع عن الإسلام ومكافحة الاستعمار بالهند . رحمة الله الكيرانوى وقد سجلت محاضراته فى كتابه القيم « إظهار الحق » ومولانا عبد العليم الصديقى الذى تصدى لمحاربة القاديانية متحديا (ظفر الله خان) القاديانى ، وأول وزير للخارجية فى الباكستان .

التبشير فى أوروبا :

لم يقنع المبشرون بنشاطهم فى القارة الخضراء ، وفى آسيا فامتد نشاطهم إلى المسلمين المقيمين فى أوروبا ، ويوجد بها أكثر من عشرة ملايين مسلم .

وتعمل جمعية المبشرين العالمية على تنصيرهم بكل الوسائل . يقول : « روى جورج » رئيس تلك المنظمة :

إنه ينبغى عدم الاكتفاء بالدعوة ضد الإسلام فى ديار المسلمين ، وإنما ينبغى محاربة الإسلام فى نفوس المسلمين المقيمين فى أوروبا ، ففى أوروبا الغربية وحدها عشرة ملايين مسلم ، يعيش نصفهم فى كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربية لابد من العمل بينهم .

ثم قال : أن عدد مسيحيى العالم تجاوز (٨٥٠) مليون نسمة ، ونسبة المبشرين المخصصين للدعوة ضد الإسلام لاتزيد على ٢٪ منهم وهى نسبة ضئيلة على حد قوله « ١٧ مليون مبشر » إن الفرصة كبيرة لنجاح ماوضعناه من الخطط حيث إن العشرة ملايين مسلم المقيمين فى المجتمع الغربى المسيحى يسهل التأثير فيهم عن طريق المفتاح السحرى الذى يتلخص فى كلمتين هما : المودة والكرم .

فلابد من فتح الصدور والبيوت للاقتراب من هؤلاء الذين يعانون من العزلة والوحدة وانعدام الاتصال بينهم وبين شعوب البلاد التى يقيمون فيها ، وبالتدريج نبدأ فى دعوتهم للخروج على الإسلام .

ثم ختم كلمته بقوله : « إنه ينبغى على دول أخرى أن تتحمل الجزء الأكبر من أعباء الخطة ، حيث أن المسلمين لايثقون بالفرنسيين أو الإنجليز ، لظروف نفسية تتعلق بسنوات الاحتلال وأن العشرة ملايين مسلم المقيمين فى أوروبا هدية بعثها

الله لنا ، وماعلينا إلا أن نقبلها ، ونعمل بينهم »[1] .

نشاطات معادية للإسلام :

ومما ينبغى أن ننبه إليه أنه بجانب النشاط التبشيرى فى القارة الخضراء يوجد بعض الجماعات التى تتستر باسم الإسلام وهى حرب على الإسلام بل لاتقل فى خطرها عن البعثات التبشيرية كالإسماعيلية والقاديانية والبهائية بما تنشر من مبادئها الباطلة ، ومفترياتها الكاذبة ، ويؤيدها الاستعمار بجميع ألوان التأييد .

كما يوجد النشاط الصهيونى الذى أخذ ينمو بكثرة الخبراء والمستشارين العسكريين والمدنيين من الإسرائيليين ، وتقديم المنح ، والقروض الميسرة .

كما يوجد بجانب كل هذا النشاط الشيوعى ، الذى يركز على جانب التربية والتثقيف ، ويشجع على الالتحاق بالمؤسسات التعليمية مثل « جامعة الشرق » فى موسكو ، و « معهد الدراسات الاقتصادية والاجتماعية » فى « براغ » و « بخارست » حيث يلتحق بها الطلاب الأفارقة ، وتدرس لهم المواد باللغة السواحلية حتى إذا أتم الطلاب دراستهم وعادوا إلى بلادهم أمكن الاعتماد عليهم فى نشر المعتقدات الماركسية ، وفى توجيه شئون الحكم وفقا لأهدافهم التى تتلخص فى القضاء على الأديان عامة ، والإسلام خاصة .

وهذه الجهود الجبارة ، التى ينهض بها المبشرون ، وهذه الجماعات الإلحادية ، وهذه المؤسسات الصهيونية والشيوعية لتفرض علينا أن ننهض بواجبنا نحو حماية الإسلام والدفاع عنه .

لاسيما بعد ذلك القرار الذى أصدره المجمع المسكونى المنعقد بروما عام ١٩٦٤ م برياسة البابا بولس السادس زعيم الكنيسة الكاثوليكية ويقضى ببراءة اليهود

---

(١) جريدة « المسلمين » الدولية العدد (١١) الصادر فى ٣٠ من رجب ١٤٠٥ هـ — ٢٠ من إبريل ١٩٨٥ م .

من صلب نبى الله المسيح عليه السلام مع أن أناجيلهم تقرر منذ ألفى سنة إدانة اليهود بجريمة الصلب مما جعلهم يتخذون الصليب رمزا لصلب السيد المسيح على أيدى اليهود .

ولكنها الصهيونية لعبت دورا كبيرا فى إصدار هذا القرار لتضمن تأييد العالم المسيحى للفكرة الصهيونية ، وماتبيته من شرور لاعلى الإسلام والعرب وحدهم بل على الإنسانية جمعاء .

وإنى لأعجب كيف أصدر المجمع هذا القرار الذى من شأنه أن يزعزع الثقة فى دينهم الذى أصبح ألعوبة فى أيدى القسس والرهبان الذين تحركهم الصهيونية العالمية لتحقيق مآربها السياسية .

ولاسيما بعد أن أخذت الكنيسة القبطية فى مصر عقب تولى البابا شنودة رئاستها بعد وفاة البابا كيرلس سنة ١٩٧١م تضاعف من نشاطها ، وتكثف من حملاتها ، ونشطت فى مطالبها بصورة تدعو إلى الدهشة ، وتبعث على التفكير العميق .

أمتدت فروعها الكثيرة لا فى مصر وحدها بل فى جميع أرجاء القارة الأفريقية ، وسرعان ماقام البابا شنودة بترسيم أسقف قبطى يرعى شئونها

كما امتدت إلى الهجرة حيث هاجر الكثير من الأقباط فى الخمسينات إلى الولايات المتحدة حاملين معهم عقيدتهم المسيحية وما ملكته أيديهم من ثروات ، وما حصلوه من علم وخبرة ، وأصبح عدد الكنائس بها أربعاً وسبعين كنيسة قبطية ، وقام البابا شنودة بترسيم أسقف خاص لتدبير أمورها ، وأصبحت تلك الكنائس بجانب قيامها بمهامها التبشيرية ، وطقوسها الدينية ، تمد الكنيسة الأم فى القاهرة بالمال الوفير ، وتدعم نشاطها المعنوى والسياسى ، وتدين لها بالولاء والطاعة .

لم يقف نشاط الكنيسة القبطية عند هذا الحد من امتداد فروعها فى مصر والقارة الأفريقية ، والولايات المتحدة الأمريكية فأخذت توثق صلتها بالكنائس الكبرى فى العالم ، ومع مؤسسات مجلس الكنائس العالمى ..

وفى عام ١٩٧٣ ألقى البابا شنودة خطبة فى اجتماع سرى بالكنيسة المرقصية الكبرى بالأسكندرية ، لا أكون مبالغا إذا قلت أنها أجرؤ خطبة سمعنا بها فى عصرنا حيث تناولت أمورا ومطالب بالغة الخطورة ولقد تعرض لها الأستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه « خريف الغضب » صحيفة ٤٤٩ .

وحسبنا ونحن نتكلم عن التبشير أن نسجل ما قاله البابا شنودة فى خطبته عن التبشير :

« .. كذلك فإنه يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية ، إذ أن الخطة التبشيرية التى وضعت ، بنيت على أساس هدف اتفق عليه للمرحلة القادمة ، وهو زحزحة أكبر عدد ممكن من المسلمين عن دينهم ، والتمسك به ، على ألا يكون من الضرورى اعتناقهم المسيحية ، فإن الهدف هو زعزعة الدين فى نفوسهم ، وتشكيك الجموع الغفيرة منهم فى كتابهم ، وصدق محمد ، ومن ثم يجب عمل كل الطرق ، واستغلال كل الإمكانيات الكنسية للتشكيك فى القرآن ، وإثبات بطلانه ، وتكذيب محمد ، وإذا أفلحنا فى تنفيذ هذا المخطط التبشيرى فى المرحلة المقبلة ، فإننا نكون قد نجحنا فى إزاحة هذه الفئات من طريقنا ، وإن لم تكن هذه الفئات مستقبلا معنا فلن تكون علينا .

ثم تكلم البابا شنودة عن الأسلوب الذى ينبغى اتباعه فى معاملة المسلمين فقال :

« غير أنه ينبغى أن يراعى فى تنفيذ هذا المخطط التبشيرى أن يتم بطريقة هادئة لبقة وذكية حتى لايكون ذلك سببا فى إثارة حفيظة المسلمين أو يقظتهم .

« وإن الخطأ الذى وقع منا فى المحاولات التبشيرية الأخيرة ــ التى نجح مبشرونا فيها فى هداية عدد من المسلمين إلى الإيمان والخلاص على يد الرب يسوع المخلص[١] ــ هو تسرب أنباء هذا النجاح إلى المسلمين ، لأن ذلك من شأنه تنبيه المسلمين ، وإيقاظهم من غفلتهم ، وهذا أمر ثابت فى تاريخهم الطويل معنا ، وليس هو بالأمر الهين ، ومن شأن هذه اليقظة أن تفسد علينا مخططاتنا المدروسة ، وتؤخر ثمارها ، وتضيع جهودنا ، ولذلك فقد أصدرت التعليمات الخاصة بهذا الأمر ، وسننشرها فى كل الكنائس لكى يتصرف جميع شعبنا مع المسلمين بطريقة ودية ، تمتص غضبهم ، وتقنعهم بكذب هذه الأنباء .

كما سبق التنبيه على رعاة الكنائس والآباء والقساوسة بمشاركة المسلمين احتفالاتهم الدينية ، وتهنئتهم بأعيادهم ، وإظهار المودة والمحبة لهم .

« وعلى شعب الكنيسة فى المصالح والوزارات والمؤسسات إظهار هذه الروح لمن يخالطونهم من المسلمين .. »[١] .

وهذا السلوك الذى يدعو إليه البابا فى التبشير وهدفه الذى يرمى إليه لا يحتاجان إلى تعليق .

وبجانب هذا النشاط الذى يقوم به البابا شنودة رئيس الكنيسة القبطية فى مصر نشاط آخر ينهض به البابا « يوحنا بولس الثانى » بابا الفاتيكان رغم شيخوخته ، وضعف صحته ، وتعرضه للاغتيال يقوم برحلات متعددة ــ شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وكان للقارة الأفريقية من تلك الرحلات النصيب الأوفر حيث زارها ثلاث مرات فى غضون خمسة أعوام !!

---

(١) من كتاب « قذائف الحق » للعالم الداعية الشيخ محمد الغزالى صحيفتى ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) راجع ما كتبه الأستاذ جلال الدين الحمامصى بجريدة الأخبار فى ١٧ ــ ٨ ــ ١٩٨٥ تحت عنوان : « التحرك المضاد لا يكون بالكلام » .

ولقد كشفت الصحف الأمريكية للمرة الأولى عن هدف البابا يوحنا من تلك الرحلات فى القارة وهو حث رجال الكنيسة فى القارة السوداء على بذل الكثير من نشاطهم فى الحفاظ على المد الكاثوليكى بها ، ووقف المد الإسلامى ، وتعويق الدعوة الإسلامية التى تهوى إليها أفئدة الأفارقة مع أن الإسلام فى القارة الخضراء ليس له جنود يحملون ألوية الدعوة إليه ، ويدفعون عنه كيد خصومه وإنما تعاليمه الصافية ، ومبادئه السمحة ، وأخوته الشاملة هى عنوان قوته ، ورمز حيويته وسر انتشاره ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾[1] .

بعد تلك الكلمة العامة عن التبشير أحد قوى الشر المتحالفة نختم الحديث عنه بالكلام على أخطر المبشرين فى الشرق الأوسط لأهمية الدور الخطير الذى قام به فى خدمة المسيحية ، وتوطيد دعائم الاستعمار ومحاربة الإسلام ، والذى استحق من أجله أن ينشىء الأمريكيون وقفا باسمه على دراسة اللاهوت ، وإعداد المبشرين « القسيس الدكتور صمويل زويمر » .

(١) الآية ٨ من سورة الصف .

أخطر المبشرين فى الشرق الأوسط
القسيس الدكتور صمويل زويمر

يعتبر هذا القسيس من أهم المبشرين وأخطرهم فى الشرق الأوسط منذ أوائل هذا القرن .

ومما يؤسف أن هذا القسيس عاش فترة من الزمن فى مصر وفى البلاد الإسلامية وعقد عدة مؤتمرات تبشيرية فى كل من القاهرة والهند والقدس ، كما تولى تحرير مجلة « العالم الإسلامى » وله عشرات الكتب عن الإسلام حاول فيها أن يشوه من جمال الإسلام وينتقص من كماله وذلك بإلقاء الأضواء على بعض الشبهات التى أثارها أبناء مهنته ، والتى يضعف أمامها قليل المعرفة بالإسلام .

وكان لنشاطه الدائب ، وحيويته القوية يلقبونه بالرسول المختار للعالم الإسلامى :

« أى حامل رسالة تحويل المسلين عن دينهم »[1] .

ولهذا القسيس عدة تقارير منها تقريره الذى قدمه عام ١٩١١ م إلى المؤتمر التبشيرى الذى عقد فى الهند ، والذى قرر فيه : إن هدف التبشير هو التنكر للقيم الإسلامية وأن الإسلام بدأ يتنبه لحقيقة موقفه من الحملة عليه ، ويشعر بحاجته إلى تلافى الخطر عن طريق إفراغ العقائد والتقاليد فى قالب معقول .

ومنها تقريره الذى نشره فى ١٢ من أبريل ١٩٢٦ م وفيه يقرر أنهم صرفوا من الوقت الشىء الكثير وأنفقوا القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، وألفوا ماألفوا من الكتب والرسائل فى النيل من الإسلام ومع كل هذه الجهود فإنها لم تأت بالنتيجة المرجوة ، ولابالثمرة المبتغاة حيث لم ينقلوا من الإسلام إلا عاشقا بنى دينه

(١) هلك سنة ١٩٥٢ بعد أن بلغ الخامسة والثمانين من عمره .

الجديد على أساس الهوى .

وبعد أن اعترف بفشل الحركة التبشيرية دعى إلى إخراج المسلمين من دينهم فقط دون أن يطالبوهم بالدخول فى المسيحية ، لأن عملية الهدم حسبما يرى أسهل من عملية البناء .

« لا ينبغي للمبشّر المسيحي أن يفشل ، أو أن ييأس ويقنط عندما يرى أن مساعيه لم تثمر في جلب كثير من المسلمين إلى المسيحية ، لكن يكفي جعل الإسلام يخسر مسلمين بذبذبة بعضهم ، عندما تذبذب مسلماً وتجعل الإسلام يخسره تُعتبر ناجحاً يا أيها المبشّر المسيحي ، يكفي أن تذبذبه ولو لم يصبح هذا المسلم مسيحياً » .

وهذه بعض فقرات من ذلك التقرير :

« لقد جربت الدعوة إلى النصرانية فى أنحاء كثيرة من الوطن العربى ، وإن تجاربى تخولنى أن أعلن أن الطريقة التى سرنا عليها لاتوصلنا إلى الغاية التى ننشدها ، فقد صرفنا من الوقت شيئا كثيرا ، وأنفقنا قناطير مقنطرة ، وألفنا ما استطعنا أن نؤلف ، وخطبنا ومع ذلك فإننا لم ننقل من الإسلام إلى النصرانية إلا عاشقا بنى دينه الجديد على أساس الهوى ، فالذى نحاوله فى نقل المسلمين إلى النصرانية هو باللعب أشبه منه بالجد .

وعندى أنه قبل أن نبنى النصرانية فى قلوب المسلمين أن نهدم الإسلام فى نفوسهم حتى إذا أصبحوا غير مسلمين سهل علينا أو على من يأتى بعدنا أن يبنوا النصرانية فى نفوسهم .

إن عملية الهدم أسهل من عملية البناء فى كل شىء إلا فى هذا الموضوع ، لأن هدم الإسلام فى نفس المسلم معناه هدم الدين على العموم ... »

كما أنه ألقى الخطب الكثيرة وكلها تدور حول نواياه الخبيثة نحو الإسلام

والمسلمين ويطول بنا الحديث لو تعرضنا لتلك الخطب وحسبنا أن نذكر الخطبة التى ألقاها فى مؤتمر القدس التبشيرى عام ١٩٣٥ م فى فترة الاحتلال البريطانى لفلسطين وهذه الخطبة تلتقى مع خطبه الكوافر وتقاريره الأثيمة ، فى وحدة الهدف ، وخسة الغاية فضلا عن أنها تكشف عن خطط التبشير وحيله الماكرة قال :

« أيها الإخوان الأبطال ، والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد فى سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام فأحاطتكم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس .

لقد أديتم الرسالة التى نيطت بكم أحسن الأداء ، ووفقتم لها أسمى توفيق ، وإن كان ليخيل إلىَّ أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه .

إننى أقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين فى حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين لقد كانوا كما قلتم ثلاثة : إمّا صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ماهو الإسلام . أو رجل مستخف بالأديان لايبغى غير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر ، وعزت عليه لقمة العيش . وآخر يبغى الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية . ولكن المهمة التى ندبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ليست هى إدخال المسلمين فى المسيحية فإن فى هذا هداية لهم وتكريما . وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لاصلة له بالله ، وبالتالى لاصلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها . وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الإسلامية .

وهذا ماقمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير القيام ، وهذا ما أهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعا كل التهنئة .

لقد قبضنا أيها الأخوان فى هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم فى الممالك الإسلامية ، ونشرنا فى تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التى تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية والفضل إليكم وحدكم .

أيها الزملاء :

إنكم أعددتم شبابا فى ديار الإسلام لايعرفون الصلة بالله ولايريدون أن يعرفوها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه فى المسيحية وبالتالى جاء النشء الإسلامى طبقا لما أراده الاستعمار لايهتم للعظائم ، ويحب الراحة والكسل ، ولايصرف همه فى دنياه إلا فى الشهوات .

فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففى الشهوات يجود بكل شيء . إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه ، وانتهيتم إلى خير النتائج ، وباركتكم المسيحية ورضى عنكم الاستعمار .

فاستمروا فى أداء رسالتكم ، لقد أصبحتم بفضل جهادكم موضع بركات الرب »[1] .

وبعد فقد انتهت تلك الخطبة الفاجرة التى ألقاها القسيس « صمويل زويمر » أخطر المبشرين فى الشرق الأوسط ، كما انتهى من قبل تقريره ، وهما يصوران فى عبارة واضحة ، وصراحة تامة مايعلقه الاستعمار على المؤسسات التبشيرية فى العالم الإسلامى والعربى من آمال ، ومايغدق عليها من أموال وكيف كان المبشرون طليعة الفتح الاستعمارى البغيض ، ورسل الاستعمار إلى الشرق ، وكيف كانت هم الهيمنة على جميع البرامج التعليمية فأفرغوها من مفاهيم الإسلام الصحيحة ، واستطاعوا أن يعملوا على تحطيم الحصانة النفسية الروحية بتجريد تلك البرامج من

(١) راجع كتاب المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام للداعية الإسلامى الشيخ محمد محمود الصواف ص ٥٨ ، ٥٩ .

دراسة الإسلام والقرآن واللغة العربية .

وكيف نجح المبشرون فى إيجاد شباب لايحفل بإسلامه ، ولايقيم وزنا لأخلاقه ، وكل همه أن يسبح فى شهواته .

وكيف استحق المبشرون تقدير الاستعمار ، وعظيم إعجابه ، ونالوا بجهادهم بركة المسيحية ، وأصبحوا موضع بركات الرب على حد تعبير كبيرهم القسيس « صمويل زويمر » .

واجبنا بعد تحالف المسيحية مع الصهيونية :

إن المسيحية بمذاهبها المختلفة من كاثوليكية وبروتستانتية وأرثوذكية قد أجمعت كلمتها على القضاء على الإسلام والمسلمين ، ومن ورائها عصابة البغى المتحالفة من الصليبية الغربية ، والشيوعية الدولية ، والصهيونية العالمية ، والمحافل البهائية والقاديانية تساندها بكل ماتملك من حول وقوة .

فما واجبنا وقد تحالف الباطل على الحق ليمحو نوره ، ويشوه جماله ، ويصرفنا عن هديه وتعاليمه ؟

علينا أن نثبت على عقائدنا ، وأن نستمسك بإسلامنا ، وأن نضع الخطط الحكيمة المستقاة من ديننا الحنيف لتصحيح المسار ، وتقويم الانحراف ، ومواجهة الباطل ، وبذلك نسلم من غوائل التبشير ، ونحبط عليه مآربه ونكون بحق خير خلف لخير سلف ، ونلقى الله بيض الوجوه يوم القيامة .

« يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وماعملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد . قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . قل أطيعوا الله والرسول

فإن تولوا فإن الله لايحب الكافرين ﴾ [1] .

ثم لم هذه الحملات الشريرة ، والعداوة السافرة ياأهل الكتاب ونحن ندين بالإسلام ، وندعوا إلى السلام ، ونؤمن بجميع كتب الله ، ونحترم كل الأنبياء ؟

﴿ قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وماأنزل إلينا وماأنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون ﴾ [2]



---

(١) الآيات ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ آل عمران .

(٢) الآية ٥٩ ـ المائدة .

الباب الرابع

نحل باطلة جماعات هدامة جيوش زاحفة

الباب الرابع

نحل باطلة جماعات هدامة جيوش زاحفة

(١) القاديانية : نشأتها . معتقداتها . حكم معتنقها . مظاهر نشاطها . ولاء القاديانيين للاستعمار البريطانى .

(٢) البهائية : التعريف بها . معتقداتها . براعتهم فى دعوتهم ، ومظاهر نشاطهم . البهائيون يستأنفون نشاطهم فى مصر — رئيس الجماعة يتحدث عن البهائية . لماذا يحتضن الاستعمار البهائية ؟

(٣) الماسونية : مجمع الفقه الإسلامى بمكة المكرمة يعرفنا بها . حكم من ينتسب إليها . الماسونية من أقوال قادتها .

(٤) الشيوعية : الجانب الإلحادى منها . « لينين » الماركسى يتحدث عن موقف الشيوعية من الإسلام . أمل خادع ، وسراب كاذب . بين الإسلام والماركسية تناقض . هل يكون المسلم مركسيا ؟

(٥) الجيوش الزاحفة : الصحف . المجلات . الكتب . الإذاعة ، الفيديو . المخدرات . آثارها السيئة وعواقبها الوخيمة .

(٦) خطبة قيمة للإمام « المراغى » : تحدث فيها عن :

حيل المبشرين فى الدعوة إلى دينهم . حكم الإسلام فى الذين يحاولون إقصاء الإسلام عن الحياة . الدعوة إلى غض الطرف عن الفروق الطائفية والمذهبية . الدعوة إلى الوحدة ، وحسن معاملة غير المسلمين ، وحرمة دمائهم وأموالهم وأعراضهم .

نحل باطلة

كما يعمل المستشرقون والمبشرون على محاربة الإسلام ، وتفتيت وحدة المسلمين ، وتمكين الاستعمار من الهيمنة على العالم الإسلامى والعربى ، فإن هناك من النحل الباطلة والجماعات الهدامة مايلتقى معهما فى وحدة الهدف ، وسنقتصر على القاديانية والبهائية والماسونية والشيوعية مبينين براءة الإسلام منها ومحاربتها لدعوته ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حىَّ عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾ .

(أ) القاديانية

نشأتها.. معتقداتها . حكم معتنقها . مظاهر نشاطها

القاديانية إحدى النحل التى أوجدها الاستعمار البريطانى لتكيد للإسلام ، وتدعو إلى التحلل من تعاليمه وآدابه ، والولاء للمستعمر ، والعمل لتمكين نفوذه ، وبسط سلطانه .

وهم أتباع غلام أحمد المولود فى « قاديان » مركز بنجاب بالهند سنة ١٢٥٣ هـ ومن مبادئها التى تتنافى مع المقررات الإسلامية مايأتى :

١ ـ القول بعدم ختم النبوة بمولانا محمد ﷺ وتأويل مايدل على ختمها به .

٢ ـ القول بأن غلام أحمد هو المهدى ، والنبى المؤيد لشريعة رسول الله ﷺ وهو المسيح الموعود به .

٣ ـ القول بأن باب الوحى مفتوح للناس وقد نزل على غلام أحمد ويسمعه بعض أتباعه .

٤ ـ القول بتحريم الجهاد والدعوة لطاعة ولاة الأمور من الإنجليز

٥ ـ قاديان ومسجدها يماثلان مكة ومسجدها . والحج إليها مثل مكة فهى ثالث الأماكن المقدسة ومسجدها المشار إليه بقوله تعالى : « سبحان

(١) الآية (٤٢) من سورة الأنفال .

الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾

٦ ـ يكفرون من لايصدق بنبوة « غلام أحمد » من المسلمين وتمثيلهم باليهود الذين كذبوا المسيح فى السلسلة الموسوية وهؤلاء كذبوا المسيح « يعنى نفسه » فى السلسلة الإسلامية ويمنعون الصلة بالمسلمين ومصاهرتهم ويفضلونه هو وأتباعه على جميع الأنبياء وأتباعهم.

٧ ـ يدعون أن المعنى المقصود من الآيات القرآنية لا يدركه إلا المسيح القاديانى ، وينكرون أن السنة النبوية أصل فى التشريع بعد القرآن الكريم .

ولاشك أنها بهذه الأقوال التى تتنافى مع المقررات العلمية الثابتة تعتبر ليست من الإسلام فى شىء وأن معتنقها مرتد عن الإسلام لإنكاره ماعلم من الدين بالضرورة ولخروجه على إجماع المسلمين . ولقد حدثنا العالم الإسلامى الداعية « أبو الحسن الندوى » فى رسالته : « القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام » عن مظاهر نشاطها فقال :

« إن القاديانية تنشر فى العالم الإسلامى الفوضى الفكرية ، وعدم الثقة بمصادر الإسلام الصحيحة ومراجعه وسننه ، وتقطع صلة هذه الأمة عن ماضيها ، وعن خير أيامها ، وأفضل رجالها ، وتفتح باب الأدعياء والمتطفلين على مصراعيه ، وتسيىء الظن بقوة الإسلام وحيويته وإنتاجه وتيئس المسلمين من مستقبلهم » .

كما حدثنا عن دور الاستعمار البريطانى فى احتضانها ورعايتها فقال:

رأت الحكومة الإنجليزية ، أن المسلمين لايؤتون إلا من قبل العقيدة ، والإقناع الدينى ، واقتنعت بأنه لايؤثر فى المسلمين ، وفى اتجاههم مثل مايؤثر قيام رجل منهم باسم منصب دينى رفيع ، ويجمع حوله المسلمين . ويخدم سياسة الإنجليز ، ويؤمنهم من جهة المسلمين وغائلتهم .

وفى شخص مرزا غلام أحمد القاديانى الذى كان مضطرب الأفكار والعقيدة ،

وكان طموحا إلى أن يؤسس ديانة جديدة ، ويكون له أتباع مؤمنون به ، ويكون له مجد ، واسم فى التاريخ مثل ماكان للنبى ﷺ ، وجد الإنجليز وكيلا لهم ، يعمل بين المسلمين لمصلحتهم. ولم يزل يتدرج من التجديد إلى المهدوية ، ومن المهدوية إلى المسيحية ، ومن المسيحية إلى النبوة حتى تم ماأراده الإنجليز ، وقام القاديانى بدوره ، وبماكلف به خير قيام وحماه الإنجليز ، ومكنوه من نشر دعوته ، وحفظ القاديانى هذه اليد ، وعرف فضل الإنجليز فى ظهوره ، وقد صرح فى بعض كتاباته بأنه غرس غرسته الحكومة الإنجليزية » .

ولقد سجل غلام أحمد القاديانى ولاءه لبريطانيا ونشاطه فى خدمة أهدافها فقال : « إننى من أول عهدى من عمرى إلى هذا الوقت — وهو قرابة ستين عاما — أواصل جهودى بلسانى وقلمى لجذب قلوب المسلمين نحو الحكومة البريطانية العظمى ، كما أبذر فى قلوبهم بذور الحب الصادق ، والصداقة المباركة والمشاركة فى الإحساس مع الحكومة البريطانية ، كما أبعد وأزيل من قلوب بعضهم ماتعلق بها من عقيدة الجهاد الخاطئة تلك التى تعكر الصفاء ، وتضع العقبات فى طريق العلاقات الودية ، والوفاء والإخلاص للحكومة البريطانية ولقد كللت جهودى كلها فى هذا السبيل بنجاح باهر ، لأن مؤلفاتى أثرت فى قلوب المسلمين تأثيرا بالغا وحدث تغيير جذرى فى قلوب آلاف المسلمين » .

ويقول :« ينبغى لى أن أقول لكم قبل كل شىء : إننى أنتمى إلى تلك الأسرة التى اعترفت الحكومة البريطانية منذ مدة طويلة بأنها صديقة ، ومتمنية للخير والسعادة للحكومة البريطانية من الدرجة الأولى .

وكان والدى وأفراد أسرتى كلهم من راغبى الخير للحكومة البريطانية العظمى بكل جوارحهم ، وأوفياء مخلصين لها من صميم قلوبهم كما اعترف بذلك مسئولوا الحكومة الإنجليزية المحترمون ، وصرحوا بأن هذه الأسرة من مريدى الحكومة البريطانية العظمى ، وهذه الاعترافات كلها مسجلة فى الوثائق الرسمية . لذلك

أعمل بحرارة قلبى فى خدمة هذه الحكومة ، وأعلن عن منافع هذه الحكومة وإحساناتها أمام الناس ، كماعمل من قبل أبى وأخى ، وأفرض عليهم الخضوع هذه الحكومة وطاعتها طاعة كاملة » [1] .

ويقول : « لقد قضيت معظم عمرى فى تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها ، وقد ألفت فى منع الجهاد ، ووجوب طاعة أولى الأمر الإنجليزية من الكتب والنشرات مالو جمع بعضه لملأ خمسين خزانة ، وقد نشرت جميع هذه الكتب فى البلاد العربية ، ومصر والشام وكابل » [2] .

فلا عجب بعد ذلك إذا رأينا الاستعمار يحتضن تلك الطائفة الضالة ، ويحوطها برعايته التامة لتنهض بنفث سمومه ، والوصول إلى غاياته ، من توهين العقيدة فى نفوس المسلمين ، وخلق البلبلة الفكرية فى نفوسهم وتحطيم وحدتهم ، وإيقاعهم فى خضم الخلافات المذهبية ، وشغلهم عن استرداد حقوقهم ، وتحرير أوطانهم والاعتزاز بإسلامهم ، والاحتفاظ بشخصيتهم المتميزة .

هذا ولتلك الطائفة مؤسساتها المنتشرة فى الهند وفى انجلترا وأمريكا وأفريقيا .

وهلك ميرزا غلام أحمد فى ٢٦ من مايو سنة ١٩٠٨ بعد أن بلغ السبعين من عمره ، ودفن حيث ولد فى « قاديان » .

وله فى نفوس أتباعه من المنزلة بعد وفاته ما كان له فى حياته ، واتخذوا من قبره مكانا يشدون إليه الرحال التماسا للبركات ، وتوثيقا للصلات .

ويعتقد القاديانية أن « قاديان » هى ثالثة المقامات المقدسة ، ويرون أن الحج إلى مكة بغير الحج إلى « قاديان » حج جاف لأن الحج إلى مكة اليوم حسب زعمهم لايؤدى رسالته ، ولايفى بالغرض المقصود منه .

(١) راجع القاديانية عرض وتحليل للدكتور محمد إسماعيل الندوى .
(٢) ترياق القلوب ص ١٥ .

البهائية

التعريف بها . مظاهر نشاطها . معتقداتها .

نحلة مارقة وهى كشقيقتها القاديانية حرب على الإسلام بمعتقداتها الباطلة ، وخروجها على المقررات الإسلامية ، وإشاعتها التحلل الأخلاق والاجتماعى ، وقد استغلتها السياسة الاستعمارية منذ ظهرت منذ منتصف القرن الماضى ، كما استغلتها الصهيونية فيما بعد ، واتخذوا منها أداة لإثارة القلاقل والخلافات ، ولقد كان لها نشاط كبير فى مصر ، ولما أحست الحكومة بخطرها الجسيم صدر قرار جمهورى عام ١٩٦٠ بحلها ، ولكن نشاطها لم يتوقف ، فأخذت تروج لمبادئها ، وتنشر أباطيلها الأمر الذى جعل الحكومة المصرية تعتقل عددا من كبار زعمائها بعد النكسة لانحراف سلوكهم ولقد بلغ من أمر هذه الطائفة الضالة أن بعض أعضائها رفعوا قضايا أمام المحاكم الإدارية بشأن التصريح لهذه الطائفة ببناء مقابر خاصة بهم ، ومرة أخرى بشأن تسجيل كلمة « البهائية » أمام الخانة الخاصة بالدين فى شهادات المواليد ولم يستجب القضاء .

والشىء الغريب أن الرأى العام لايكاد يعرف شيئا عن هذه النحلة ، ولولا أن الحكومة حاكمت أخيرا أعضاءها وأشارت إحدى الصحف اليومية إلى ذلك لظل الرأى العام يجهل كل شىء عن البهائية .

ظهرت هذه الطائفة فى إيران على يد رجل يسمى « **الميرزا على محمد** » الملقب بالباب ، ادعى أولا أنه المبلغ عن المهدى المنتظر ، ثم ادعى أنه المهدى ، ثم ادعى أنه يوحى إليه ، ثم تغالى فى دعواه فادعى أن الله تجلى فيه كما تجلى فى المسيح . فهو بهذا يستحق العبادة ، وله على الناس السمع والطاعة ، وكان عاقبة أمره القتل

وقام على دعوته من بعده أحد أبنائه المسمى بالميرزا « حسين » والملقب

بالبهاء ، وقد سلك طريقة سلفه فى دعواه ، فادعى أولا أنه خليفة الباب ، ثم ادعى أنه المهدى المنتظر ، ثم ادعى النبوة ، وأنه يوحى إليه بكتاب « الأقدس » الذى نسخ التوراة والإنجيل والقرآن ، ثم ادعى بعد ذلك أن الله تجلى فيه فله حق التحليل والتحريم ، وقد هلك بمدينة « عكا » ودفن بها وخلفه على دعوته ، وسار على نهجه ابنه « عباس » الملقب بعبد البهاء ، وقد قدسته الطائفة وعبدوه كما عبدوا البهاء من قبل .

وترى تلك الطائفة أن السنة تنقسم إلى تسعة عشر شهرا ، والشهر ينقسم إلى تسعة عشر يوما والسنة ثلثمائة وواحد وستون يوما . والخمسة أيام التى يكمل بها العام أيام إباحة لأتباع هذه النحلة ، يأتون فيها من المنكرات وألوان الموبقات مايعف القلم عن تسطيره .

وأن الحدود الإسلامية ألغيت ماعدا حدى السرقة والزنا ، وأن فريضة الصوم لمدة شهر بهائى أى تسعة عشر يوما من طلوع الشمس إلى غروبها ، وعلى من بلغ الحادية عشرة إلى الثانية والأربعين ولا يقع فى رمضان بل يقع فى الاعتدال الربيعى بحيث يوافق يوم النيروز ، وأن الحج هو زيارة البيت الذى ولد فيه « الباب » والباب هو « السيد على محمد الشيرازى » الذى ولد فى شيراز عام ١٢٣٦ هـ والذى قام على تعاليمه من بعده « بهاء الله » ميرزا حسين على نورى .

وأن القبلة عندهم ليست الكعبة قبلة المسلمين وإنما الاتجاه فى الصلاة إلى حيث ولد الباب .

وأن الصلاة تسع ركعات فى البكور والزوال والآصال . وأن الغسل من الجنابة ليس واجبا بل مستحبا ويشجعون السفور ويحضون عليه ويمنعون الزواج بأكثر من اثنتين ويجيزون الزواج بين مختلفى الدين . ويقولون بإلغاء فريضة الجهاد ، وإلغاء الفوارق بين المؤمنين والكافرين ، ولاتقام عندهم صلاة جماعة إلافى صلاة الجنازة

على الميت .

وينكرون معجزات الأنبياء والبعث والحشر والجنة والنار ويذهبون إلى تأويل النصوص الدالة عليها بمايتنافى مع اللغة والدين . كما ينكرون أن رسول الله ﷺ خاتم الرسل وزعموا أن القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ يؤيد ذلك فقالوا إن الختم واقع على مقام النبوة وليس واقعا على مقام الرسالة وهذا الكلام ظاهر الفساد لأن مقام النبوة عام ومقام الرسالة خاص وختم الأعم معناه عن طريق اللزوم ختم الأخص . ويقولون بنسخ جميع الأديان ورسوم عبادتها لعدم صلاحيتها للعالم فى عصر التقدم ولهذا جاء بدين جديد يشمل البشرية كلها ، ومن تعاليمه الفاسدة أنه يجب هدم الكعبة المكرمة ، والروضة الطاهرة ، وبيت المقدس المبارك كمايجب هدم المساجد والكنائس .

وهم مكرة فى الدعوة إلى عقيدتهم ، فيخاطبون أهل كل مذهب ودين بما يوافق هواهم ، فنجد الداعية منهم مسلما مع المسلمين ، ونصرانيا مع النصارى ، ويهوديا مع اليهود ، ويوهم أهل كل دين بأنه منهم ، وأنه يريد الإصلاح ، وإزالة الضغائن بين أهل المذاهب والأديان .

فإن أنس الضعف من أحد أخذ يشككه فى دينه ، وأورد عليه الشبه ، وأول الآيات بما ينطبق على مزاعمه ، ويتفق وهواه ، ثم يدعوه إلى عبادة البشر .

هذا شأنهم فى ممالك الشرق ، خداع ونفاق بين المسلمين ، يظهرون الإيمان ، ويبطنون الكفر ، أما فى أوروبا وأمريكا فدعوتهم جهارا لايخشون حسابا حيث يحققون أهداف الاستعمار من انسلاخ المسلمين عن دينهم الحق وإذابتهم فى آسن معتقداتهم . ومما لاريب فيه أن معتنق هذه النحلة مرتد عن الإسلام ، والإسلام منه براء .

البهائيون يستأنفون نشاطهم فى مصر :

رغم أن القرار رقم ٦٢٣ لسنة ١٩٦٠ المشار إليه يقضى بحظر نشاط المحافل البهائية فى مصر ومصادرة أملاكها ، ووقف نشاطها لخروجها على جميع الأديان السماوية ، وارتداد أعضائها عن الإسلام ، بإنكارهم ماعلم من الدين بالضرورة وارتباطها بالصهيونية العالمية التى تكيد للإسلام ، وتتربص به الدوائر ، عادت هذه الجماعة المنحلة إلى الظهور مرة ثانية وكان من توفيق الله أن انكشف أمرها ، وتم ضبط واحد وأربعين عضوا من أعضائها ، وعلى رأسهم الأب الروحى لهم الرسام « حسين بيكار » ووجهت إلى المتهمين تهمة « إدارة جماعة الغرض منها مناهضة المبادىء الأساسية التى يقوم عليها نظام الحكم فى البلاد ، والترويج لأفكار متطرفة » والذى يعنينا أن نسجل ماقاله رئيس تلك الجماعة فى التحقيق الذى أجرى معه والذى نشرته جريدة الأهرام فى عددها الصادر فى ١ — ٣ — ١٩٨٥ حيث تحدث عن معتقدات هذه الجماعة ، وكيف اعتنقها ، وأصبح رئيسا لمحفلها فى القاهرة لتزداد يقينا بعظيم خطرها وفادح أمرها .

اعتراف رئيس الجماعة فى مصر :

« أنا مبدئى بهائى ، وهى عبارة عن ديانة مستقلة ، مثل ديانة الإسلام والمسيحية واليهودية ، ومثل كل الديانات الأخرى ، أو هى جوهر وحقيقة كل هذه الديانات ، فهى حلقة من سلسلة الرسالات السماوية ، بدءا من آدم عليه السلام إلى أن يشاء الله ، ولم تختلف رسالة عن أخرى فى هذه المبادىء الأساسية ، إنما الاختلاف فى العبادات والتشريعات ، والبهائية جاءت لتنسخ ما قبلها من رسالات ، وهى رسالة سماوية تنتظرها جميع الأديان ، فاليهود ينتظرون ظهور « جيسيه » والنصارى ينتظرون عودة « المسيح » والمسلمون ينتظرون « المهدى المنتظر » والبهائية هى التى ينتظرها هذا العصر ، بدأت عام ١٨٤٤

ميلادية على يد « على محمد » ونسميه « الباب » أى الشخص المؤدى إلى الله ، وقد بشر بمجيء موعود آخر يظهره ليضع أساس الديانة الجديدة التى تكمل الديانات السابقة ، ويسير العالم عليها ، إلى أن يجيء آخر يبشر وقد جاء ابنه « حسين » وأطلق على نفسه « بهاء الله » وقد أعدم « الباب » فى إيران نبى هذا الزمان بمجرد إعلان دعوته ، واتهام علماء المسلمين له بأنه جاء ليهدم الإسلام ، ونحن نعتبره رسول العصر الذى أتى ليصحح المفاهيم العقائدية فى مختلف الطوائف ولذلك نسبت إليه البهائية باعتبارها ديانة عالمية ، ومن ضمن البلاد التى طبقت فيها مصر منذ (١٠٠) سنة حيث كان يوجد مجتمع بهائى ، وسجلت بالمحاكم المختلطة ، وكان مقرها بحظيرة القدس بالعباسية إلى أن صدر القانون رقم ٦٢٣ لسنة ١٩٦٠ بحظر نشاط المحافل البهائية فى مصر ، ومصادرة جميع أملاكها ووقف نشاطها .

وأضاف « بيكار » قائلا :

إننى حضرت للقاهرة ، وكنت نشأت نشأة إسلامية فى عام ١٩٢٨ ، ودخلت المحافل وعمرى ٢٨ سنة وهى تضم مسلمين ومسيحيين يأتون بأدلة من القرآن والكتاب المقدس وفيها مايؤكد ظهور إله جديد هو « المهدى المنتظر » وهو مانعتقد أنه « بهاء الله » وجاءت قراءاتى المتأنية فى الكتب المقدسة « التوراة » و« الإنجيل » فآمنت بوجود الرسول محمد ﷺ فى جميع هذه الكتب كما أن « بهاء الله » أيضا موجود بنفس الوضوح فى آيات الكتاب المقدس باعتباره الظهور الإلهى الذى سيأتى بعد سيدنا محمد ﷺ ، وأن من يكفر بـ « بهاء الله » يكون كافرا بكل الأديان .

انتخابه لرئاسة المحفل المصرى :

وقال الرسام « بيكار » إنه انتخب عضوا فى المحفل المركزى ، ثم صار نائب

رئيس المحفل المركزى المصرى والسودانى وشمال أفريقيا إلى أن منع نشاط البهائية فى (١٩٦٠) وكان لابد أن يعقدوا محفلهم فحولوها إلى زيارات بينهم كأصحاب عقيدة ، وكان طبيعيا أن نتزوج من بعضنا دون النظر إلى الديانة وكنا نقرأ المناجاة الخاصة بالبهائيين ، وهى عبارة عن الأدعية التى نزّلها حضرة « بهاء الله »

والكتاب المقدس تجمعت فيه الأحكام البهائية التى قالها « بهاء الله » وهى منزلة عليه من الله سبحانه وتعالى . أما الألواح فهو كتاب مقدس خطابات كان يكتبها « بهاء الله » تتضمن مبادئه وتعاليمه ونصائحه للأحياء فى العالم ، والكتابان هما مصادر التشريع فى البهائية .

صلاة البهائيين :

وقال « بيكار » عن طقوس العبادة لديهم بأن الصلاة لديهم تختلف عن الصلاة فى الديانات السماوية الثلاث فهى (٣) صلوات وكل بهائى يختار منها واحده حسب استعداده الروحى وهى :

الصلاة الكبرى وهى من الظهر إلى الظهر ، والصلاة الوسطى ، وتؤدى ثلاث مرات فى اليوم فى الصبح والظهر والغروب. والصلاة الصغرى ، وتؤدى مرة واحدة كل يوم .

ويخرج البهائى من ماله ١٩ فى المائة من صافى ربحه لبيت العدل فى « حيفا » لتوزيعه على المحافل الدولية ولايوجد فى الكتاب المقدس شىء عن الحج ، ولكن لهم مزارات للأماكن التى ترتبط بأصحاب الدعوة مثل زيارة مدينة « شيراز » بإيران التى ترتبط بصاحب الدعوة البهائية ، و « حديقة الرضوان » ببغداد ، وزيارة مدفن « بهاء الله » فى « عكا » بإسرائيل ، وزيارة مقام الباب ، وعبد البهاء فى « حيفا » بإسرائيل .

كما ساوى البهائيون بين الذكر والأنثى فى الميراث ، والزواج لديهم لااعتبار للدين فيه بين الزوجين ، وتقويمهم مخالف لكل التقاويم السنوية والشهرية والأسبوعية ، فالشهر لديهم (١٩) يوما ، والسنة (١٩) شهرا ، وعيد فطرهم هو عيد النيروز .

هيكل الجماعة :

وتتكون المحافل البهائية المركزية بانتخاب تسعة أشخاص ويسمى « بيت العدل العالمى » ويقع فى حيفا وهى قبلة الصلاة لديهم ، ويتولى شئون البهائيين فى العالم بحيث يتم انتخاب أعضائه كل خمس سنوات ، وقد ارتبط بالمحفل المصرى الإشراف على البهائية فى مصر والسودان وشمال أفريقيا ، ويبلغ عدد البهائيين فى العالم ثلاثة ملايين ونصف ويوجدون بكثرة فى الهند وإيران والولايات المتحدة الأمريكية .

وبعد فهذه هى البهائية كما نعرفها وكما عرضها رئيسها فى مصر ومما تقدم ندرك أن البهائيين يعتنقون أفكارا مناهضة للشرائع السماوية بالإضافة إلى بلبلة أفكار الجمهور من خلال الطعن فى الأديان السماوية ، وتمييع ولائهم للوطن ، وربطهم بالصهيونية العالمية التى تكيد للإسلام ، وتتربص بالمسلمين الدوائر من خلال مركزهم الرئيسى فى « حيفا » بإسرائيل ، وزعمهم أنهم وحدهم المؤمنون وغيرهم من معتنقى الإسلام والمسيحية واليهودية هم الكافرون .

ومعذرة حيث أطلنا القول إذ ماأحوجنا إلى أن نتنبه إلى ماتقوم به هذه الجماعات الإلحادية من نشاط دائب فى نشر مفترياتها ، والدعوة إلى مبادئها التى تضافرت جميع الأديان السماوية على بطلانها لتحقق مآربها ، من إشاعة التحلل من قيود الدين والفضيلة ، والسير فى ركب الصهيونية العالمية ، والتمكين للاستعمار من بسط نفوذه على العالم الإسلامى وهذا يفسر لنا السر فى الحفل الذى أقيم فى

إبريل سنة ١٩٢٠ م بدار الحاكم البريطانى لفلسطين تكريما لعبد البهاء ، والذى قدم فيه الحاكم الصهيونى إلى عبد البهاء باسم الامبراطورية البريطانية أرفع الأوسمة التى تمنحه «سير »أو فارس الإمبراطورية البريطانية[١]

كما يفسر لنا الحكمة فى أن يشارك الحاكم الإنجليزى الصهيونى فى تشييع جنازة « عبد البهاء »[٢] والسير خلف صندوق جثته ، ومن حوله كبار الحكام من الإنجليز ، وعلى وجوههم مظاهر الحزن العميق ، والأسف البالغ ، لأنهم فقدوا بهلاك « عبد البهاء » السند القوى ، الذى كانوا يعتمدون عليه فى تنفيذ مخططاتهم الاستعمارية فى العالم الإسلامى والعربى [٣]



---

(١) راجع دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين للداعية الكبير الشيخ محمد الغزالى صحيفتى ٢٣٤ ، ٢٤١ .

(٢) راجع دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين للداعية الكبير الشيخ محمد الغزالى صحيفتى ٢٣٤ ، ٢٤١ .

(٣) هلك عبد البهاء فى يوم الاثنين السادس من ربيع الأول سنة ١٣٤٠ هـ ـ الثامن من نوفمبر سنة ١٩٢١ وقبر فى « حيفا » بإسرائيل .

الماسونية

مجمع الفقه الإسلامى يحدثنا عنها . الماسونية من أقوال قادتها

الماسونية لاتقل خطرا عن شقيقتيها القاديانية والبهائية ، بل هى من أشد المنظمات الدولية المعادية للإسلام ، والمحاربة للمسلمين .

وقد كفانا مؤونة الكتابة عنها المجمع الفقهى الإسلامى الذى انعقد فى مكة المكرمة فى ١٧ — ٨ — ١٣٩٨ هـ والموافق ١٥ — ٧ — ١٩٧٨ م واشترك فيه عدد كبير من علماء المسلمين من شتى أنحاء العالم الإسلامى ، حيث عرض للماسونية ، والمنتسبين إليها ، وحكم الشريعة الإسلامية فيهم فقال : « الماسونية منظمة سرية ، محجوب علمها حتى على أعضائها إلا خواص الخواص الذين يصلون بالتجارب إلى مراتب عليا .

إنها تبنى صلة أعضائها على أساس ظاهرى للتمويه وهو الإخاء الإنسانى دون تمييز بين العقائد والمذاهب ، وتجذب الأشخاص ممن يهمها ضمهم بطريق الإغراء على أساس تجنيد الأخوة الماسونيين فى بقاع الأرض على عون كل ماسونى فى حاجاته وأهدافه ، يؤيده إذا كان من ذوى الطموح السياسى ، ويعينه فى كل أمر .

وهى فى أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور ، صهيونية النشاط ، وفى أهدافها السرية ضد الأديان جميعا .. وتحرص على اختيار المنتسبين إليها من ذوى المكانة المالية أو السياسية أو الاجتماعية وهى ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويها وتحويلا للأنظار ، وأبرزها منظمة : « الأسود » و « الروتارى » و « الليونز » وغيرها .

وقد تبينت العلاقة الوثيقة بينها وبين الصهيونية العالمية حيث استطاعت أن تسيطر على كثير من المسئولين فى البلاد العربية وغيرها .

ولذلك تعتبر الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين . وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام مجانب لأهله »[١].

ويقول الأستاذ الفاضل « جواد رفعت أتلخان » فى كتابه « أسرار الماسونية » :

« إن جمعية القوة الخفية دخلت جمعية البنائين الأحرار « الفرنك ماسون » وجعلتها مطية لها ، واتخذت من نفوذها سلما لإعادة ملك إسرائيل ، ولاتزال اليهودية العالمية هى القوة المحركة الكامنة وراء الماسونية ، والأساتذة الكبار الحقيقيون فى المحافل الماسونية هم الممثلون للجمعيات اليهودية السرية ، وإن التساند الواضح الموجود بين الماسونيين فى العالم وبين اليهود يرجعه الباحثون إلى كثرة اليهود فى الصفوف المتقدمة من الماسونية »[٢].

وهذه الكلمة المسلمة الصادقة توضح الدور الذى تقوم به الماسونية فى توطيد دعائم الاستعمار والصهيونية وهذه كلمات لقادة الماسونية تكشف عن نواياها الخبيثة .

ذكر الأستاذ عوض الخورى فى كتابه : « تبديد الظلام » تصريحا لأول رئيس لتلك الجماعة المخربة فى أول جلسة لمؤسس هذه الجمعية قال فيه :

---

(١) صحيفة اللواء الإسلامى العدد (١٢٠) الصادر فى ٢٠ من شوال ١٤٠٤هـ / ١٩ يوليو ١٩٨٤ م .

(٢) راجع « المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام » للعالم الداعية الشيخ محمد محمود الصواف ص ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ .

« إن الغاية من جمعيتنا هى إرجاع العالم إلى اليهودية ، وسحق تعاليم المسيح »(١)

وجاء فى النشرة الرسمية التى أذاعها الشرق الأعظم الفرنسى : « نحن الماسون لايمكننا أن نتوقف عن الحرب بيننا وبين الأديان ، لأنه لامناص من ظفرنا ، أوظفرهم ، ولن نرتاح أبدا إلا بعد أن تقفل جميع أبواب المعابد »(٢)

وجاء فى نشرة العالم الماسونى : « إن علينا أن نسحق فى قلب الماسونى كل قبيح وفظيع ، وهذا القبيح الفظيع هو الله وليس الله سوى الشر » (٣)

وجاء فى نشرة « أكاسيا » وأكاسيا شجرة مقدسة عند اليهود : « إنه لايكفى التغلب على الأديان والمعابد بل القصد الأساسى هو محو الأديان ، وإنما بداية عملنا فهو :

« فصل الدين عن الدولة » (٤)

وقال « كوكفيل » فى محفل منفيس « لندن » :

« إذا سمحنا لمسلم أو مسيحى بالدخول لمحفلنا فيجب أن ينسى أضاليله وخرافاته التى خدع بها فى شبابه » (٥)

بعد هذا العرض الموجز للماسونية ، والوقوف على بعض تصريحات القائمين على أمرها ، فإن الواجب على المسلمين حكاما ومحكومين أن يعملوا على تصفية هذه المؤسسات المخربة ، واجتثاث جذورها قبل أن يعظم خطرها ، ويستشرى فسادها ....

ولقد فطن ولاة الأمور فى مصر لما لتلك الجمعيات من العواقب الوخيمة التى

(١) راجع « المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام » للعالم الداعية الشيخ محمد محمود الصواف ص ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١

(٢) ، (٣) ، (٤) (٥) المرجع السابق .

تهدد المجتمع فى دينه وخلقه ، وفى حاضره ومستقبله ، فأغلقوا محفلها فى القاهرة ، وشددوا الخناق على المنتسبين إليها ، وجدير بنا أن نبصر المجتمع بأهدافها حتى لايقع فى حبائلها لاسيما وقد انخدع بها بعض القادة ، وكانوا من أعضائها البارزين ، ولم يدركوا أهدافها إلا فى النهاية .



ملحوظة : الماسونية أو الفرمسون : كلمة مركبة من لفظتين فرنسيتين « فرانك » ومعناها : الحر و « ماسون » ومعناها : بنَّاء أى أنها « جمعية البنائين الأحرار » أى بالأحرى الهدامين الأشرار .

الشيوعية

الجانب الإلحادى منها . هجوم قادتها على الإسلام والمسلمين . أمل خادع وسراب كاذب .أيكون المسلم ماركسيا؟

لايعنينى الحديث عن جانب الشيوعية الاقتصادى مع إيمانى العميق بمنافاته للنظام الإسلامى الاقتصادى وإنما يعنينى الحديث عن الجانب الإلحادى والذى يمكن تلخيصه فى كلمات معدودات وهى : **أن الألوهية خرافة . وأن الوحى هراء ، وأن الحياة الأخرى اختلاق**، ولهذا فإنها تعلن الحرب على الأديان لاسيما الإسلام ولقد مر بنا ماقاله « لينين الماركسى » فى خطبته قبل توليه الحكم : « .. يجب أن يدمر الإسلام من على هذه الأرض ويستأصل كليا لأنه دين الاستعمار ... ولهذا فإنه واجب حتمى على الأجهزة الشيوعية أن تقوم بدراسة دقيقة لخطة طويلة الأمد تعمل على تفكيك وتدمير المسلمين فى تركيا والبلاد العربية والقارة الهندية .... وأنا أحذركم تحذيرا شديدا بأن عدونا الحقيقى هو الإسلام والمسلمون (الأقذار) على حد تصريحه السافل وماقاله غيره من المستشرقين الروس وقادة السوفيت حين الكلام على جمعية المستشرقين السوفيت .

أمل خادع وسراب كاذب

هذا ومن المؤسف المحزن أنه رغم عدائها السافر للإسلام ونشاطها الذى لايفتر فى محاربته ففى المجتمع الإسلامى والعربى من يؤمن بها ويعلق عليها الآمال الكبار فى حل القضايا المعلقة ونسوا أنها تلعب كغيرها على حبلين ، وأنها إذ تصافح بيد تغمر الأعداء باليد الأخرى .

وفاتهم أن حل قضايانا وتحقيق آمالنا مرهون بتوثيق صلتنا بالله ورجوعنا إلى

التمسك بدينه وصبغ مظاهر حياتنا بتعاليمه : ﴿ إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾[1] .

بين الإسلام والماركسية تناقض

ثم هم مع ذلك يدَّعون الإسلام فهل غاب عنهم أن بين الماركسية والإسلام تناقضا لأن الماركسية تنكر وجود الله والإسلام يثبته فكيف يكون ماركسيا ومسلما فى نفس الوقت حيث إنه لا يمكن أن يؤمن بوجود الله وينكر وجود الله فى وقت واحد فمن ادعى ذلك فهو إما أن يعلم الحقيقة ويداريها بالخديعة ليصل إلى حاجة فى نفسه أو أنه لا يعلم .

أيكون المسلم ماركسيا ؟

وبهذه المناسبة نقرر أن المسلم الذى يقتنع بالماركسية ويتخذ منها عقيدة ومذهبا فإنه بذلك يخرج من عالم الإسلام ولعلنا نذكر أن الخليفة الراشد أبا بكر الصديق رضى الله عنه حارب مانعى الزكاة فما بالنا بالمنكر لوجود الله ؟! ومن هنا ندرك فى يسر وسهولة أن المسلم لا يكون ماركسيا وإن زعم أنه مسلم

هذا وهناك بجانب القاديانية والبهائية والماسونية والشيوعية الجيش الزاحف من الكتب والصحف والمجلات التى تروج للأفكار المستوردة والمبادىء الدخيلة ولاتقيم وزنا للدين وخلقه والمجتمع وتقاليده وتشغل الشباب عن الحياة الجادة وتلهيهم بألوان الفنون والمجون والمخدرات وأشرطة الفديو .. وهى بهذا تحقق أغراض التبشير فى إضعاف سلطان الدين على النفوس وفى إشاعة التحلل الخلقى والفساد الاجتماعى وفى ايجاد جيل لايعتز بإسلامه وبالتالى لايصلح للقيام برسالته السامية فى الحياة .

(١) الآية (٧٣) من سورة الحج .

كلمات حكيمة للإمام المراغى

بعد أن تحدثنا فى الأبواب السابقة عن موقف أعداء الله من الإسلام كعقيدة ، وعن موقفهم من المسلمين كأمة اختارت تلك العقيدة منهجا ومسيرا ، وتحدثنا عن الاستشراق والتبشير باعتبارهما الجسر الذى يعبر عليه الاستعمار إلى العالم الإسلامى ، وأمطنا اللثام عن الجيوش الزاحفة التى تحقق أهداف الاستعمار من الجماعات الهدامة ، والصحف الهابطة ....

ناسب أن نختم الحديث بفقرات من تلك الخطبة الجامعة التى ألقاها إمام المسلمين الأكبر المغفور له الشيخ « محمد مصطفى المراغى » شيخ الجامع الأزهر فى الاحتفال بعيد الأضحى سنة ست وخمسين وثلثمائة وألف من الهجرة النبوية ، واستمعت إليها الجماهير المسلمة كما استمع إليها القادة ورجال الحكم ، وحملها الأثير إلى أرجاء العالم لما بينها وبين تلك الأبواب من عظيم الارتباط ، ووثيق الصلة حيث حض فيها على التمسك بالدين ، وحذر من المشككين فى تعاليمه ، وفضح فيها أسلوب المبشرين فى صرف المسلمين عن دينهم ، وبين حكم الإسلام فى الذين يحاولون عزله عن الحياة ، والحيلولة بينه وبين هيمنته على شؤون الأفراد والمجتمع ، ورغب فى العلم ، وحث على العمل باعتبارهما الطريق إلى نظام أكمل ، وحياة أسعد ، وأمر بغض الطرف عن الفروق المذهبية والطائفية التى تقوض دعائم المجتمع ، وتثير الفتن كما رغب فى حسن معاملة غير المسلمين ، وصيانة أموالهم وأعراضهم ودمائهم ليعيش أبناء مصر فى محبة ووئام .

قال طيب الله ثراه فى الحض على التمسك بالدين فى مواجهة خصوم الإسلام :

« لقد تحققت فيكم نبوة خاتم الرسل محمد ﷺ حيث قال : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة فى قصعتها » فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ

يارسول الله ؟ قال : « بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله فى صدوركم الوهن » فقال قائل : وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت .

تحققت هذه النبوة ، وتداعت عليكم الأمم ، بل تداعت عليكم الثعالب تريد السيطرة على مابقى من تراثكم ، وتريد الاستيلاء عليكم ، ومحو مابقى من آثار العزة الإسلامية ، وشعائر الإسلام ، وركنتم إلى مودتهم مخالفين كتاب الله ، فضربوا ببعضكم رقاب بعض وأذلوا بعضكم ببعض ، وأنتم لاهون عن الخديعة والمكر ، ساهون عن روغان أولئك الثعالب ، وهم فرحون ضاحكون .

لاتثقوا بعد أن جربتم ، ولاتأمنوا بعد أن بلوتم ، فهبوا من نومكم ، واعملوا والله معكم ولن يتركم أعمالكم ».

وقال فاضحا أسلوب المبشرين فى استدراج المسلمين إلى باطلهم ، ودعوتهم إلى دينهم :

« للمبشرين طريقة ماكرة خادعة ، يشككون أولا فى صلاحية الدين الإسلامى لعصور المدنية ، ويقولون إن للمدنية والرقى الاجتماعى ضرورات وأحكاما يجب مراعاتها ، والنزول على مقتضياتها ، ثم ينتقلون من ذلك إلى طلب محو آثار العقيدة ومظاهرها ، وهى الشعائر الإسلامية ، ثم ينتقلون من ذلك إلى دعوة المسلمين إلى دينهم ، وفى كل خطوة من هذه الخطوات إذا تمت بنجاح هو إضعاف العقيدة ، وسلطان الدين على القلوب ، والتفريق بين قواعد الدين ، وهو لايقبل التجزئة ، ومتى جاز اعتراف المسلم بأن بعضه غير صالح جاز اعترافه بأن الكل غير صالح »

وقال مبينا حكم الإسلام فى الذين ينادون بعزله عن الحياة والتفرقة بين قواعده :

« والمسلم الذى لايعترف بأن الدين حق كله ، وخير كله ، ويقول إن بعض قواعده ضارة بالمجتمع ، أو ضارة بالمدنية أوالسياسة .

مسلم مرتد عن دين الله ، لايقبل الله منه صلاة ولاصوما ...

هذا حكم الله أجاهر به من هذا المعهد ، ليكون المسلمون على ذكر منه : ﴿ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ، وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد ﴾ .

إضعاف سلطان الدين على النفوس ، والتفريق بين قواعده ، وانتزاع سلطانه على الحياة الاجتماعية يضعف نفس المسلم ، ويبعده عن دينه ، ويضعف خلقه ، ويجعله أهلا للذلة والاستكانة .

والمؤمن محكوم له بالعزة من الله : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ .

أولئك الذين يحاولون إبعاد الدين عن الحياة الاجتماعية ، ويحاولون إخفاء شعائره ومظاهره ، هم فى الواقع أعداء الإسلام .

لكن هؤلاء الأعداء مهرة فى الدعوة إلى دينهم ، كما أنهم مهرة فى السياسة ، ظلوا خلف الستر ، وقدموا تلاميذهم من المسلمين ، وفتلوا لهم فى الذروة والغارب ، واستعانوا بإبليس وجنده .

وَسْوَسُوا لهم ، ونفخوا فى خياشيمهم ، قالوا لهم :
هل ندلكم على شجرة الخلد ، وملك لايبلى ؟
كونوا أبطال المدنية ، وقادة الإصلاح فى الأمم ، لكن ذلك لا يكون إلا إذا جاهرتم

بأن الدين غير صالح للمدينة ، وأن نظمه بعيدة عن الإصلاح الاجتماعى ، وأن الأمم المتمدينة لاتحترم من يستمسك بالدين .

فجاهروا بهذا دون استحياء ، وماأولئك المساكين إلا مطايا ذللت وسخرت وروضت ، وماأصواتهم إلا صدى لمعلميهم ومروضيهم وفاتنيهم .

هؤلاء : إما غير مسلم يدعو إلى دينه عن طريق الخديعة والمكر ، وإما مسلم مرتد أو ملحد ، والله لايرضى عن هؤلاء جميعهم ، فإما أن ترضوهم وتغضبوا الله ، وإما أن تغضبوهم وترضوا الله »

وقال فى الدعوة إلى العلم :

« تعلموا واعملوا . تعلموا فروع العلم جميعها لتنالوا الفخار والمجد ، ولتكونوا أعزة ، وأقيموا أساس الحضارة على العلم والدين والأخلاق .
قوموا بوظيفة الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر : ﴿ فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم ، واتبع الذين ظلموا ماأترفوا فيه وكانوا مجرمين . وماكان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾ (١) .

وقال فى الدعوة إلى غض النظر عن الفروق المذهبية والطائفية وحسن معاملة غير المسلمين :

« غضوا الطرف عن الفروق الطائفية والمذهبية ، ولاتجعلوا تلك الفروق سببا فى الفرقة ، وسلاحا بيد عدوكم يخرب به بيوتكم ، وكونوا كما قال الله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ (٢)

(١) الآيتان ١١٦ ، ١١٧ — هود .
(٢) الآية (١٠) — الحجرات .

ولاتخشوا أحدا فى إظهار شعائر الإسلام ، والانتصار للإسلام ، والله هو الأحق بالخشية وحده ، والمسلم المتعصب لدينه مفيد للجماعة الإنسانية بخلقه ، وقوة إيمانه ، وهو سلم لإخوانه فى الوطن ، ولكل من له معهم عهد ، فهو محرم عليه أن يعتدى على هؤلاء فى أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم ، لكنه مع هذا رجل شديد الاحتفاظ بقوميته وعزته وحقوقه ، ويأبى الضيم ، ولايطيق الذل » .

وبعد فليس لنا بعد تلك الكلمات الحكيمة ، والوصايا الجليلة ، والتوجيهات السديدة التى أذاعها الإمام المراغى منذ أكثر من نصف قرن من الجامع الأزهر فى شجاعة نادرة ، وعزيمة صادقة ، وخبرة فائقة ، ودراية شاملة إلا أن نهيب بالقادة والزعماء والملوك والرؤساء ومن خلفهم الجماهير المسلمة إلى أن يأخذوا منها بليغ العظات ، وحكيم التوجيه ، ليسلم لهم دينهم ، وتهنأ حياتهم ، ويرهبوا عدو الله وعدوهم .

نعم ما أحوجنا وقد أحاطت بنا الذئاب من كل جهة ومرت بنا أحداث وأحداث كانت كفيلة أن تبعثنا من مرقدنا ، وأن توقظنا من غفلتنا ، وأن تجمع شتاتنا ، وتوحد أهدافنا ، أن ننهض لنؤدى ماحملنا من أمانة ، ونيط بنا من واجب ، ليبسط الله لنا يد المعونة ، ويكلأنا بنصره ورعايته ، ونسلم من تلك الأوبئة التى تحاول القضاء على إسلامنا ، ومظاهر قوتنا وعزنا ، ولنعلم أن السكوت عن مقاومة الانحراف ، والرضا بما نحن فيه من ذلة وامتهان ، وبعد عن تعاليم الإسلام الهادية ، وشريعته الخالدة ليس وراءه إلا تتابع الكوارث وتوالى الأزمات ، والتمكين لمايريده حزب الشيطان : ﴿ يأأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون . واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾(١) .

---

(١) الآيتان ٧٤ ، ٧٥ — الأنفال .

الباب الخامس

الاستعمــــار

الباب الخامس

الاستعـــمار

الاستعمار أحقاد وأطماع .

آثار الاستعمار البغيضة .

رسول الله ﷺ يتنبأ بتلك الآثار قبل وقوعها لاستنهاض الهمم ومواجهة الأعداء .

الصحوة السياسية . الانحراف عن الإسلامية إلى العلمانية .

لم هذا وقد تكفل الإسلام بكل شيء ؟

« المؤتمرات الدولية تشيد بالشريعة الإسلامية » .

المؤتمر الدولى المنعقد فى « لاهاى » عام ١٩٣٥ .

قرار مؤتمر المحامين الدولى المنعقد فى « لاهاى » .

مؤتمر شعبة الحقوق الشرقية من المجمع الدولى للحقوق المقارنة بكلية الحقوق بجامعة باريس وقراره التاريخى .

« شهادات إنصاف وتقدير » .

شهادة الفيلسوف الإنجليزى : « برناردشو » .

شهادة الفيلسوف الفرنسى المسلم « الدكتور رجاء جارودى » .

شهادة الصحفى الفرنسى : « برناردورل كوسنا » .

نفوذ الثقافة الغربية فى العالم الإسلامى .

صور من انحراف بعض القادة وخروجهم على الإسلام .

الإمام الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر : يشرح مساوىء الاستعمار ، ويفضح أسلوبه ، ويدعو إلى العلم والعمل .

الاستعمار أحقاد وأطماع :

أدرك الاستعمار أن الإسلام ما انتشرت دعوته ، ولاقامت دولته ، ولاامتد سلطانه إلا بفضل عقيدته الصحيحة ، وتعاليمه الرشيدة .

تلك العقيدة التى آمن بها المسلمون إيمانا عميقا فزرعت فى نفوسهم مبادىء التوحيد والوحدة ، والإخاء والمحبة والعدل والمساواة فشروا أنفسهم وأموالهم فى الدعوة إليها والدفاع عنها . وتلك التعاليم التى اتخذها المسلمون دستورا لحياتهم ، ومنهاجا لمسيرتهم فزلزلوا عروش الطغيان ، ودكوا معاقل الفساد ، وأرغموا جحافل الشرك وأولياء الشيطان على أن يولوا الأدبار وبسطوا ألوية العلم والمعرفة ، والعدل والأمن على عالم كان قبلهم يسوده الجهل والظلم ، ويعمه التخلف والخوف .

كما أدرك الاستعمار أن تلك الدعوة الربانية ، والتعاليم السماوية تقف سدا منيعا أمام الصليبية الغربية ، والشيوعية الدولية ، والصهيونية العالمية . وأن العالم الإسلامى قد حباه الله بالموقع الممتاز ، والثروات الهائلة ، والدفائن الثمينة ، والأرض الخصبة ، والأنهار الجارية ....

فبيتوا له الشر ، وتربصوا به الدوائر تنفيسا عن قلوبهم الحاقدة ، وإرضاء لنزواتهم الشريرة وأنانيتهم البغيضة ثم انطلقوا فى أرجاء العالم الإسلامى انطلاق الأسود الضارية والوحوش الجائعة لايعتقدون بدين ، ولايقيمون وزنا لخلق ، ولايخشون الله .

فقضوا على دولة الإسلام فى الأندلس ، وتم لهم الاستيلاء على بلاد التركستان ذات الشهرة الإسلامية العظيمة ، وعلى القوقاز وشمالى إيران .

وكان الغزو المغولى والتتارى والحروب الصليبية ، وكان القضاء على الخلافة الإسلامية فى تركيا ، وهيمنة إنجلترا على الهند واحتلالها لمصر والعراق وفلسطين

وعدن واستئثارها بالحكم فى السودان وسيطرتها على أراضى الخليج والجنوب العربى .

وكان احتلال فرنسا للجزائر وتونس ومراكش وسوريا ولبنان ، وإيطاليا لليبيا والحبشة والصومال ، وسيطرة هولندا على أندونسيا .

وتمكين اليهود من إقامة دولتهم فى « فلسطين » وغزو روسيا لأفغانستان ، وكانت تلك الحرب الحامية الوطيس والتى دخلت عامها الخامس بين دولتين مسلمتين « إيران والعراق » تلك الحرب التى أوقد نارها الاستعمار ليثير العداوة والبغضاء بين شعبين متآلفين وليقسم الأمة العربية إلى مؤيد ومعارض ليصرفها عن مقاومة العدو الرابض فى قلبها والمهدد لكيانها (إسرائيل) .

آثار الاستعمار البغيضة :

مضى الغزو السياسى فى تنفيذ خططه بجانب الغزو الاستشراقى والتبشيرى والاقتصادى والثقافى والاجتماعى وكان من آثاره السيئة وعواقبه الفادحة إضعاف شوكة الإسلام وإقصاؤه عن جميع مجالات الحياة ، وحصره فى مجال العبادات بعيدا عن تنظيم المجتمع الخاص والعام تطبيقا لفكرة فصل الدين عن الدولة .

وامتهان الشخصية الإسلامية ، ومحاولة القضاء عليها ، وإذابتها فى غيرها ، والحد من التعصب لها أو الحفاظ عليها .

وتفتيت الوحدة الإسلامية ، وإثارة الفتن وبذر بذور الشقاق ، ومحاربة اللغة العربية ، ونشر اللهجات المحلية ، وبعث قوميات ماقبل الإسلام ، ومناهضة الثقافة الإسلامية ، وغزو المجتمع الإسلامى بالكتب المترجمة التى تهاجم العقيدة وتزهد فى القيم ، وتحض على الرذيلة ، وتنفر من الفضيلة ، وتشجع على الإلحاد ...

والمجلات الخليعة ، والأفلام المثيرة ، والقصص الداعرة ..

وذلك بجانب نهب ، ثروات الوطن الإسلامى ، والاستئثار بخيراته ، والتحكم فى مصيره ، وإيجاد شخصيات تدين بالولاء له والسعى فى مرضاته ، وتنفيذ مآربه .

وأصبحت مصيبة الإسلام كما يقول : « دولة سعد جمعه رئيس وزراء الأردن الأسبق » فى كتابه : « الله أو الدمار » صحيفة « ٣٨٥ » . « أنه فى مضيعة لامعين له عليها بين جهل أبنائه وعجز علمائه بل كدت أقول : جهل أبنائه وعلمائه على السواء ، وأنه فى الوقت نفسه يواجه هجوما شرسا لاهوادة فيه يهدف إلى القضاء على الإسلام قضاء مبرما بما دسوه وزوروه عليه من شبهات وإسرائيليات » .

ولقد ترجم عن تلك الآثار « هاملتون جب » فى كتابه : أين يتجه العالم الإسلامى ؟ فقال : « إن الغرض من الجهود المبذولة لحمل المسلمين على الحضارة الغربية هو تفتيت الحضارة الإسلامية التى تقوم عليها وحدة المسلمين ، وتغيير خصائصها تغييرا جذريا عن طريق النشاط التعليمى والإعلامى والثقافى الذى من شأنه أن يترك فى المسلمين من غير وعى منهم أثرا يجعلهم يبدون فى مظهرهم العام لادينيين ».

رسول الله ﷺ يتنبأ بتلك النتائج قبل وقوعها :

ولقد تنبأ رسول الله ﷺ بتلك النتائج المحزنة ، وبتلك الآثار السيئة كما تنبأ بارتمائنا فى أحضان الاستعمار وحرصنا على تقليده والوقوع فى حبائله والقناعة بالدون والحرص على الحياة وكراهية الجهاد وإيثار الشهوات وذلك منذ أكثر من أربعة عشر قرنا . عن ثوبان رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟

قال : « بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله فى صدوركم الوهن »

فقال قائل : وما الوهن ؟

قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » . رواه أبو داود فى كتاب الملاحم من سننه

وقال ﷺ : « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم . قلنا يارسول : اليهود والنصارى ؟

قال : « فمن » ؟ أخرجه الإمام البخارى وفى رواية أخرى لمسلم : « فمن غيرهم » ؟ .

هذا وإذا كان رسول الله ﷺ أخبر بما آل إليه أمرنا من تحكم أعداء الله فينا بسبب الركون إلى الدعة والراحة وإيثار الحياة على الموت والتقاعد عن الجهاد ومواجهة الأعداء وحرصنا على تقليدهم والأخذ بمفاسدهم والارتماء فى أحضانهم فإنه فى الوقت نفسه يثير فينا مشاعر الحماس ، ويبعث فينا النخوة والنشاط ويدعونا إلى العمل الدائب لمواجهة ماحل بنا من التخلف المخزى ، والهوان المزرى ، والتبعية المسترذلة بالتمسك بتعاليم الإسلام ، وإعداد العدة لميادين الجهاد ، وفى وحدة الصف وجمع الكلمة والحرص على الإبقاء على شخصيتنا الإسلامية :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ . ﴿ إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ﴾ .



الصحوة السياسية
الانحراف عن الإسلامية إلى العلمانية
لم هذا وقد تكفل الإسلام بكل شيء ؟

بعد أن أخذ الاستعمار الغربى بخناق العالم العربى والإسلامى مالبث أن نهض نهضته المباركة ، ووثب وثبته الموفقة فتخلص من الاستعمار البغيض ، بعد جهاد طويل ، وكفاح مرير ، بذل فيه المهج والأرواح ، وخلد له التاريخ أنصع الصفحات ، ثم أخذ يشق طريقه ، ويستأنف مسيرته ليؤدى رسالته فى شتى مجالات الإصلاح ، وكان المأمول أن يتخذ من شريعة الله الخالدة ، ومنهج رسوله القويم ، الأساس لمسيرته ، والأصل الذى يبنى عليه حياته الجديدة ، ولكن والأسف يملأ الجوانح أنه ما من بلد إسلامى يبرز على خريطة العالم المستقلة إلا وينحرف قادته السياسيون فى تيار العلمانية وينأون عن الأخذ بتعاليم الإسلام الفاضلة ، وتشريعاته المجيدة ، وآدابه السامية ، فهل غاب عنهم أن الإسلام وضع لكل مشكلة حلا ، ولكل معضلة جوابا ، ولكل داء دواء وأنه دستور شامل يحكم البشرية كلها روحانيتها وماديتها ، اقتصاديتها واجتماعيتها يحكم ثقافتها وسلوكها بل ، ويهيمن على كل شيء فيها ﴿ لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾[1] ولهذا ضمن لهم بالأخذ به والسير على نهجه ، العزة الدائمة ، والهناءة الشاملة ، والقوة الغالبة : ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولايشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ [2] .

---

(١) الآية ٤٢ فصلت .

(٢) الآيات من ١٢٤ ــ ١٢٦ طه .

وهل غاب عنهم قوله ﷺ : « كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم ، وخبر مابعدكم ، وحكم مابينكم وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم .

هو الذى لاتزيغ به الأهواء ، ولاتلتبس به الألسنة . ولايشبع منه العلماء ، ولايخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه .

وهو الذى لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد . من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه فقد هدى إلى صراط مستقيم » رواه الترمذى وأبو نعيم .

المؤتمرات الدولية تشيد بالشريعة الإسلامية :

وهل غاب عنهم أن المؤتمر الدولى للقانون المقارن المنعقد فى مدينة « لاهاى » عام ١٩٣٥ أعلن على لسان الفقيه الفرنسى (لامبير) تقديره للفقه الإسلامى ثم قرر المؤتمر مايلى :

أولا : اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً هاما من مصادر التشريع العام .

ثانيا : اعتبار الشريعة الإسلامية حية صالحة للتطور .

ثالثا : اعتبار الشريعة الإسلامية قائمة بذاتها وليست مأخوذة عن غيرها .

وفى عام ١٩٤٨ قرر مؤتمر المحامين الدولى المنعقد فى « لاهاى » أهمية التشريع الإسلامى وأوصى بتبنى الدراسة المقارنة لهذا التشريع .

وفى يوليو عام ١٩٥١ عقدت شعبة الحقوق الشرقية من المجمع الدولى للحقوق المقارنة مؤتمرا فى كلية الحقوق من جامعة باريس للبحث فى الفقه الإسلامى باسم

« أسبوع الفقه الإسلامى » برئاسة المسيو « ميو » أستاذ التشريع الإسلامى فى كلية الحقوق بجامعة باريس وحضر هذا المؤتمر عدد كبير من رجال الفقه الإسلامى ورجال القانون فى العالم ، وقدم بعض علماء مصر وسوريا أبحاثا عن الملكية ، والمسئولية الجنائية ، وتأثير المذاهب الفقهية فى بعضها البعض ، ونظرية الربا .

وبعد الانتهاء من تقديم هذه الأبحاث وقف نقيب المحامين فى باريس ليقول بصراحة أمام المؤتمرين بأنه كان يسمع بأن الفقه الإسلامى لايصلح أساسا لتشريع يفى بحاجات المجتمع ، ثم عقب على هذا بأن ماسمعه من أبحاث تثبت خلاف ذلك .

ثم قرر هذا المؤتمر أن مبادىء الفقه الإسلامى لها قيمة حقوقية وتشريعية كبيرة ، وأن اختلاف المذاهب الفقهية ينطوى على ثروة من المفاهيم والمعلومات هى مناط الإعجاب ، وبهذا يتمكن الفقه الإسلامى من أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة .

شهادات إنصاف وتقدير

وهل غاب عنهم ماقاله الفيلسوف الإنجليزى « برناردشو » :
« إننى أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق فى العالم بأجمعه لتم له النجاح فى حكمه ولقاده إلى الخير وحل مشاكله على وجه يكفل للعالم السلام والسعادة المنشودة »

« كنت فى كل الأحيان ولازلت أتناول دين محمد فأقدره تقديرا عظيما وذلك لروحيته العجيبة ، وحيويته العظيمة .

إنه الدين الوحيد الذى يملك القدرة على هداية الغير ، وملاءمة الأزمنة ، وهو حرى لأن يكون دين الجميع فى كل دور وطور ويجب على العالم دون شك أن

يقدره وأن يعلق أهمية عظمى على ذلك »

وهل غاب عنهم ماقاله الفيلسوف العالمى المسلم المعاصر « رجاء جارودى » :
« إن المشاكل الطاحنة التى يعانى منها الغرب هى أكبر دليل على إفلاس النظام الغربى وفشله فى تحقيق أى قدر من الاستقرار للمواطن » . « إن الإسلام دين ودولة وهى سر عظمته وقوته وسر انتشاره المذهل فى القرنين السابع وبداية القرن الثامن » . « إن البعد الاجتماعى والاقتصادى فى هذا الدين نجده فى صفحات القرآن الكريم وفى الآيات التى أنزلها الله لتحكم بين الناس بالعدل » .

« لم يكن محمد عليه الصلاة والسلام مجرد نبى ... وإنما كان رجل دين ودولة ... والإسلام هو الدين الوحيد الذى ظل ينمو ويتوسع ، ويكسب أرضا جديدة ، ومؤمنين جددا فى مختلف مراحل التاريخ ، وهو الدين الوحيد أيضا الذى تعرض إلى هذا الهجوم من المؤتمرات والغزوات والطعنات » .

وماقاله الصحفى الفرنسى « برنار دورل كوسنا » الذى أشهر إسلامه فى الأزهر منذ زمن قريب بعد رحلة طويلة فى دراسة الأديان ، انتهى فيها إلى أن الإسلام هو الدين الخاتم الذى جاء لسعادة الإنسانية .

« إن خلاص العالم من المهالك ، والحروب التى ألمت به فى كل مكان من أرضه ، لن تنتهى إلا باعتناق الجميع الدين الإسلامى ، دين السعادة والمحبة ، الذى فيه الخلاص من المحن النفسية ، والاضطرابات والصراعات المادية التى تفشت فى الوقت الحاضر » .

إلى غير ذلك من الشهادات المنصفة للإسلام ، والناطقة بعظمة تشريعاته ، ووفائها بكل ماتحتاجه البشرية وتنشده من سعادة ، فلماذا نولى وجوهنا تارة نحو الغرب ، وآونة نحو الشرق ، ولدينا هذا التراث الخالد ، وتلك الثروة الغنية ، وذلك المعين الزاخر بجميع مقومات الحياة العزيزة الكريمة ؟!

ورغم كل هذا فإن القادة لا يغيرون موقفهم الذى تواصوا به من إقصاء الإسلام عن الحياة وعزله عن المجتمع ، ويجنحون إلى أسلوب المراوغة والتسويف ليمتصوا غضب الشعب ، ثم يتابعوا المضى فى تنفيذ سياستهم .

ومن مظاهر المراوغة فى مصر أنه نص فى الدستور أولا على أن دين الدولة هو الإسلام ، ثم ارتقى بالنص ثانيا إلى اعتبار الشريعة الإسلامية مصدرا للتشريع ، ثم ارتقى بالنص ثالثا إلى اعتبار الشريعة الإسلامية « المصدر الرئيسى للتشريع » كما هو نص المادة الثانية من الدستور الحالى وقد استقبل الرأى العام هذه المراحل بالتقدير ، وحمد للقادة الاتجاه إلى تصحيح المسار ، والأخذ بتعاليم الإسلام .

ولكنه لاحظ عدم الجدية ، ولا أدل على ذلك من أن الدورة البرلمانية تنتهى وتعقبها دورة أخرى وأن وزارة تأتى ، وتتلوها وزارة ، وأن قائدا يأتى بعد قائد ، ولا يجد هذا الحكم مجالا له فى التطبيق ، وما ذاك إلا لأن واضع الدستور ليس مؤمنا بما سطره ، وإنما يسجل ما يرضى الجمهور المسلم ، ولأن الوزراء يسيرون فى ركب القادة ، والقادة متأثرون بالفكر الغربى فى فصل الإسلام عن القيادة ، وقصره على العبادة فكيف يتيحون له أن يتدخل فى شئون المجتمع وحسبه منهم أن الصلاة تقام فى المسجد ، وأن حصة الدين تدرس فى المدرسة ، والحديث الدينى يلقى فى الإذاعة أو التليفزيون فى دقائق لا تجاوز أصابع إحدى اليدين ، وأن العمود الدينى يحرر فى الصحيفة ، وأن كتابه الكريم تُستَفتَح به الأحفال التماسا للبركات ، ويتلى على الأموات طلبا للرحمات وهذا كل ما يظفر به الإسلام منهم أما أنه يقود ويوجه ، ويحكم ويهيمن فهذا مالا يؤمنون به وهذا ما يراوغون فى تنفيذه ، وعليهم أن يكفوا عن المراوغة . وأن يدركوا أن النص فى الدستور على أن الإسلام دين الدولة ؛ لا يحقق معناه إلا إذا كان الإسلام هو المهيمن على شئون الحكم والتشريع ، وفى السلوك العام والخاص ، وفى مجال التربية والتعليم ، وفى جميع

مظاهر الحياة ، فعليهم أن يطبقوا الدستور الذى يحرصون عليه ، ويحيطونه بكل مظاهر التقدير والاحترام كأنه تنزيل من حكيم حميد ، وبذلك يدخلون التاريخ من أوسع أبوابه ويخلفون وراءهم الذكر الحسن والثناء الجميل ويلقون الله بيض الوجوه يوم القيامة لأنهم نفذوا مادة معطلة فى الدستور ، ونزلوا على قول الله تعالى : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ، فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وإن كثيرا من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ .[١]

فعلينا أن نعود إلى شريعة الله لنستمد منها القوة والحياة ، ونشيد عليها البناء ، ونواجه بها التحديات التى تعترض طريقنا ، وعلينا أن ندرك أننا بالإسلام انتصرنا فى الماضى ، وبالإسلام سوف ننتصر فى المستقبل ، وبالإسلام نستطيع أن نحقق الاستقلال الكامل ، والنجاح فى شتى المجالات ...

وعلى الذين يعوقون الأخذ بتعاليم الإسلام ، ويعملون على إقصائه عن المجتمع ، ويأبون إلا الارتماء فى أحضان الشرق أو الغرب أن يدركوا أن تلك المجتمعات تعانى من مشاكلها الخاصة ما يجعل الحياة كالحة ، وهذا على حد تعبير الفيلسوف الإسلامى « رجاء جارودى » أكبر دليل على إفلاس النظام الغربى وفشله ، فى تحقيق أى قدر من الاستقرار للمواطن . ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾[٢] .

فيتجاوبوا مع شعوبهم ، ويعملوا على تحقيق آمالهم فى أن تسيطر تعاليم الإسلام على الحياة ، وليدركوا أن المسئولية عن ذلك أمام الله خطيرة ﴿ يوم تجد كل نفس

(١) المائدة / ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) المائدة ٥٠ .

ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ﴾(١) .

نفوذ الثقافة الغربية فى العالم الإسلامى

فطنت قوى الشر المتحالفة ، إلى أن الإسلام هو العقبة الكبرى ، التى تحول بينها وبين تنفيذ مخططاتها فى العالم الإسلامى ، بل إنه الخطر الوحيد الذى يهددها فى بلادها ، لأنه نظام شامل لجميع شئون الحياة ، ولأنه يدعو إلى العزة والقوة ، ويأبى على المسلمين أن يخضعوا لسلطان غيرهم ، أو ينسلخوا عن شخصيتهم ، فيتبعوا غيرهم فى معتقداتهم ، أو فى سلوكهم ، وأسلوب حياتهم ، وعليهم أن يحملوا رسالته إلى العالم ، ليسعد بتعاليمه ، ويعيش تحت ظلاله الوارفة .

فعمدت إلى محاربة الإسلام فى عقيدته باعتبارها القوة الدافعة ، وذلك بانتزاعها من نفوسهم ، أو إضعافها شيئا فشيئا حتى تذهب حيويتها وتذبل شجرتها فتجف أوراقها ، وتهوى غصونها ولكن بأى سلاح يحاربون تلك العقيدة ؟

لقد جربوا سلاح القوة فى الحروب الصليبية ، فباءت حملاتهم بالفشل المرة بعد المرة ، فعمدوا إلى سلاح أحكم ، الطريق إليه أسهل ، والنجاح فيه أضمن وهو سلاح الغزو الثقافى بجانب ألوان النشاط الأخرى التى ينهض بها المستشرقون والمبشرون .

فنشروا بين المسلمين وبخاصة الشباب مغريات الحضارة الغربية وبهرجها ، وزودوهم بالأفكار الخاطئة عن الإسلام ، والمفاهيم المعادية لتعاليمه ، وافتنوا فى إثارة نوازع الشر والشهوات ، وأكثروا من المفاسد والموبقات ، وتشجعوا على التحلل من الدين ومكارم الأخلاق ، وغزوا المجتمع الإسلامى بالكتب الماجنة ، والمجلات

(١) آل عمران / ٣٠

الفاجرة ، والقصص الداعرة ، والمبادىء الهدامة ، والنزعات المتطرفة .

واستطاعوا أن يغرسوا فى نفوسهم ، أن كل شرقى قديم متخلف ، وأن كل غربى حديث متطور ، وأن سر تخلفهم عن ركب الحضارة إنما يرجع إلى دينهم ، وعليهم أن يقطعوا صلتهم بالإسلام وعقيدته ، وتراثه وحضارته ، ولغته وثقافته .

ولقد جذب ذلك التيار القوى ، والفيضان الغامر ، الشباب الذين يتولون الكثير من المناصب القيادية فتأثروا به ، ودعوا إليه ، وتولى كبره الذين درسوا فى الجامعات الأوروبية ، ولم يعرفوا الإسلام من منابعه الصافية فحملوا الدعوة إلى الارتماء فى أحضان الغرب وثقافته ، والتأثر به فى سلوكه ، وأنماط حياته والانسلاخ عن الإسلام والعروبة .

ولقد قاوم الغيورون على الإسلام هذا الوباء الزاحف ، فنشطت الأقلام فى رد المفتريات التى ألصقت بالإسلام والإسلام منها براء ، وفى الدعوة إلى الاستمساك بالدين ، والتحلى بأخلاقه ، وأسست الجمعيات لنشر الوعى الثقافى الإسلامى ، وتجاوبت الصحافة مع هذا الاتجاه السليم ففاضت بالدفاع عن الإسلام ، ونشر محاسنه ، ونهض الشعراء والكتاب يوقظون الهمم ، ويوجهون القوى إلى الالتفاف حول راية القرآن ، وحول لغته وثقافته .

ولكن رغم هذه الجهود فإن خصومنا أقوياء ، ونشاطهم أكبر ، وآثاره أفدح ولقد حدثنا المستشرق الإنجليزى « جب » أحد مستشارى وزارة الخارجية البريطانية ، وأحد أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة عن نفوذ الثقافة الغربية فى العالم الإسلامى فى كتابه : « إلى أين يتجه الإسلام ؟ » . فقال إن تركيا قد انقلبت إلى بلد غربى كأعنف مايكون الانقلاب ، وذلك بفضل استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية .

أما فى شبه الجزيرة العربية فيقول : إن النفوذ الغربى لم يستطع أن يضع قدمه ،

أما فى أفريقية فيقول : إن حركة التغريب قد بدأت ، وهى ماضية فى طريقها ، وإن كان أثرها أبرز فى تونس .

أما فى مصر فيقول : إنها تتطور فى هدوء بعيد عن العنف ، ولكنها تتقدم تقدما واضحا فى هذا الطريق .

أما فى العراق وسوريا فيقول : أنهما تتبعان خطوات مصر .

أما فى إيران فيقول : إنها تتبع تركيا ، وإن كانت أكثر منها اعتدالا وتوسطا .

ثم يقول بعد أن استعرض نفوذ الثقافة الغربية فى مسلمى روسيا والهند وأندونسيا وأفريقية : « إن نجاح هذا التطور يتوقف إلى حد بعيد على القادة والزعماء فى العالم الإسلامى ، وعلى الشباب منهم خاصة .

ثم يختم كلمته بقوله : إن العالم الإسلامى سيصبح خلال فترة قصيرة لادينيا فى كل مظاهر حياته مالم يطرأ على الأمور عوامل ليست فى الحسبان فتغير اتجاه التيار » .

وبعد فهذه الكلمات جديرة بالانتباه ، والتأمل العميق ، ولعلها تصادف قلوبا شديدة الإخلاص لدينها وعروبتها فتغير اتجاه التيار ليبقى الإسلام عزيزا ، وتزداد كتائب الحق قوة ، ويومئذ يبوء الاستعمار بالفشل ، ويفرح المؤمنون بنصر الله .

صور من انحراف بعض القادة وخروجهم على الإسلام

هذا وإذا كانت قوى الشر المتحالفة تركز جهودها فى الهجوم على الإسلام وتعاليمه ، وعلى رسول الله ﷺ وسنته ، وعلى القرآن المجيد ، ولغته العربية للأسباب التى ذكرناها ، فإن مما يقطع نياط القلوب ، ويبعث الأسى ، ويثير الشجون أن يحذو حذوها بعض القادة من المسلمين وبعض المؤسسات المحلية فمثلا « الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان » — كما تزعم — تدعو فى لائحتها الداخلية الجديدة إلى :

إباحة زواج المسلم بغير الكتابية ، وإباحة زواج المسلمة بغير المسلم أليس هذا خروجا على ما قرره القرآن الكريم : ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن . ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ، ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ، أولئك يدعون إلى النار ، والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ، ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ﴾[1] أليس هذا خروجا على ما شرعه الله ؟

الرئيس المخلوع : « أبو رقيبة » حيث عرض فى مؤتمر للمدرسين والمربين ، عقد فى تونس فى أواخر فبراير سنة ١٩٧٤ لمناسبة الملتقى الدولى حول الثقافة القرآنية ، والوعى القومى ، لقضايا فكرية هامة ، وهاجم فى جرأة لنصوص قرآنية ثابتة ، خلص إلى أنها متناقضة حينا ، وخرافية حينا آخر .. فى نهاية المؤتمر أهاب بالمربين أن يحملوا آراءه الفاسده ، ومزاعمه الباطلة ، إلى تلاميذهم ، وقد نشرت صحيفة الشهاب اللبنانية فى عددها الصادر فى ٢٣ من ربيع الأول سنة ١٣٩٤ بعض مزاعمه ، كما نشرت صحيفة : « الصباح » التونسية فى عدديها (٢٠ ، ٢١ من مارس سنة ١٩٧٤) ما عرضه « .. أبو رقيبة » فى مؤتمره من أفكار بالغة

---

(١) البقرة / ٢٢١ .

الخطورة وقد تضمنت ما يأتي :

(١) القول بتناقض القرآن الكريم ، وقد مثل للتناقض حسب زعمه بقوله تعالى : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

(٢) إنكار قصتى عصا موسى عليه السلام ، وقصة أهل الكهف الواردتين فى القرآن المجيد ، والتصريح بأنهما من الأساطير ، ومن الخرافات التى نقلها رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى القرآن الكريم حيث أنه فى زعمه كان إنسانا بسيطا يسافر فى الصحراء ، ويستمع إلى الخرافات البسيطة السائدة فى ذلك الوقت ، ومنها هاتان القصتان المذكورتان فى القرآن .

(٣) إنكار إعطاء المرأة نصف ما يعطى الذكر فى الميراث ، وزعمه أن ذلك ليس بمنطق ، وأنه نقص يجب تداركه لأنه لا يناسب تطور المجتمع ، وذكر أنه ينبغى للحكام أن يطوروا الأحكام حسب تطور المجتمع ، لأن من حقهم بوصفهم أمراء المؤمنين أن يطوروا الأحكام بحسب تطور الشعب .

(٤) إنكار تعدد الزوجات ، وحجره على الشعب التونسى أن يجمع الرجل بين زوجتين ، وزعم أنه فعل ذلك بالاجتهاد فى مفهوم قوله تعالى : ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ﴾ الآية .

(٥) زعم أن المسلمين فى إكثارهم من الصلاة على رسول الله — ﷺ — قد وصلوا إلى تأليهه .

هذه هى مزاعم : « ... أبو رقيبة » وقد أزعجت كل مسلم قرأها كما أدهشت كل إنسان سمع بها لما اشتملت عليه من الكفر الصريح ، والجرأة على الله سبحانه وتعالى ، وعلى رسوله عليه الصلاة وأزكى السلام من رئيس دولة تنتسب

إلى الإسلام . كان الواجب عليه أن يدافع عنه لا أن يطعنه تلك الطعنات القتالة !!

وقد أبرق إليه كبار العلماء مستنكرين مزاعمه طالبين منه المبادرة إلى التوبة والعودة إلى الإسلام أو تكذيب ما نسب إليه إن لم يكن صدر منه ، ونشره فى العالم بجميع وسائل النشر ، وإعلان عقيدته الإسلامية الصحيحة فى الله تعالى وكتابه ورسوله تبرئة له من الكفر ، وتسكينا للفتنة وتطمينا للمسلمين فى سائر الدول ، وتقريراً لصلاحيته لحكم أمة إسلامية عريقة فى الإسلام[1] .

وبعد أفليست هذه المزاعم هى ما يردده خصوم الإسلام من المبشرين والمستشرقين من الانتقاص من قدسية القرآن المجيد ، والنيل من مقام رسول الله ﷺ ، والطعن فى المقررات الثابتة التى تواتر نقلها ، والعمل بها .

وقد تكفل بالرد على مزاعم « .. أبو رقيبة » سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية فى رسالة قيمة :

(حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض ، أو مشتمل على بعض الخرافات ، أو وصف الرسول ﷺ بما يتضمن تنقصه ، أو الطعن فى رسالته ، والرد على الرئيس أبى رقيبة فيما نسب إليه من ذلك » وكم كنت أرجو بجانب الرد على « .. أبى رقيبة » أن يقطع رؤساء الدول الإسلامية العلاقات السياسية معه حتى يعلن التوبة الصريحة مما نسب إليه ، أو التكذيب بطرق الإعلام الرسمية حتى

---

(١) من العلماء المجاهدين الذين أبرقوا إلى (..أبى رقيبة) مستنكرين مزاعمه : أبو الحسن على الحسنى الندوى (أمين ندوة العلماء لكنو الهند ، وعبد العزيز بن باز ، وحسنين مخلوف مفتى الديار المصرية سابقا ، وأبو بكر محمود جومى قاضى قضاة ولايات شمال نيجريا ، والدكتور محمد أمين المصرى الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة جزاهم الله عن الإسلام خير الجزاء .

يعلم الناس حقيقة ما هو عليه حتى لا يتأسى به غيره ، ويكون لمن يخلفه آية ولكنهم لاذوا بالصمت وكأن أمر الإسلام لا يعنيهم وأخيرا كانت عاقبة أمره عزله[١] عن الحكم لعدم صلاحيته ﴿ فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾ ثم سيق به إلى المنفى فى صفاقص ليقضى بقية حياته .

وإنى لأرجو لخلفه الرئيس : « زين العابدين بن على » التوفيق فى إصلاح ما أفسده ، والعمل على أن يعود لتونس وجهها المسلم وبذلك يظفر بتأييد الله ونصره ، وبمحبة شعبه الذى يعلق عليه الآمال فى تصحيح المسار : ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾ .

وصاحب شعار دولة « العلم والإيمان » فى مصر يتنكر لتعاليم الإسلام ويعلن مرارا وتكرارا أنه « لا سياسة فى الدين ، ولا دين فى السياسة » وينزل على مخالفيه فى سياسته والمنادين بتصحيح المسار فى مصر المسلمة على ضوء من تعاليم الإسلام الهادية ، وشريعته الخالدة من ألوان البطش والجبروت ما كاد ينسينا ما ارتكبه سلفه « الله يرحمه » على حد تعبيره .

يفعل هذا فى الوقت الذى سمح لزوجته أن تراقص الرئيس الأمريكى الأسبق « جيرالد فورد » خلال حفل كبير أقامه بالبيت الأبيض تكريما له ولها .

وليست أخيره حيث نقل القمر الصناعى صورة الرئيس : « جيمى كارتر » وهو يحتضن السيدة المصرية المسلمة « سيدة مصر الأولى » ثم يمضى فى تحيتها بالطريقة الغربية بلا أى تحرج من جانبه ، ولا من جانبها ، ولا من جانب زوجها ..

وحتى السفاك الأكبر : « مناحم بيجن » رئى عبر الأقمار الصناعية وهو

---

(١) كان ذلك فى نوفمبر سنة ١٩٨٧ م .

يحي السيدة المصرية المسلمة « سيدة مصر الأولى » بنفس الأسلوب ، وبنفس الطريقة التى حياها بها « كارتر » .

ولقد سمعنا بكل ذلك فى حينه ، ولكننا كنا لا نصدقه حتى ذكره الأستاذ « حلمى سلام » فى العدد رقم (٢٧٤٦) من مجلة « آخر ساعة » الصادر فى ١٠ يونيه سنة ١٩٨٧ تحت عنوان : « أسبوعيات » فنفى الارتياب ، وأكد ما سمعنا فاستولت علينا الدهشة لرب الأسرة المصرية ، وصاحب شعار « دولة العلم والإيمان » كما كان يزعم كيف يسخو بزوجته إلى هذا المنحدر السحيق ثم يدعى بعد ذلك أنه رئيس دولة مسلمة ، وأنه ينهج فى أسلوبه منهج أمير المؤمنين : « عمر ابن الخطاب » رضى الله عنه .

سبحانك ربى هذا بهتان عظيم .

إنه الاستعمار الذى نزع من كثير منا الغيرة على العرض ، وأصبح يحاكيه فى عاداته وتقاليده ، وتنكر لتعاليم الإسلام وقيمه حتى لا يتهم بالجمود والرجعية ، والتخلف عن الأعراف الدبلوماسية .

والرئيس « معمر القذافى » يهاجم فى حديث له فى « التليفزيون » السودانى أئمة الفقه الإسلامى الأربعة . والعلماء المسلمين ويقول : « إن ما جاءوا به من تفسيرات ، هو مجرد اجتهادات لا يعتمد عليها ، وأنها لا تخلو من إسرائيليات وأن الشريعة الإسلامية ، هى فى الواقع لا صلة لها بالإسلام ، والمهم هو الاعتماد على القرآن فقط » .

وإنى سأغض النظر عن هذه الحملة العاتية وأوجه إليه سؤالا . إذا اعتمدنا على القرآن فقط كما يدعو فأين نجد فى آياته أن الصلوات خمس ، وأين نجد ركعات الصلاة ، وأين نجد مقادير الزكاة ، وأين نجد تفاصيل شعائر الحج ، وسائر أحكام المعاملات والعبادات ؟! ﴿ نبئونى بعلم إن كنتم صادقين ﴾ .

هذا وجريا على فهمه القاصر فى الاعتماد على القرآن ، وإنكار حجية السنة النبوية تراه ينكر فى ندوته مع أسرة أخبار اليوم[1] عقوبة الرجم للزانى المحصن ويقول : الزنا « مفيش » حاجة اسمها رجم ، القرآن ما « قلش » رجم أبداً ، القرآن فيه جلد ﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ .

ولو درى أن الشريعة الإسلامية فرقت فى العقوبة بين الزانى المحصن ، وهو من وطىء فى زواج شرعى صحيح ، وبين الزانى غير المحصن ، وهو البكر الذى لم يسبق له زواج فجعلت عقوبة الأول الرجم وجعلت عقوبة الثانى الجلد ، وأن عقوبة الرجم ثابتة بالكتاب والسنة القولية والعملية وإجماع المسلمين ، ولا عبرة بشذوذ من خرج على هذا الإجماع ، ولا بإنكار « معمر القدافى » لما أنكر حداً مقرراً جرى العمل عليه فى مجال الفتوى والتطبيق فى عهد رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ولكنه يردد ما يقوله خصوم الإسلام ولا يحفل بشريعة ولا يقيم وزنا لسنة وينتقص دور الأئمة الأربعة وأجلة العلماء فى خدمة الإسلام ويعلن دون حياء أن الشريعة الإسلامية لا صلة لها بالإسلام ، وإذا لم تكن كما زعم فهى مأخوذة من القانون الرومانى وهذا ما يردده المستشرقون بينما يقرر المؤتمر الدولى للقانون المنعقد فى لاهاى عام ١٩٣٥ تقديره للفقه الإسلامى ، وأن الشريعة الإسلامية قائمة بذاتها ، وليست مأخوذة عن غيرها . وأنها تنطوى على ثروة من المفاهيم والمعلومات هى مناط الإعجاب مما يؤهلها للاستجابة لمطالب الحياة الحديثة ، على ما سبق بيانه .

و « عبد الرشيد على شر مارك » حينما رشح نفسه لرئاسة الجمهورية الصومالية يتملق الجمهور المسلم فيعلن أنه إن نجح فى الانتخابات سيطبق الشريعة الإسلامية ، ويلغى القوانين الوضعية ، ولما أولاه الشعب ثقته فظفر

(١) العدد الصادر فى التاسع من جمادى الآخرة ١٣٩٣ هـ .

بالرئاسة تنكر لوعده ووقف من الإسلام ولغته موقفا يدعو إلى الدهشة .

على أن « محمد سياد برى » قائد الانقلاب العسكرى الذى قام به عام ١٩٦٩ للإطاحة بسلفة ، والذى وصل به إلى رئاسة الجمهورية الصومالية ما كاد يستقر على كرسى الرياسة حتى كشف عن نواياه نحو الإسلام ، ولغة القرآن فأعلن عن الاشتراكية التى اعتنقها فقال :

« إن اشتراكيتنا ليست اشتراكية إسلامية ولا عربية ولا أفريقية بل هى اشتراكية علمية بحتة ، وأن جميع الذين يدعون اشتراكيات أخرى جبناء » .

ثم أتبع هذه الخطوة الجريئة الجبارة بخطوة أخرى فأعلن فى المؤتمر الشعبى الذى عقده فى ١٣ ـــ ١ ـــ ١٩٧٥ :

« إن المرأة الصومالية متساوية فى الحقوق مع الرجل بما فى ذلك المواريث ، وأنها إذا انفردت استأثرت بالتركة كلها ولا شىء للعصبة ، ثم قال :

كنا فيما مضى إذا مات رجل وترك ابنته الوحيدة كانت العصبة تأخذ ميراثها عن والدها ، ولكنا نقول : إنه بعد اليوم إذا حدث مثل ذلك فإن جميع تركة المتوفى ستأخذه البنت دون سواها . ثم قال :

كنا فيما مضى نسمع عن أقوال تقول الربع والثلث والسدس وإننا نقول إن ذلك لا وجود له بعد اليوم ، الولد والبنت متساويان فى الإرث ، وفى الحقوق الاجتماعية الأخرى ، وستكون هذه القاعدة هى القاعدة الأساسية فى المعاملة الزوجية . ثم قال :

بإرساء هذا المبدأ نكون أول من تمكن بإرساء حق من حقوق المرأة . وعليه أرجو لأولئك المتخلفين ، ومرضى العقول أن يتبعونا ، وأن يساووا حقوق الآدميين رجالا ونساء » . وإنى لأعجب كيف ساغ لرئيس جمهورية مسلم أن يخرج

على ما شرعه الله وبينه فى قرآنه الحكيم من أسس الميراث ، وأنصبة الوارثين ، ويحمل شعبه المسلم على ما شرعه هواه فهل غاب عنه قوله تعالى بعد ما ذكر من أحكام الميراث ، وبين أنصبة الورثة : ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾ ؟!

ورغبة منه فى قطع الصلة التى تربط الصومال بالإسلام وتراثه أصدر قراره الغادر بأن تكون اللغة الصومالية المكتوبة بالحروف اللاتينية هى اللغة الرسمية بدلا من اللغة العربية التى كانت لغة البلاد منذ أن دخلها الإسلام .

ولما كانت نسبة الكلمات العربية فى اللغة الصومالية نحو ٥٠ ٪ أحس أنه لا يزال يرتبط بالعربية فألف اللجان « بصوملة » اللغة بمعنى تنقيتها من الكلمات العربية ، ووضع كلمات جديدة تحل محل الكلمات العربية ، وبذلك تكونت لغة دخيلة على الصومال لا يعرفها الذين تعلموا الصومالية فى صغرهم ، ولم يخالطوا غيرهم .

ولقد وقف الشعب المسلم بقيادة علمائه المجاهدين من هذا العداء السافر للإسلام ، والخروج على المقررات الإسلامية ، ومحاربة اللغة العربية مواقف تشف عن صادق إسلامه ، وعظيم تعلقه بتعاليمه ، ولغة قرآنه ، ولكنه كان يقاوم هذه الحركات بالبطش والتنكيل ، والسجن والاعتقال ونال من العلماء ما لم ينله طاغية فى أسوأ عهود التاريخ المظلمة ، ثم قادهم إلى المشانق ليخلو له الجو ويتمكن من تنفيذ سياسته إرضاء لسادته ، واستجابة لنزوته ...

ومن هنا ندرك فى وضوح أن كثيرا من الذين تولوا مقاليد الأمور فى بلادهم بعد جلاء الاستعمار عنها لم يكونوا مغايرين للاستعمار بل إنهم نفذوا خططه بصورة أسوأ ، وبجرأة لم يستطع الاستعمار إظهارها وبذلك يلتقون مع قوى الشر المتحالفة فى تحقيق أهدافها ، والوصول إلى مآربها ، وسيسألون يوم القيامة عما اقترفوا من مآثم ، وارتكبوا من جرائم فى حق الإسلام الذى خرجوا عليه ، وفى

حق لغته التى حاربوها ، وفى حق شعوبهم التى امتهنوا كرامتها ، واهدروا مقومات عزها ﴿ وليحملن أثقالهم ، وأثقالا مع أثقالهم ، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾[١] .

هذا وإذا كان من القادة من خرج على تعاليم الإسلام وتنكر لتعاليمه وحقق لقوى الشر الكثير مما تسعى إلى تحقيقه فإن منهم من اتخذ من الإسلام وسيلة للوصول إلى مآربه وتثبيت حكمه .

فالرئيس « النميرى » يصدر قراراته بأن تسود تعاليم الإسلام فى جميع أرجاء السودان وأن تقام حدوده على الوجه الذى شرعه الإسلام ، ويخلع على نفسه لقب « الإمام » ولكن أثبتت الأيام أنه ما كان يبتغى بذلك وجه الله ، والحرص على أن تسود تعاليمه ، وتصان محارمه فاتخذ من الدين ستارا يخفى وراءه نواياه السيئة ، ومطامعه الجائرة ، وسياسته الدكتاتورية ، والتخلص من مناوئيه ، والمنتقدين لسياسته فى إدارة شئون البلاد فانتهز الشعب الواعى فرصة سفره إلى أمريكا فقام بثورته المباركة وخلعه عن الحكم بعد أن أوقع البلاد فى الديون ، وجر عليها الإفلاس ، وثبت تواطؤه مع أعداء الله وأعداء الشعب الباسل ، وأساء إلى الإسلام إساءة كبرى .

والزعيم الإيرانى آية الله « الخمينى » يستنفر الشعب إلى حرب استمرت سبع سنين أهلكت الحرث والنسل ، وعرضت البلاد للدمار والخراب ، واستنزفت ثروتها ، وأوقفت تقدمها باسم الإسلام المفترى عليه ، ولو أنه عالج مشاكله مع جيرانه بالحكمة ، ووجه جيشه الثورى إلى تخليص فلسطين من براثن الاستعمار ،

---

(١) راجع فى كل ما تقدم : الدعوة الإسلامية المعاصرة فى القرن الإفريقى للدكتور على الشيخ أحمد أبو بكر ص ٧٦ . ونجمة أكتوبر العدد الصادر فى ١٤ — ١ — ١٩٧٥ م . والدعوة السعودية العدد (٥٦٨) فى ١١ من شوال ١٣٩٦ هـ ، وقانون الأحوال الشخصية الصادر من وزارة العدل والشئون الدينية بالصومال عام ١٩٧٥ م

وتحرير (أفغانستان) المسلمة من قبضته الشيوعية وأرتيريا من سيطرة الحبشة وجبروتها ، واستغل ثروات البلاد فى النهوض بها لكان آية من آيات الله التى يخوف بها الخارجين على دينه ، والمنتهكين لحرماته ، وكان قوة يعتز بها الإسلام ، وترهب عصابة البغى ، وجند الشيطان .

لو أنه تعاون مع إخوانه من الملوك والرؤساء على تكوين الجبهة الثالثة التى تحفظ التوازن بين القوى المتصارعة وتصون السلام من الذئاب المتنازعة ، وتحفظ الإسلام من كيد خصومه ، وتحمل لواء الدعوة إليه والذود عن حياضه لخلف وراءه دويا عاليا يملأ الأجواء ، وذكرا حسنا تتعطر به الأرجاء ، ونورا ساطعا يستهدى به الأحياء ، ولكنه يأبى إلا المضى فى سياسته العدوانية باسم الإسلام والله يعلم أن الإسلام الذى أهملت تعاليمه ، وأن المجتمع الذى استنزفت طاقاته هما كبش الفداء فى معركته .

وهكذا نرى الإسلام بين المعطلين لإقامة شريعته ، وبين الذى يسعون فى الأرض فسادا باسم تعاليمه وكلا الفريقين يحقق أطماع قوى الشر المتحالفة .



الإمام الأكبر « الشيخ عبد المجيد سليم » شيخ الجامع الأزهر يشرح مساوىء الاستعمار

بعد أن ختمنا الحديث فى الباب الرابع بفقرات من الخطبة التى ألقاها الإمام « المراغى » بمناسبة الاحتفال بعيد الأضحى عام ١٣٥٦هـ .

والتى أماط اللثام فيها عن أسلوب المبشرين فى الصد عن الإسلام ، والدعوة إلى دينهم ، وبين حكم الله فى الذين يعملون على إقصاء الدين عن المجتمع ، وعزله عن الهيمنة على شئون الحياة ..

ناسب أن نختم الحديث عن الاستعمار بتلك الكلمة الحكيمة التى كتبها[١] الإمام الأكبر المغفور له الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر ، والتى شرح فيها مساوىء الاستعمار وتحدث عن أسلوبه فى تحقيق أطماعه . ورغب فيها فى طلب العلم وفى العمل بتعاليم الإسلام إذ بها تصحح الأوضاع ، وتستقيم الحياة ، وينعم المجتمع بالخير والازدهار .

« ولقد فطن لذلك أعداء الإسلام ، حيث تتبعوا أمر المسلمين فعلموا أن تمسكهم بدينهم ، وإقبالهم على التضحية فى سبيله بكل مرتخص وغال ، هو سر قوتهم ، ومبعث هيبتهم ، فكان لابد لهم أن يصرفوا المسلمين عن دينهم ، وأن يدخلوا عليهم الوهن من قبل التفريط فيه ، والتخلى عنه .

لكنهم لم يستطيعوا أن يأتوا بذلك واضحين ، فعمدوا إلى الحيلة والخديعة ، وكان من ذلك أنهم دسوا على الدين فى غفلة المسلمين ما ليس منه ، فشوهوا جماله بالأكاذيب تارة ، وبالبدع تارة أخرى .

وبإثارة أسباب للخلاف مصطنعة بين الطوائف الإسلامية ، وأغروا بينهم

---

(١) دعوة التقريب من خلال رسالة الإسلام ص ٢٦ .

العداوات ، وحاربوا الكفايات ، ونصروا الجهالات ، وأغدقوا المال والنعيم والجاه على كل من جرى فى سبيلهم ، وأعانهم على إثمهم .

وكان من ذلك أنهم أحلوا القوانين الوضعية ، محل الشريعة الإسلامية ، واجتلبوا تلك القوانين من بلاد الغرب ، كما هى دون أن يراعوا أخلاق البلاد وتقاليدها .

فأباحوا الخمر والربا والمعاملات المحرمة ، وخذلوا الفضيلة ، ونصروا الرذيلة باسم المدنية والحرية ، وزينوا لأبناء الإسلام تقاليد الفجور ، وبذروا فى البلاد بذور الزيغ والإلحاد ، وكرموا كل طاعن فى الدين متهجم مستهزىء بأحكام الله .

بهذا كله جهلت الأمة — عامتها وكثير من خاصتها — تعاليم دينها ، بل نفرت منها وعادتها ، وصرنا نسمع فى كثير من الأحيان لوما وتقريعا ، للمتمسكين بدينهم ، وحمدا وتشجيعا للمتفلتين منه .

وقديما قيل : من جهل شيئا عداه .

ثم ختم طيب الله ثراه ، هذا التحليل الدقيق ، لأسلوب الاستعمار ، فى محاولته صرف المسلمين عن دينهم ، بالدعوة إلى طلب العلم ، وتحصيل المعرفة فقال :

« فإذا كان أول السلسلة فى إضعاف هذه الأمة ، والعمل على إذلالها ، هو صرفها عن دينها ، والحيلولة بينها وبين فهم هذا الدين فهما صحيحا ، وإدراك أنه سر سعادتها ، ومنبع عظمتها ، عن طريق العلم به ، والتعمق فى أصوله ومبادئه ، فإن أول مايجب على هذه الأمة إذا أرادت أن تستعيد مجدها ، وأن تتبوأ فى العالم سامى مكانتها ، أن تعنى بالعلم والمعرفة ، والإدراك الصحيح »

وبعد فجدير بنا بعد أن عرفنا أن قوى الشر المتحالفة ، تبذل فى الوصول إلى

أهدافها ، الجهود الجبارة ، وتجند الطاقات الهائلة ، وتسخر الأقلام الآثمة ، وتنفق الأموال الوفيرة ، وتقيم المؤسسات الكثيرة ، باسم البر والعلاج تارة ، وباسم التعليم والثقافة تارة أخرى ، والله يعلم أنها بؤر للإلحاد ، ومواطن للإفساد ، ومصائد للتبشير ، ومكامن للتضليل .

وما البر والعلاج ، وما التعليم والثقافة إلا شعارات خداعة ، وأساليب براقة ، يحسبها الظمآن ماء حتى إذا أقبل عليها ليروى ظمأه ، ويدفع جهله ، وجدها السراب الخادع ، والسم القاتل ...

بجانب عقد المؤتمرات ، وتدبير المؤامرات ، وزرع المعوقات ، والتصويت ضدنا فى المنظمات الدولية ، والانحياز الكامل مع أعدائنا حين عرض مشاكلنا فى المؤسسات العالمية .

وجدير بنا بعد أن حدثنا رسول الله ﷺ بما وقع قبل أن يقع فكان فوق أنه من دلائل نبوته ، وأعلام رسالته ، حافزا على الجهاد ، ومحذرا من التبعية الرخيصة ، وداعيا إلى مواجهة قوى الشر بإيمان صادق ، ووحدة متماسكة .

وجدير بنا بعد أن استمعنا إلى صيحة « الإمام المراغى » التى كشف فيها عن دخائل أعداء الله وسلوكهم فى صرف المسلمين عن دينهم ، والحيلولة بين الإسلام وتدبير شئونهم الخاصة والعامة .

وجدير بنا بعد أن بصرنا « الإمام عبد المجيد سليم » بمساوىء الاستعمار وأساليبه ، ودعانا إلى العلم النافع والعمل الدائب .

وجدير بنا بعد أن ظفرنا باستقلالنا السياسى ، وأصبحت أمورنا إلينا ، أن نؤدى رسالتنا نحو الإسلام ، وأن ننهض بواجبنا نحوه حتى نكون كما قال الحق سبحانه :

﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾(١) .

وهذا ماسنتحدث عنه فى الباب السادس إن شاء الله .



(١) الآية (٤١) الحج

الباب السادس

واجبنا نحو الإسلام

الباب السادس

واجبنا نحو الإسلام

عودوا إلى الإسلام منهجا وسلوكا . كونوا على يقظة واعية . فندوا مفترياتهم .

نقوا كتب التفسير والحديث والتاريخ من الإسرائيليات .

فسروا القرآن الكريم تفسيرا يجلى محاسنه وترجموه إلى شتى اللغات وانشروه فى العالم .

أجمعوا ماصح عن رسول الله ﷺ واشرحوه شرحا يظهر جماله وكماله وترجموه إلى شتى اللغات وانشروه فى العالم .

عمموا المراكز الإسلامية فى عواصم العالم ، أوفدوا البعوث الإسلامية لنشر الدعوة .

وجوب العناية الكاملة بالطلاب الوافدين وإعدادهم إعدادا سليما ليؤدوا رسالتهم متى عادوا إلى بلادهم .

وجوب العمل على توثيق الصلة بالجامعات والجاليات الإسلامية .

أحسنوا اختيار الجامعات والمعاهد الأجنبية . شددوا الرقابة على طبع القرآن الكريم ليسلم من التصحيف والتحريف . ضاعفوا الاهتمام بإذاعة القرآن الكريم لتشمل العالم كله .

استفيدوا من الحج للعمل للدين والدنيا . أنشئوا محكمة العدل الدولية الإسلامية .

اطلبوا العلم فى قوة . صححوا مسار التعليم فى الأزهر الشريف . الأزهر والصحافة .

الأزهر وتعليم الفتاة . افتحوا باب الاجتهاد . اجعلوا اللغة العربية اللغة العالمية لجميع المسلمين . اللغة العربية والدين ووزارة التربية والتعليم . انهضوا بوسائل الإعلام لتؤدى رسالتها البناءة . اعدوا الشباب للقيام بمهمتهم الحكيمة فى الحياة . استغلوا الطاقات المعطلة . أعدو لهم ما استطعتم من قوة . اهتموا بالدول الأفريقية المتحررة .

وحدوا صفوفكم حفاظا على إسلامكم وعروبتكم .

المسئولية الجماعية عن الإسلام والمسلمين .



(١) عودوا إلى الإسلام منهجا وسلوكا :

عرفت قوى الشر المتحالفة ، أن الإسلام هو سر قوة المسلمين ، به عزوا ، وبه سادوا ، وبه امتد ملكهم فى أقل من قرن من المحيط الأطلسى إلى جدار الصين .

لأنهم اتخذوا الإسلام منهجا لحياتهم ، وسلوكا يحكم تصرفاتهم ، اتخذوه عقيدة وشريعة ، عبادة وقيادة ، دينا ودولة ، فحقق الله لهم صادق وعده من الخلافة فى الأرض ، والتمكين للعقيدة ، والأمن بعد الخوف . ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لايشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾[١] .

عرفت قوى الشر ذلك فعز عليها أن يكون للإسلام دولة ، وعز عليها أن يكون للمسلمين صولة فأخذت توجه ضرباتها نحو الإسلام بوصفه القوة الدافعة للعمل للدنيا ، والعمل للآخرة ، حتى إذا ما ضعف سلطانه على نفوسهم ، وابتعدوا عن تعاليمه أمكنها أن تحقق أهدافها من بسط سلطانها ، وتوجيه سياستها إلى مايحقق مطامعها ، ولقد نجحت فى ذلك إلى حد كبير حيث ابتعد المسلمون عن مشرق النور ، وأعرضوا عن الذكر ، وساروا فى ظلها ، وتأثروا بها فى حياتهم ، وأصبحوا لايفكرون إلا بعقلها ، ولايبصرون إلا بعينها ، فغشيتهم الغواشى وحلت بهم النكبات ، وتتابعت عليهم المصائب ، وأصبحوا فى مؤخرة الركب . وصاروا أهمالا بعد أن كانوا سادة ، وأتباعا بعد أن كانوا أئمة ، ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة

---

(١) النور / ٥٥ — ٥٦

أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾[1] .

ومن هنا كان لزاما علينا أن نعمل على تمكين عقيدة الإسلام فى نفوسنا ، وصبغ مظاهر الحياة بصبغة الإسلام ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾[2] .

علينا أن نقيم دولته ، وأن تهيمن تعاليمه ، وأن نعيش أفرادا وجماعات تحت لواء عقيدته ، وفى إطار شريعته . وأن نرفض التبعية ، والقوانين الوضعية ، وكفى ماجرته علينا من مصائب ، وهل يصلح للتقويم والهداية ، وللتنظيم والقيادة إلا ماشرعه الله : ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾[3] .

وبذلك وحده تصحح الأوضاع الفاسدة ، وتستقيم الحياة المضطربة ، وتأمن النفوس الوجلة ، وتنفرج الكروب الخانقة ، والأزمات المتلاحقة ، وتعود لنا القيادة ، ونظفر بالحسنى وزيادة .

(٢) وعلينا أن نكون على يقظة تامة :

لما تدبره أجنحة المكر من مؤامرات ، وما تضع فى سبيلنا من عقبات ، وذلك بالعمل الإيجابى النافع ، الذى يفسد عليها خططها ، ويباعد بينها وبين مآربها .

أما مادرجنا عليه من عقد المؤتمرات ، وإلقاء الكلمات ، ثم إصدار القرارات التى قد لاتجد طريقها إلى التنفيذ ، ثم الختام بالحلوى والمرطبات ، وتبادل التحيات والتسليمات ، فهذا عمل لاتواجه به جهودها الجبارة ، وحيلها الماكرة ، وأموالها

(١) طه / ١٢٣ ــ ١٢٧ . (٢) الآية / ١٣٨ البقرة .
(٣) الملك / ١٤ .

الطائلة ، وسمومها القتالة ، قال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾[1] .

(٣) فندوا مفترياتهم ونقوا كتب التفسير والحديث والتاريخ من الإسرائيليات :

وأن نتتبع مايثيره المستشرقون والمبشرون من مطاعن ، ومايفترونه من أكاذيب ، وماينشرونه من أباطيل حول الإسلام ، وسماحة تعاليمه ، وحول رسول الله ﷺ ومكارم أخلاقه بالرد والتفنيد ، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتى هى أحسن .

وحبذا لو جمعنا ماسطروا من باطل ، ومانشروا من خبيث ، وما أذاعوا من أراجيف ، والرد عليها فى رسائل ، ونشرناها بشتى اللغات حتى يكون العالم المضلل على بصيرة من جهالتهم ونشرها ، وعصبيتهم الحمقاء ، وأنانيتهم البغيضة ، وحتى لايقع ضعفاء الإيمان فى شراكهم الماكرة ، وحيلهم البارعة ، وأساليبهم الخداعة .

وكم يكون حسنا لوعملنا على إصدار « دائرة معارف إسلامية » على غرار دائرة معارفهم يكتبها العلماء الراسخون كل فى دائرة تخصصه ، وتكون مرجعا للجوانب الثقافية ، وصورة صحيحة للإسلام المفترى عليه وأن نعمل على تنقية كتب التفسير والحديث والتاريخ من الإسرائيليات التى دسها خصوم الإسلام فى الماضى واعتمد عليها المستشرقون والمبشرون ، ومن تتلمذ على موائدهم مما لا يتفق والقرآن الكريم ، والسنة الصحيحة ، والرواية الصادقة .

والتى نقلها بعض المفسرين والمؤرخين فى كتبهم دون تمحيص أو مناقشة ،

(١) الآية / ١٥ من سورة الحجرات .

واعتمد عليها قصيرو النظر وقليل المعرفة من الكتاب المسلمين ، لأنها وردت فى كتب لها شهرتها ، وكتبت بأقلام لايتهم أصحابها بالعداء للإسلام ، ولرسول الله ﷺ مثل ماذكره ابن جرير الطبرى فى تفسيره ، والزمخشرى فى كشافه وغيرهما من المفسرين والمؤرخين فى قصة زواج رسول الله ﷺ بالسيدة المطهرة « زينب بنت جحش » مما لايليق بالعامة فضلا عن الخاصة فضلا عن خاصتهم محمد ﷺ والتى اتخذ منها المبشرون مادة للنيل من عفته التى هى فى الكمال الآية ، وفى السمو النهاية .

(٤) فسروا القرآن الكريم وترجموا معانيه :

وأن نعمل على وضع تفسير لكتاب الله المجيد ، يبين ماحوى من جليل العقائد ، وروائع التشريع ، وحميد الآداب ، وبالغ العظات ، وصادق التاريخ ، وكريم السير ، وما أرشد إليه من حقائق اهتدى إليها العلم أخيرا فى الأنفس والآفاق .

وكيف أنه وضع لكل مشكلة حلا ، ولكل معضلة جوابا ، ولكل داء دواء ، وذلك فى عبارة بعيدة عن المصطلحات الفنية ، والصناعات اللفظية إلا ماقضت به الضرورة ، وتوقف الفهم على معرفته ، وتجنب الخلافيات والإسرائيليات ، والأوهام التى روجها بعض المفسرين ، ثم ترجمته إلى شتى اللغات على أن يوضع القرآن الكريم فى وسط الصحيفة ، وحوله التفسير بنصه العربى ، وفى أسفل ذلك ترجمة للتفسير العربى باللغة التى يراد ترجمة ذلك التفسير إليها ، وأن ينص على أن هذا التفسير ، وهذه الترجمة من عمل الهيئة المختارة لتفسيره ، والهيئة المختارة لترجمة التفسير ، حتى إذا ظهرت ملاحظات على التفسير أو الترجمة كان من الممكن تدارك هذه الملاحظات .

وبهذا العمل الجليل نقضى على الترجمات المنتشرة ، ومعظمها إن لم يكن كلها

حافل بالأخطاء والتحريفات ، ويقف المسلمون الذين لايعرفون العربية وغيرهم على ماحواه القرآن من فضائل وآداب ، وعقائد وتشريع ... وعلى مادسه المستشرقون والمبشرون حوله من مفتريات .

(٥) اجمعوا ماصح عن رسول الله ﷺ واشرحوه وترجموه :

وأن نقوم بجمع ماصح عن رسول الله ﷺ من أحاديث فى كتاب واحد توفيرا للجهد ، وتعميما للنفع ، واختصارا للوقت ، ثم شرحه شرحا يجلى معانيه ، ويبرز ماحوى من الآداب العالية ، والتوجيهات السامية ، والأصول العادلة ، والتشريعات الحكيمة ، والقصص الواعظ ، والتعليم الجامع ... ثم ترجمة هذا الشرح إلى سائر اللغات ، ثم نسلك معه مسلكنا مع ترجمة معانى القرآن الكريم ، وبذلك نسدى للإسلام أجلّ الخدمات ، ويقف الذين لايعرفون لغته العربية على ماحواه الإسلام ممثلا فى التفسير والشرح من سمو فى تشريعاته ، وأصالة فى عقائده ، ويسر فى معاملاته ، ونبل فى أخلاقه ، وأنه عكس مايصوره خصومه من المستشرقين والمبشرين . قال تعالى ﴿ وماأرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم ﴾[١] .

ولاشك أن هذا العمل يتطلب تضافر جهود القائمين على مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، ورابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ، والقائمين على شئون الدعوة فى العالم الإسلامى حتى يتحقق على الوجه السليم الذى يخدم الإسلام ، وينشر دعوته ، ويحميه من الذين امتلأت قلوبهم بالحقد فانطلقت ألسنتهم وأقلامهم بما يشوه جمال الإسلام ، وينال من كماله ، ويحجب أنواره عن عشاق الحق ، ورواد المعرفة .

---

(١) الآية (٤) من سورة إبراهيم .

(٦) عمموا المراكز الإسلامية ، وأوفدوا البعوث لنشر الدعوة :

وأن نعمل على تعميم المراكز الإسلامية فى عواصم العالم ، وتزويدها بالدعاة المخلصين ، والعلماء الراسخين الذين يتقنون لغة من يوفدون إليهم ، حتى يستطيعوا النهوض برسالتهم ، وألا نضن عليهم بالعون المادى ، والتقدير الأدبى .

وبذلك تنطلق من رحاب تلك المراكز الإسلامية الدعوة إلى دين الله الحنيف ، وهدى رسوله الكريم ، وتتردد فى أرجائها الفسيحة أصوات الهداية والفضيلة ، ويعرض الإسلام خاليا من الشوائب التى ألحقها خصومه من المستشرقين والمبشرين .

وإنى لأعجب العجب كله كيف تزود السفارات العربية والإسلامية فى الخارج بالملحقين العسكريين ، والتجاريين والثقافيين ... ولاتزود بالملحقين الدينيين ؟!

كما نعمل على إيفاد البعوث للدعوة إلى الإسلام بين الوثنيين فى مجاهل أفريقية وآسيا ، وبين البوذيين والهندوكيين فى أعماق الهند ، وبين الملونين فى الولايات المتحدة واليابان وأوروبا ، وتزويدهم بما يمكنهم من القيام بتلك المهمة العظمى من نشر الإسلام ، والدفاع عنه ، وتصحيح الأفهام فيه .

وإنى لعلى يقين من أن المبعوثين لو أحسنوا عرض الإسلام نقيا من الزيغ والبدع بلغة من يبعثون إليهم لهرع الناس إليهم مسرعين ، ولأجابوا دعوتهم فرحين ، لأنها الدعوة التى تنزلت آياتها من السماء ، فكانت دستور الله فى الأرض دستورا يوافق كل جنس ، ويلائم كل عقل ، ويكفل لمن تمسك به السعادة فى الحياتين .

قال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا . وأن الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم

عذابا أليما ﴾[1] .

وما لاريب فيه أن هذه المهمة الكبرى هى رسالة الأزهر باعتباره قلب الإسلام النابض ، ولسان دعوته الصادق ، ومنارة أمره الهادية ، ولأن له من تاريخه المجيد فى حفظ الإسلام ولغته ألف عام بل تزيد مايجعله أهلا للنهوض بتلك المهمة الجليلة ، ولكنها تتطلب الأموال الوفيرة ، والجهود المخلصة ، ولاتتسع موارده للقيام بهذا العبء فعلى المهيمنين على شئون الدعوة فى العالم الإسلامى أن يتدراسوا هذا الموضوع وسيجدوا بمشيئة الله من الدول العربية التى أفاض الله عليها من خيراته ، وأسبغ عليها من نعمائه العون السخى ، كما سيجدون من أثرياء المسلمين مايحقق الرجاء .

على أنى لا أنقص الأزهر حقه فله من الآلاف المؤلفة من أبنائه فى كثير من أرجاء العالم ، من ينهضون بمهامهم فى التدريس بالمعاهد والمدارس والجامعات الإسلامية ، وفى الوعظ والإرشاد ، ولكنى أريد بعثات للدعوة إلى الإسلام على غرار المؤسسات التبشيرية المنتشرة فى أرجاء العالم الإسلامى ، والتى تمدها حكوماتها والهيئات التابعة لها بكل مايمكنها من القيام بمهامها .

(٧) وجوب العناية الكاملة بالطلاب الوافدين :

الأزهر منذ نشأته أبوابه مفتحة لاستقبال الوافدين عليه من جميع أرجاء العالم لينهلوا من معينه ويرشفوا من رحيقه ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

فكان يسكنهم أروقته المتعددة ويجرى عليهم الرواتب ولايزال ينهض بتلك المهمة العظيمة ويشاركه فى القيام بذلك الواجب فى السنوات الأخيرة الجامعات الإسلامية فى المملكة العربية السعودية والسودان حيث يؤم جامعاتها الكثير من

---

(١) الآيتان (٩ ، ١٠) — الإسراء .

أبناء المسلمين ويجدون العون والرعاية .

ولكنى أريد الاهتمام البالغ والعناية المركزة بهؤلاء الوافدين وذلك بإعدادهم إعدادا سليما وتزويدهم بكل مايؤهلهم للقيام برسالتهم متى عادوا إلى أوطانهم فإنه فضلا عما فيه من توفير الجهد والمال أبلغ فى التبليغ ، وأهدى إلى السبيل والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾[١] .

(٨) العمل على توثيق الصلة بالجامعات والجاليات الإسلامية :

كما يجب أن تتوثق الصلات بين الأزهر والجامعات الإسلامية وبين الجاليات الإسلامية فى أوروبا وأمريكا وكل دول العالم وإمدادها بمن يفقهها فى دينها ويحفظ عليها إسلامها ويعلمها لغة القرآن الكريم .

وإنا لنسجل بالتقدير لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج زيارته لأندونيسيا ولفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت زيارته للشرق الأقصى ولفضيلة الشيخ محمد الفحام زيارته لإيران وبعض الجمهوريات الإسلامية ، بالاتحاد السوفيتى ولفضيلة الشيخ عبد الحليم محمود سفرته الميمونة إلى كل من فرنسا والولايات المتحدة والتى افتتح فيها المركز الإسلامى فى (لوس أنجيلوس) وزار الجاليات الإسلامية فى بعض الولايات الأمريكية .

ولفضيلة الشيخ محمد عبد الرحمن بيصار زيارته والوفد المرافق له للباكستان وماليزيا والفلبين وتشاد ولقد كان لتلك الزيارات المباركة الأثر الحميد فى توثيق الصلات وتقوية العلاقات بين الأزهر والمسلمين والوقوف على حياتهم واحتياجاتهم .

وأرجو أن تتكرر تلك الزيارات تعزيزا لروابط الأخوة على أن تتجلى فيها سماحة

(١) من الآية (٤) من سورة إبراهيم .

الإسلام وأن تكون بعيده عن مظاهر الترف والسلطان .

كما أرجو أن يتبادل الأزهر مع غيره من الجامعات الإسلامية والمدنية الكتب والرسائل والمجلات دعما لأواصر النسب العلمى والوقوف على ماوصل إليه العلم فى مجالات المعرفة .

وأن يعمل على دعوة من برز من المشتغلين بالدعوة الإسلامية من الإنجليز والفرنسيين والأمريكان وغيرهم إذ فى استضافتهم شحذ لهممهم وتقدير لجهودهم ، وتقوية لمعنويتهم فضلا عما فيه من تجدد المعلومات وتوثيق روابط الود والإخاء وحبذا لو منحهم شهاداته الفخرية وألقابها العلمية وعلى تكريم من يعتنق الإسلام من الفلاسفة والباحثين والانتفاع بجهودهم وعلمهم فى خدمة الإسلام .

وأن يتبادل الرسائل مع رؤساء الجاليات الإسلامية فى شتى المناسبات كالعيدين ورأس السنة الهجرية ، وذكرى المولد النبوى .

(٩)أحسنوا اختيار الجامعات والمعاهد الأجنبية :

وإذا كان الواجب الإسلامى يحتم علينا وجوب العناية البالغة بالطلاب الوافدين إلينا من جميع أرجاء العالم الإسلامى فإنه يحتم علينا كذلك أن نحسن اختيار الجامعات والمعاهد الأجنبية التى نبعث إليها بأبنائنا ليحصلوا على الإجازات العلمية أو الخبرة الفنية حتى يسلموا من سوء التوجيه وعوامل الإثارة ، وحتى لايعودوا إلينا « سفراء فوق العادة » يروجون لما تأثروا به مما لا يتفق وتعاليم الدين وحتى لا يحققوا للحكومات التى أوفدوا إلى جامعاتها ومعاهدها ماعجزت عن تحقيقه من القضاء على مقوماتنا وهدم شخصيتنا وحبذا لو أقمنا دورا لإيوائهم واتخذنا التدابير الحكيمة لحمايتهم حتى يحققوا الآمال التى علقت عليهم فى إنهاض الأمة وإسعاد المجتمع .

(١٠) شددوا الرقابة على طبع المصحف الشريف :

لاأعرف كتابا من الكتب السماوية أو الأرضية فى أية أمة من الأمم قديمها وحديثها ظفر بمثل ما ظفر به القرآن الكريم من بالغ العناية ، وصادق الرعاية .

ولقد أخذ المسلمون فى كل عصر يتنافسون فى تحسين كتابته ، ويتبارون فى تجويد قراءته يتلقاه خلفهم عن سلفهم حتى وصل إلينا مثلما نزل قبل أربعة عشر قرنا محصنا من التحريف ، محفوظا من التغيير .

وكان لمصرنا العظيمة ، وأزهرها المعمور فى مجال حفظه وتحفيظه ، وفى مجال كتابته وتجويده صفحات مشرقة تدعو إلى الإعجاب والتقدير .

ومن مظاهر عنايتها بالقرآن الكريم فى تلك الفترة الأخيرة أنها طبعته فى صورة جميلة تمتاز بكمال الضبط وموافقة الرسم العثمانى ، وجودة الورق وحسن الطبع « مصحف الملك » تحت إشراف مشيخة الأزهر الجليلة فى عهد المغفور له الإمام الأكبر الشيخ أبو الفضل الجيزاوى .

كما أخرج الأزهر منذ سنوات « مصحف الأزهر » فى عهد المغفور له الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود وكان كسابقه آية فريدة فى الجمال والكمال ولقد ظفر هذا العمل العظيم بتقدير العالم الإسلامى وشكر لمصر وأزهرها العناية بالقرآن الكريم والحرص على طبعه مبرأ من العيوب سليما من النقص والقيام على حفظه وتحفيظه .

ولكننا نكبنا فى هذه السنوات بعدم الدقة فى طبعه وعدم الهيمنة الكاملة على دور طبعه ونشره وعدم العقوبة الحازمة الصارمة للعابثين بحرمته وقداسته .

أذكر على سبيل المثال أنه وقعت فى يدى نسخة من القرآن الكريم ولما أخذت

أتصفحها وجدت بها عدة صحائف بيضاء فى سورة الاعراف والأنفال والتوبة ثم اتضح لى بعد مراجعتها أن بهذه السور الثلاث نقصا جد خطير .

فسورة الأعراف ينقصها أربع آيات فى آخرها . وسورة « الأنفال » ينقصها تسع آيات فى مطلعها ، وست وعشرون آية فى أثنائها ، وست آيات فى خاتمتها .

وسورة « التوبة » ينقصها ثلاث آيات فى مطلعها وخمس وأربعون آية فى أثنائها وحينذاك أحسست بالأسف البالغ ، والحزن العميق لهذا العمل المشين الذى يسيىء إلى سمعة مصر وأزهرها فضلا عن إساءته للقرآن الكريم .

ثم وقعت فى يدى نسخة آخرى من القرآن الكريم وبمراجعتها وجدتها كسابقتها بها نقص « مائة وسبع وأربعين آية » فى سور « الرعد وإبراهيم والحجر والنمل »

وقد جاء فى ختام النسخة الأولى أنها طبعت بمطابع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية لوزارة التربية والتعليم سنة ١٩٧١ وبتصريح من إدارة البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف رقم ١٤٣ فى ٦ شعبان ١٣٩١ هـ وراجعتها لجنة مراجعة المصاحف .

وقام بتصحيحها ومراجعتها أثناء عملية الطبع قسم التصحيح بالهيئة العامة وذلك ليخرج المصحف الشريف دون نقص أو زيادة فى حروفه أو شكله فضلا عن نقص آياته .

وجاء فى ختام النسخة الثانية أنها طبعت كذلك لوزارة التربية والتعليم سنة ١٩٧٠ بمطابع الهيئة العامة للمطابع الأميرية وبتصريح من إدارة البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية وراجعتها لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر وتولى قسم التصحيح بالهيئة العامة تصحيحها ومراجعتها أثناء الطبع إلى آخر هذا

« الأكليشيه » الذى يوضح فى ختام كل طبعه .

إن هذا الشيء عجاب كيف مرت النسخة بتلك المراحل من مراجعة يتولى أمرها عالم من كبار العلماء المبرزين فى علم الرسم والقراءات وعضوية كبار الشيوخ الذين طوقت أسماؤهم فى شتى الآفاق .

وتصحيح أثناء عملية الطبع نهض به قسم التصحيح بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بإشراف رئيس قسم التصحيح ثم تخرج النسخة فى تلك الصورة الممسوخة ، والوضع المعيب ثم كيف سمح بنشرها وتداولها بين التلاميذ والتلميذات فى جميع دور التعلم وبها مابها من الخطأ الجسيم ، والنقص الشنيع ؟ سبحانك ربى هذا بهتان عظيم .

بعد ذلك أنتقل إلى خطأ جسيم وقعت فيه بعض مطابع القطاع الخاص يتعلق بالقرآن المجيد . قامت مطبعة دار التأليف ومكتبتها (٨ شارع يعقوب بالمالية بالقاهرة) بطبع القرآن الكريم بتصريح من مراقبة البحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر رقم ١١٢ فى ١٥ — ٤ — ١٩٦٧ بعد أن قامت لجنة مراجعة المصاحف بتصحيحه ومراجعته على أمهات كتب القراءات والرسم وبتصفحه وجدت ماملأ قلبى أسفا وجدت أن سورة الأحزاب ينقصها سبع وأربعون آية من قوله تعالى : ﴿ وأورثكم أرضهم ... إلى خاتمتها ﴾ كما لم أجد به سورتى : « سبأ » و « فاطر »

روجدت سورتى « الزمر » و« غافر » وصدر سورة « فصلت » قد ذكرت مرتين . كما وجدت أن سورة « يس » و« الصافات » و« ص » جاءت بعد صدر سورة « فصلت » المكرر ولاشك أن هذا يخالف الترتيب المأثور فى المصحف .

ووقعت فى يدى مرة رابعة نسخة من القرآن الكريم لم يدون عليها اسم المطبعة التى تولت طبعها ولاتصريح من مراقبة البحوث ولاقرار لجنة مراجعة المصاحف

بالتصحيح والمراجعة فوجدت بها تغييرا جسيما فى ترقيم الصفحات ابتداء من الصفحة رقم « ٣٨٥ » إلى الصفحة رقم « ٤١٦ » وطبعا مع إخلال خطير فى ترتيب الآيات .

معذرة فقد أطلت لأن الكلام عن المحنة التى ألمت بطبع القرآن الكريم فأخرجته ناقصا الكثير من الآيات والسور مع الخلل فى ترقيم الصفحات وترتيب الآيات ويستوى فى هذا العمل مطبعة الحكومة الرسمية ومطابع القطاع الخاص ولو كانت هناك الرقابة الدائبة والعقوبة الصارمة لما حدث شيء من ذلك وهذا هو ماأدعو إليه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

(١١) أعيروا إذاعة القرآن الكريم عنايتكم :

وإن من الأمور الجديرة بالاهتمام البالغ أن نعمل على النهوض بـ « إذاعة القرآن الكريم » وذلك بتقوية إرسالها بحيث تسمع فى جميع أرجاء العالم ، وتوسيع مجال نشاطها حتى تصبح عاملا فعالا فى نشر الإسلام فى أصالة عقائده ، وسمو مبادئه ، وكريم أخلاقه ، وحكيم شريعته ووفائه بكل ماتحتاجه البشرية فى علاج مشاكلها وإشاعة الأمن والسلام فى ربوعها .

وفى الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه مما أثاره خصومه نحوه من أباطيل ونسجوه من مفتريات وفى تكوين رأى إسلامى عالمى يخشى الاستعمار غضبته ويحمله على احترامه .

وفى توثيق روح الأخوة التى تربط المسلمين وتجعلهم أمة واحدة وذلك باللغة العربية واللغات الأجنبية اعتزازا بلغة القرآن ، وتعميما للبلاغ ونشراً للمعرفة .

(١٢) استفيدوا من الحج فى العمل للدين والدنيا :

وإذا كان الحج هو مؤتمر الإسلام العالمى الذى يفد الناس إليه من كل حدب

وصوب ، ومن كل فج عميق بنفوس راضية ، وقلوب صافية ، كان لزاما على قادة المسلمين وولاة أمورهم ، أن يتخذوا منه فرصة التعارف والتوادد ، ثم الاتحاد والتعاون على إقامة المصالح العامة ، ودفع الأخطار الفادحة التى تعترض نهضتهم ، وتحول بينهم وبين الانطلاق ، ليحفظوا التوازن بين القوى المتصارعة ويصونوا السلام من الذئاب المتنازعة ، ويبلغوا رسالة الإسلام .

وذلك بتكوين رابطة إسلامية تربط كل الدول الإسلامية بعضها ببعض ونكون منها دفاعا مشتركا ووحدة اقتصادية وثقافية وسياسية واجتماعية .

إذ ما أحوجنا إلى تلك الوحدة الإسلامية الكبرى التى تنتظم جميع المسلمين أفرادا وشعوبا وحكومات ومقدماتها موجودة وهى :

الدين الواحد ، والكتاب الواحد ، والقبلة الواحدة ، والعيد الأكبر الواحد الذى له أهميته فى التمهيد لهذه الوحدة .

ولو اتجهت أنظار الشعوب الإسلامية وقادتها إلى تلك الغاية العظمى وعملوا لها فى حكمة وحزم لوجدوا أكبر مساعد على أن تتوافق آراؤهم ، وتتقارب مشاربهم ، وتتماثل أهدافهم ، فيستردوا أمجادهم ، ويستعيدوا سيادتهم ، ويرهبوا عدو الله وعدوهم ، ويعيشوا فى عزة ومنعة ورخاء وازدهار ، ويجنبوا البشرية عواقب القوى الباغية ، والأسلحة المدمرة ، ويشيعوا فى العالم تعاليم الإسلام وترفرف عليهم ألوية السلام .

فعلى المسلمين أن يفقهوا هذا المعنى السامى فى الحج ، ويعملوا فى صدق وأمانة وعزيمة وإخلاص ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾

(١٣) أنشئوا محكمة إسلامية دولية :

إن مايقع بين العراق وإيران ، من تلك الحرب المدمرة التى أهلكت الحرث والنسل ، ووجهت القوى نحو التدمير والتخريب ، وكان الواجب الإسلامى يحتم أن يعالجا مشاكلهما بالحكمة وأن يوجها قواهما نحو الإصلاح ، بدلا من اندلاع نار الحرب بين شعبين مسلمين وبين أمتين عريقتين .

إزاء ذلك ، أرى حتمية إنشاء محكمة إسلامية دولية ، لفض الخلافات بين الدول الإسلامية ، ونزولا على قوله تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾[١] .

(١٤) اطلبوا العلم فى قوة :

علينا أن ندرك أن أول مانزل من القرآن الكريم كان أمرا بالقراءة ، وتحصيل المعرفة وأن سلفنا الصالح أدرك هذا المعنى فنهضوا يطلبون العلم بأوسع معانيه ، فتخصص بعضهم لعلوم الدين ، من ضبط قراءة كتابه ، وتفسير معانيه ، وطرق استنباط الأحكام منه إلى غير ذلك . ومنهم من وقفوا أنفسهم لدراسة السنة النبوية وتدوينها ، ونقد رواتها ، وتمييز أصيلها من دخيلها .

وجماعة جعلوا غرضهم اللغة فعمدوا إلى تحرير مفرداتها ، وضبط مدلولاتها ، وحصر لغاتها ووضع معاجمها ، وتدوين علومها .

وفرق أخرى استهدفت العلوم الكونية ، على اختلاف موضوعاتها ، من فلك ورياضة ، وطب وصيدلة ، وكيمياء وطبيعة ، وغيرها فاستوعبوا كل ماوجدوه من

---

(١) الآيتان ٩ ، ١٠ من سورة الحجرات .

كتبها ، ولما لم يرووا غلتهم ، شرعوا يترجمون كل ماادخره اليونان والرومان والفرس فى مكتباتهم ، حتى دانت لهم الدنيا بالزعامة فى العلم ، وصارت مدارسهم وجامعاتهم ، مضرب الأمثال فى ازدهار المعارف ، ورقى الآداب ، وأصبحت كعبة يحج إليها عشاق العلوم ، ورواد الحكمة من جميع أنحاء المعمورة فى الوقت الذى كان العالم فيه يسبح فى بحار الجهالة ، ويتيه فى بيداء الضلالة . ثم توقف هذا الزحف العلمى المجيد وأقبل الغرب على تراثنا العلمى والحضارى يستفيد منه فى نهضته ، وخطا فى هذا المجال خطوات كبيرة . وحقق المعجزات فى عالم الأرض وعالم السماء .

فعلينا أن نستأنف نشاطنا ، وأن نستفيد بما برع فيه الغرب من علوم العصر الحديث وفنونه وصناعاته ، واكتشافاته ، ووسائله الحضارية دون إخلال بعقيدتنا وشريعتنا وأخلاقنا الإسلامية . والحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها أخذها .

(١٥) صححوا مسار التعليم فى الأزهر :

لما كان الإسلام فى غده يتأثر قوة وضعفا بقوة الأزهر وضعفه اليوم وبعد اليوم فقد جاء فى المادة الثانية من القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ مايحفظ على الأزهر قوته ويجنبه مواطن الضعف ليبقى الإسلام قويا وليستطيع الأزهر أن يسلخ من عمره ألف عام أخرى فى خدمة الإسلام « الأزهر هو الهيئة العلمية والإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم البشر وفى الحضارة وكفالة الأمن والطمأنينة وراحة النفس لكل الناس فى الدنيا والآخرة »

ولقد حددت هذه المادة رسالة الأزهر فى أمرين عظيمين ، وفى مهمتين خطيرتين **أولاهما** : حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره .

وثانيتهما : حمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب والعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم البشر .

ولكنا نلاحظ والأسف يملأ قلوبنا أن قانون تطوير الأزهر لم يحقق هذه الأهداف الجليلة التى تضمنتها هذه المادة على الوجه الذى يبعث فينا الأمل بأن الأزهر سيسلخ من عمره المديد إن شاء الله ألف عام أخرى فى خدمة الإسلام وحمل رسالته إلى ربوع العالمين .

ولعل ذلك راجع إلى السياسة التعليمية التى سلكها الأزهر فى قبول طلابه فلقد كان يتخيرهم من الحافظين للقرآن الكريم كله بعد أن يجتازوا امتحانا دقيقا فيه وفى مبادىء الحساب والخط والإملاء والمطالعة وذلك لأن القرآن المجيد هو المحور الذى تدور حوله الدراسات الدينية والعربية فضلا عن أنه كتاب الله الخالد ، ومعجزة رسوله الكبرى ، ودستور دعوته العظمى الذى يجب الحفاظ عليه والدعوة إليه . فخرج على تلك السياسة الرشيدة بقبوله الحاصلين على الإعدادية العامة الذين لفظتهم وزارة التربية والتعليم وباعدت بينهم وبين الالتحاق بمدارسها الثانوية لضآلة مجاميعهم وضعف مستواهم العلمى فامتلأت بهم المعاهد الثانوية ولما ضاقت عن استيعاب البنين والبنات لجأت إلى جعل الدراسة على فترتين إحداهما صباحية وثانيتهما مسائية حتى يمكن قبول ذلك الجيش الزاحف وتلك الآلاف المؤلفة وإنى لأعجب العجب كله .

كيف تفتح أبواب الأزهر لقبول من لم تقبله وزارة التربية والتعليم ليدرس منهجا واحدا ويقبله الأزهر ليدرس منهجين المنهج المدرسى والمنهج الأزهرى .

وكيف يقبل الأزهر من يحفظ قصار السور وبعض الآيات والذى لاتؤهله دراسته لأشرف الغايات ؟ وهل غاب عنه أن القلة الحافظة لكتاب الله خير وألف مرة من الكثرة الفارغة الفاشلة ؟

وهل يرجى خير ممن لايحفظ القرآن الكريم وهو ثروته وعدته وحوله تدور دراسته

ومنه يستمد قوته ؟ ولقد ترتب على تلك السياسة تزويد الكليات الأزهرية بالأفواج الهائلة من الطلبة والطالبات الذين لم يهضموا المواد الأزهرية ولم يحسنوا المواد الثقافية فضلا عن حملة الثانوية العامة الذين لم يعدوا للدراسة الأزهرية .

ولقد كان لتلك السياسة أثرها البالغ فى هبوط المستوى العلمى للخريجين بل وعدم صلاحيتهم للقيام بالمهمة الملقاة على عاتقهم على الوجه الذى يحقق أهداف الأزهر .

ولما ارتفعت الألسنة بالشكوى من تلك السياسة لخطرها البالغ على القرآن الكريم وعلى رسالة الأزهر رأى ولاة الأمر فى الأزهر أخيرا قصر القبول بالمعاهد الثانوية على حملة الإعدادية الأزهرية وقصر القبول بالكليات الأزهرية على حملة الثانوية الأزهرية .

وهذا العمل نحمده ونخشى أن يصدر قرار بنسخه أو استثناء بمسخه .

كما أن هذا الضعف فى المستوى العلمى للخريجين يرجع لأسباب أخرى لاتخفى على الكثيرين .

منها الاعتماد على المذكرات التى لاتعمق فهما ، ولاتوسع أفقا بدلا من الاعتماد على كتب التراث التى درج الأزهر على دراستها والاتصال بها ، ومنها مزاحمة المواد الثقافية للمواد الأزهرية ، ومنها خفض سنوات الدراسة[1] ، ومنها عدم العناية الكاملة بالامتحان فى القرآن الكريم فى سنوات النقل وفى الشهادات النهائية ، ولقد تعرض لهاتين الظاهرتين مبينا أثرهما الفادح فضيلة الدكتور محمد السعدى فرهود مدير جامعة الأزهر فى حديثه لمندوب مجلة آخر ساعة فى عددها الصادر فى

(١) فى الأقسام الإعدادية والثانوية :ـ
رغم وفرة المواد التى تحتاج دراستها إلى زمن حيث أن الطالب فى تلك المرحلتين يدرس منهج وزارة التربية والتعليم (كتابا وموضوعا) بجانب دراسته للمنهج الأزهرى فى العلوم الدينية والعربية وهذا عبء ينوء به كاهله ويحتاج إلى وقت

٣١ ــ ٨ ــ ١٩٨٣ حيث قال عن المذكرات :

« المذكرات لاتسمن ولاتغنى من جوع ، ومنذ اعتمدنا عليها ، وملامح التدهور واضحة ، فى مناهجنا التعليمية ، وظهر أثر ذلك على مستوى الخريجين » .

وحيث قال عن التهاون فى امتحان القرآن الكريم :

« والنتيجة طالب ضعيف إذا صعد المنبر ، أو أمَّ الناس فى الصلاة أخطأ فى قراءة الآية ، وهو بذلك رمز سيىء لأبناء الأزهر » .

كما حدثنا الأستاذ صلاح عزام فى كلمة نشرت له فى جريدة الجمهورية الصادرة فى ١٥ يوليو ١٩٨٤ عن نتائج الامتحانات فى جامعة الأزهر هذا العام فقال :

أسفرت النتائج عن رسوب أكثر من ٨٥٪ من طلاب الشهادات النهائية فى مادة القرآن الكريم تحريريا وشفويا ، وأن مئات أوراق الإجابة خلت تماما من الإجابة على ٧٥٪ من الأسئلة ، ومعظم الإجابات بها أخطاء فى كتابة الآيات الكريمة .

وتشير الامتحانات الشفوية إلى أن نسبة حفظة القرآن الكريم كله لايتجاوز ١٪ ، ومن يحفظ أجزاء لاتزيد عن ٥٪ وهم فى تناقص عاما بعد عام .

ثم قال : إن الذين يرسبون فى القرآن الكريم هم أئمة الغد ، وخطباء منابر الأيام القادمة ، ومن ستطلق عليهم صفة الدعاة .

كيف يقبل الأزهر طلابا بمعاهده وكلياته لايحفظون القرآن الكريم على أمل أن يحفظوه قبل نهاية مرحلتهم الجامعية »؟!

ولقد حذر من تلك النتائج المحزنة أستاذنا الأجل فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير الأزهر الأسبق فدعى إلى الاهتمام البالغ بالقرآن الكريم وقصر الالتحاق

بالأزهر على من يجيد حفظه كله ، كما دعى إلى الجدية فى الامتحان الشفوى والتحريرى ، كادعى إلى التركيز على التعليم الابتدائى ، ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم ، باعتبارهما المصدر الذى يغذى الأزهر برواده ، كما دعى إلى تكريم حفظة القرآن الكريم فى عيد العلم ، ومعاملتهم معاملة حملة الشهادات العليا فى التجنيد وله فى ذلك اتصالات طيبة ورسائل قيمة ، مدَّ الله فى عمره وأجزل مثوبته

هذا ولقد قرأنا حديثا قيما لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق عقب توليه مشيخة الأزهر ، ونشرته الصحف عالج فيه مشاكل التعليم بالمعاهد والجامعة ، ووعد بمراجعة قانون التطوير الذى مضى عليه نحو ربع قرن ، ولم يحقق أهدافه على الوجه الذى يضمن للأزهر النهوض بتبعاته ، وتحقيق رسالته الكبرى كما بينتها المادة للثانية المشار إليها . وبالرجوع بالأزهر إلى سالف مجده ، ليظل معقل الدعوة ، ومنار الهداية ، ومصدر الإشعاع على العالم كله ، وإنا نستنجزه الوفاء بما وعد والله يؤيده بتوفيقه .

(١٦) الأزهر وتعليم الفتاة :

وإيمانا بدور المرأة فى المجتمع الإسلامى أنشأ الأزهر معاهد الفتيات فى طول البلاد وعرضها ونرجو أن يلحق بها الأقسام الداخلية صيانة ورعاية وأن يحول كلية البنات الإسلامية إلى جامعة حتى تستطيع أن تزود المجتمع بالزوجة الفاضلة التى تعرف حق زوجها فتوفر له أسباب الهناءة وتعينه على النهوض بأعباء الحياة .

وبالأم الحانية التى تبنى أسراً كريمة وتنشىء أجيالا سليمة على حب الله ورسوله ، وعلى أخلاق الإسلام وتعاليمه وعلى حب الوطن والوفاء له .

وبالعالمة الرائدة التى تحمل لواء دعوة الإصلاح الإسلامى فى أوساط النساء لأنها أقدر على حمله فى هذه الأوساط من الرجال .

وبالمربية الفضلى التى تنهض برسالتها الجليلة فى مجال التربية والتعليم .

وبالدكتورة الواعية التى تقوم بواجبها فى تشخيص الأمراض وعلاجها لبنات جنسها ، وإننى لقوى الأمل فى أن تخرج لنا جامعة البنات الإسلامية أمثال السيدة خديجة فى الوفاء والإخلاص وأمثال السيدة عائشة فى العلم والمعرفة وأمثال السيدة أسماء فى التضحية والفداء ، وأمثال الخنساء فى شاعريتها الحية وعبقريتها الفذة ، وأمثال السيدة سكينة بنت الحسين بن على فى علمها الغزير وأدبها الرائع .

وبهذه المناسبة نقرر أن الإسلام أباح للمرأة أن تعمل خارج بيتها متى قضت الضرورة بذلك ولكن فيما يتفق وطبيعتها ، ويتلاءم واستعدادها وأن يكون اختلاطها بالرجال فى أضيق نطاق درءا للشر ، وسداً لباب الفتنة ، وعلى أن تلبس من الثياب مالا يبرز أماكن الاستهواء ، ويكشف عن مواطن الفتنة فيها ، أوبعبارة أوضح تلبس من الثياب مالايشف ولايجسم ، ومالايصور ولايضخم ، وأن يغطى جميع جسمها عدا ما استثناه القرآن فى قوله تعالى : ﴿ إلا ماظهر منها ﴾ وأرجح الأقوال أنه الوجه والكفان وأن تلتزم الوقار والاستقامة فى مشيتها وفى حديثها ، وتتجنب الإثارة فى سائر حركات جسمها ووجهها ، وألا تتعمد جذب انتباه الرجال إلى ما خفى من زينتها ، بالعطور أو الرنين أو نحو ذلك ، وألا تضرب برجلها ليسمع قعقعة خلخالها قال تبارك وتعال : ﴿ ولايبدين زينتهن إلا ماظهر[1] منها وليضربن بخمرهن[2] على جيوبهن .... [3] ولايضربن بأرجلهن

(١) ﴿ إلا ما ظهر منها ﴾ أى من الزينة فى الوجه والكفين فيجوز كشفه .

(٢) الجيب : فتحة الصدر فى الثوب . والخمار : غطاء الرأس والنحر والصدر . أى فليضربن بخمرهن ليدارى الخمار مفاتنهن فلا يعرضنها للعيون الجائعة ولا حتى للنظرة الخاطفة .

(٣) ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ قال قتادة : كانت المرأة تضرب برجلها لتسمع قعقعة الخلخال فيها فنهاهن عن ذلك . وقيل معناه : لا تضرب المرأة برجلها إذا مشت لتبين خلخالها أو يسمع صوته

ليعلم مايخفين من زينتهن ﴾[١] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلايؤذين وكان الله غفورا رحيما ﴾[٢] .

(١٧) الأزهر والصحافة :

رأى المغفور له الإمام الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى أن يكون للأزهر مجلة تحمل لواء الدعوة والهداية وتقرر حقائق الدين على وجهها الصحيح وتدعو إلى الفلاح بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتكشف عما لصق بالدين من بدع وما دس على السنة من أحاديث موضوعة ، وتبصر الناس بأحكام دينهم وتقضى فى مشاكلهم وتدفع عن الإسلام ماأثير حوله من شبهات ، وتعنى بسير العظماء من رجال الإسلام .....

وقد اتخذت خطوات فى هذا السبيل من قبل ولكنه طيب الله ثراه لما أسندت إليه مشيخة الأزهر كان من أول مااتجهت إليه عنايته مشروع هذه المجلة فأخذ يديره بجد وحكمة حتى خرجت تلك المجلة باسم « نور الإسلام » ثم غير اسمها فيما بعد إلى « مجلة الأزهر » وألحقت بها بحوث باللغة الإنجليزية ولقد استقبل العالم الإسلامى هذه المجلة بالغبطة والسرور وحمدوا للأزهر هذا الاتجاه الحميد وذلك العمل الميمون .

ولكننا نريد أن يكون بجانب هذه المجلة الشهرية صحيفة يومية تعالج المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمذاهب المعاصرة .على ضوء من كتاب الله الكريم وهدى رسوله ﷺ وتحمى الفضيلة ، والآداب العامة ، والتقاليد الصالحة ،

---

(١) الآية ٣١ من سورة النور .

(٢) الآية ٥٩ من سورة الأحزاب .

وتقاوم المبادىء الهدامة ، والنحل الفاسدة وتشبع رغائب المسلمين وتملأ قلوبهم بهداية الإسلام ، وتطبع سلوكهم بآدابه وتنمى عقولهم بمعارفه وتربط بين الأزهر والشعوب الإسلامية والأسرة العالمية .

وبذلك تلتقى مع المجله الشهرية فى شرف الغاية ووحدة الهدف ويطالع المسلم مع إشراقة كل شمس وفى غرة كل شهر مايملأ قلبه أمنا وإيمانا ويوثق صلته بإخوانه فى العقيدة ويعرف غير المسلمين مافى الإسلام من سمو وكمال وسماحة وجمال .

(١٨) افتحوا باب الاجتهاد :

خلف فقهاؤنا الأمجاد طيب الله ثراهم بدراستهم المستفيضة ، وبحوثهم القيمة ، تشريعا سد حاجة المجتمع الإسلامى ، وأصبح مفخرة تعتز به أمتنا ، وتشيد به المؤتمرات الدولية .

وكان المفروض أن تستمر الدراسة ، والبحوث ، لتواجه مشاكل الحياة المتجددة ، ولكن هذه النهضة التشريعية مالبثت بعد القرون الأولى حتى أخذت تتوقف شيئا فشيئا حتى وصلت إلى حالة من الركود والجمود ، وقد جدت فى العالم مشاكل وألوان من المعاملات ، لاعهد للناس بها ، وأخذوا يتطلعون لمعرفة موقف الشريعة منها ، ولاسبيل إلى ذلك إلا إذا فتحنا باب الاجتهاد .

إذ به وحده تتمكن هذه الشريعة من مسايرة الزمان والمكان ، ويتمكن المشرعون من مواجهة المشاكل الجديدة ، والأحداث العارضة ، ويضعون لها الحلول الحكيمة ، مستندين فى ذلك إلى كليات الشريعة وأغراضها .

وإذا دعونا إلى فتح باب الاجتهاد ، فإنما ندعوا إلى فتحه أمام من تتوفر فيهم مقوماته من الكفاية الفقهية ، والتمكن من أصول الشريعة وأهدافها ، على أن يكون المرجع فى استنباط الأحكام فى النهاية ، لجماعة من كبار العلماء المبرزين فى الشريعة الإسلامية حتى يسلم العمل من الزلل والنزعات الفردية والآراء الفجة .

هذا وإن لنا فى مجمع البحوث الإسلامية الأمل فى تحقيق ذلك وفى أن ينهض بدراسة الفقه الإسلامى دراسة جادة ، وأن يعرضه بأسلوب يفهمه الناس ، وأن ينشر منتجات القدامى من الفقهاء فى صورة تيسر الإلمام بها ، والرجوع إليها ، وتفهم أغراضها ، وتبين وجوه الموازنة بينها وبين أصول التشريع الحديث .

وأن يعمل على إخراج قاموس للفقه الإسلامى ، على غرار القواميس العلمية الحديثة ، يكون مرجعا لمعرفة المصطلحات الفقهية المختلفة .

لاسيما فى تلك الفترة التى أجمعت فيها الأمة على العودة إلى العمل بشريعة الإسلام الغراء ، ونص الدستور فى مادته الثانية على أن تكون الشريعة الإسلامية « المصدر الرئيسى للتشريع » وبهذا تتحقق رسالة مجمع البحوث الإسلامية ، الذى أنشىء ليكون هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية ، وليمد الأمة الإسلامية ، بالرأى فى قضايا الساعة ومشكلات العصر على ضوء الإسلام الحنيف .

(١٩) اجعلوا العربية اللغة العالمية لجميع المسلمين :

من الواجب العمل على جعل اللغة العربية لغة القرآن الكريم لغة عالمية لجميع الشعوب الإسلامية ، مع وجوب تعليمها وتعلمها ، حيث أنه لايمكن فهم الإسلام فهما صحيحا إلا بها ، فضلا عما فى التحدث بها من توثيق روابط الود والإخاء بين جميع أبناء العالم الإسلامى ، وليس معنى هذا أن يتنكر الإنسان للغته فأنا أدعو إلى الحرص عليها مع وجوب تعلم العربية ، وجعلها لغة عالمية تربط بين المسلمين .

ولقد شاهدت الكثير من المسلمين ، خصوصا من أبناء القارة الأفريقية ، يحفظون القرآن الكريم عن ظهر قلب ، ولكن لايفقهون من معانيه شيئا تقريبا لعدم معرفتهم لغته العربية .

(٢٠) الدين واللغة ووزارة التربية والتعليم :

عرفنا فيما سبق أن قوى الشر المتحالفة ركزت نشاطها على الدين لأنه مصدر قوة المسلمين ومناط عزهم ولأنه الصخرة الصماء التى تتحطم عليها نصالهم فعملت على إضعاف نفوذه وعلى إقصائه عن الحياة وقد نجحت سياسة المبشر « دانلوب » فى وزارة التربية والتعليم فى إقصاء التربية الإسلامية عن مناهج الوزارة .

ولما استقلت مصر بسياستها التعليمية وجهت عنايتها إلى الدين حيث يجتاز الطالب فترة من العمر دقيقة يحتاج فيها إلى التوجيه السليم ، والهدى الصالح ، والقيادة الراشدة ، والرعاية الواعية ليكون فى نجوة بعيدة عن الانحراف .والتيارات الفاسدة ، وليتصل بالمثل العليا والمبادىء القيمة التى رسمها الإسلام فقررت التربية الإسلامية ضمن مواد الدراسة .

ونحن إذ نحمد لها هذه الرعاية نرجوا أن تولى الدين المزيد من رعايتها فيجد طريقه إلى جميع المدارس والجامعات حتى تتشبع أرواح الطلبة بتعاليم الإسلام ويكونوا نماذج فاضلة فى قوة العقيدة وحميد السلوك وليحسنوا تصريف شئون الأمة حينما توضع أمورها بين أيديهم فى مستقبل حياتهم على هدى من إسلاميتهم الحية ، وتعاليم الدين الحنيف .

ويجب أن نحسن اختيار الأساتذة الذين سيقومون بالقيام بتلك المهمة الكبرى والأمانة العظمى ممن يحملون عقيدة الإسلام النقية وتتجلى مظاهرها فى سلوكهم حتى يتأثر بهم طلبتهم وينهجوا نهجهم بجانب العلم .الغزير والأفق الواسع والشخصية الكاملة .

وأن نضع حصص القرآن الكريم والدين فى مطلع اليوم المدرسى حيث وفرة النشاط والرغبة القوية فى الاستفادة بدلا من وضعها فى نهاية اليوم المدرسى حيث

الفتور والرغبة فى الخروج .. على أن تضاف درجة الامتحان إلى المجموع حثا للطلاب على الاهتمام بتلك المادة ، وإثارة لروح التنافس بينهم لأن عدم إضافتها يجعل الطالب لايهتم بها ولايقيم وزنا لها وحسبه أن يحصل على الدرجة الدنيا (الصغرى) .

هبوط مستوى الطلاب فى اللغة العربية :

وإذا دعونا إلى أن يأخذ الدين طريقه إلى جميع دور العلم فيؤسفنا أن نقرر أن مستوى الطلبة فى مدارسنا ضعيف جدا فى اللغة العربية قراءة وكتابة ومحادثة وأصبح من النادر أن نجد تلميذا يستطيع أن يقرأ موضوعا أو يكتب رسالة بلغة عربية سليمة من الخطأ ولاشك أن لذلك أسبابه التى لاتخفى على القائمين باللغة العربية فى وزارة التربية والتعليم وأهمها فى نظرى هو تحرر مدرسى اللغة أنفسهم من التدريس بها وإيثارهم العامية ليدرك التلميذ مايقوله المدرس فى يسر وسهولة ولايحتاج أن يشق على نفسه بطلب التلميذ المزيد من الإيضاح .

ولاشك أن التدريس بالعامية وإيثارها على اللغة العربية له خطره الكبير عل اللغة العربية وعلى القرآن الكريم ولقد كان من أهداف الاستعمار قطع صلة المسلمين بالقرآن الكريم واللغة العربية ولهذا كان يهون من شأن القرآن وينسج حوله الأراجيف المزعومة ، والروايات الموهومة ، والافتراضات المتخيلة ، والنتائج المزورة .

كما كان يوجه حملاته الجبارة على اللغة العربية بوصفها اللغة التى أنزل الله بها قرآنه فهى مفتاح معرفته والسبيل إلى الوقوف على تعاليمه وآدابه ، وكان يدعو إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية وكان يدعو إلى العامية فى أسلوب الكتابة وفى مقالات الصحف وفى أحاديث الإذاعة والتليفزيون .

لأنه يهدف إلى قطع صلة المسلمين بالقرآن الكريم وبلغته وبالتالى قطع صلة المسلمين بالتراث العلمى والحضارى الذى خلفه سلفهم ثم تفتيت وحدة

المسلمين .

لأنهم ماداموا على صلة وثيقة باللغة العربية فإنهم سيظلون مرتبطين بالقرآن ، وسيظلون كذلك متمسكين بفكرة الوحدة الإسلامية التى يخشى الاستعمار بأسها ويعمل للحيلولة دون قيامها وعلى ذلك فإن التدريس بالعامية يحقق رغبته ولهذا فإنى أهيب بوزارة التربية والتعليم أن تعالج ضعف مستوى الطلاب فى اللغة العربية ، وأن تعمل فى عزيمة قوية على أن يكون التدريس باللغة العربية لا العامية فى جميع المدارس والجامعات .

ولعلنا نذكر أن مصر فى عهد الاستعمار كانت لغة التدريس والتعليم لغته رغبة منه فى نشرها لأنها لغة أفكاره وعنوان سلطانه وليصرفوا طلابنا عن لغة القرآن الكريم فكيف نسمح وقد أصبحت لنا الكلمة الأولى فى سياستنا التعليمية أن نغض الطرف عن التدريس بالعامية واللهجة المصرية ؟! وألا نعير اللغة العربية ماتستحق من عظيم العناية ، وبالغ الاهتمام .

من الواجب أن تدرس اللغة العربية ، فى جميع الكليات النظرية والعمليه ، جنبا إلى جنب مع المواد الأخرى ، أما الاقتصار على تدريسها بعد المرحلة الثانوية ، على كليات دار العلوم ، والتربية وآداب قسم لغة عربية ، ففيه ظلم كبير للغة ، وعقوق كبير لها ، وإننا حينذاك بجانب جنى ثمار تدريسها لشباب الأمة نقضى على تلك الظاهرة الخطيرة ، ظاهرة الأخطاء النحوية واللغوية ، التى يتورط فيها الكثير من القادة والوزراء ، والدعاة والمصلحين ، والمتحدثين فى الإذاعة والتليفزيون ، وندفع عن أنفسنا تهمة الجهل بلغة أمتنا .

أقيموا الصلاة والزموا الفتيات بالحجاب الإسلامى وامنعوا التعليم المختلط :

كذلك من أوجب الواجبات إقامة فرض الصلاة فى المدارس والجامعات لما فى

اجتماع الطلاب على أدائها متجهين إلى قبلة واحدة متساوين فى صفوف واحدة يؤمهم إمام واحد توثيق لصلتهم بربهم ، وإيقاظ لضمائرهم ، وشحذ لعزائمهم وتقوية لوحدتهم ، مع إذكاء القيم وصدق المراقبة ولهذه النتائج الحميدة يتحتم على ولاة أمورنا أن يعيروا هذه المسألة عنايتهم البالغة فإن من لا خير فيه لربه لاخير فيه لوطنه .

ولما فى إقامة الصلاة فى المدارس والجامعات من الآثار فإن المدارس والجامعات الأجنبية تحرص على إقامتها كما تلزم أبناءنا الذين ينتسبون إليها بآدائها وفقا لطقوسهم وذلك تنفيذا لسياستها فى اضعاف عقيدتنا ، وتحويل مواطن القوة فينا إلى مواطن ضعف .

ولقد مر بنا موقف الجامعة الأمريكية فى بيروت حينما احتج الطلاب المسلمون بسبب إجبارهم على الدخول يوميا إلى الكنيسة للصلاة حين الكلام على « التبشير » فارجع إليه .

لاريب أننا أولى منهم بإقامة شعائر الصلاة فى مدارسنا وجامعاتنا ومعاذ الله أن نكره غيرنا على أدائها لأن إسلامنا يقرر : ﴿ لاإكراه فى الدين ﴾ و ﴿ لكم دينكم ولى دين ﴾ .

كذلك من ألزم الواجبات أن تحرص الجامعات على أن تذهب الفتيات إليها فى صور تبعث على الاحترام وتتفق وجلال العلم والفضيلة ، فى صورة لاتثير الشباب ولاتحرك ساكنا ولاتصرف عن الدرس والتحصيل لأن الفتاة اليوم تذهب إلى الجامعة وكأنها عروس تزف إلى زوجها ، وفى التزامها بالحجاب كما رسمه الإسلام مايحفظ عليها دينها وخلقها وأنوثتها ، ويجنبها عوامل السقوط ويعصمها من الشيطان وإنى أنتهز هذه الفرصة فأدعو فى قوة إلى إلغاء التعليم المختلط درءا للشر وسداً لمنافذ الإغراء وتوجيها للقوى نحو التحصيل والمعرفة .

وكفى ماجره علينا سفور الفتيات الفاضح والتعليم المختلط من مآسى ومصائب .

انحراف بعض أساتذة الجامعات عن رسالتهم السامية :

ومما ينبغى أن ننبه إليه أن بعض الأساتذة فى الجامعات يروجون إلى الإلحاد ويدعون إلى التحلل من قيود الدين والفضيلة ويشجعون على الإباحية بما ينشرونه حول الإسلام من آراء تأثروا بها عن أساتذتهم فى الجامعات اللاإسلامية ولقد أشار إلى هذا الانحراف الخطير الأستاذ الكبير المرحوم « الشافعى اللبان » فى إحدى ندوات[1] مجلة لواء الإسلام فقال :

« أرجو ألا يغيب عن الأذهان أن هناك اتجاها فى الدراسة الجامعية فيه استهتار بالأديان واستهتار بالإسلام بنوع خاص وأن الطلبة حين يرون الأساتذة يلقون إليهم بمثل هذه الآراء وبمثل هذه الاتجاهات يسهل عليهم الانحراف بل ويتشككون فى عقائدهم وفى دينهم »

ومما يقرر هذا الاتجاه الضال وهذا التوجيه المنحرف مانشرته مجلة آخر ساعة فى عددها رقم« ١٣٠٦ » الصادر فى نوفمبر ١٩٥٩ مايأتى بالنص :

« ولنعد قليلا إلى الوراء عاما أو عامين يوم انتشرت رقصة « الروك اندرول » وانتشرت فى مجتمعاتنا بحيث كان الفتى الداعر يكاد يجر الفتاة المستهترة من ثيابها وهو يقلبها رأسا على عقب أمام أهلها وأخوتها »

ومما زاد الطين بله — كما يقولون — أن أستاذا جامعيا يدعو الطلبة الشبان إلى الشاى فى بيته ومراقصة بنته أو بناته رقصة « الروك أندرول » ترفيها واحتسابا منه »[2].

(١) راجع مجلة لواء الإسلام مجلد ١٣ ص ٥٦٥

(٢) راجع « صراع مع الباطل » للاستاذ الجليل محمد باهميل

وأستاذا آخر يحل تناول لحم الخنزير لأن الله ما حرمه ــ فى زعمه ــ إلا لأنه يعتمد فى غذائه على القاذورات التى تعافها النفس ، وتلحق الضرر بالجسم ، أما وقد خصصت الحظائر النظيفة لتربيته ، وأصبح يتناول الطيب من الطعام فليس الآن ما يدعو إلى تحريمه .

يلقى هذا الكلام على طلبته الذين لا شك أنهم سيتأثرون بفتواه التى تبيح تناول ما حرمه الله والغريب فى أمره أنه يزعم أن الله حرم لحم الخنزير لقذارة أكله مع أن هذا لم يذكر لا تصريحا ولا تلميحا فى القرآن ، ويرى أن الخنازير الآن تتغذى غذاء نظيفا ، وتحيا فى حظائر صحية ، وفى زيارته لـ « الزرائب » ما يرد عليه قوله ، وعلى فرض الصحة فهل غاب عنه ما اكتشفه العلماء منذ عشرات السنين أن لحم الخنزير يحوى عدداً هائلا من الديدان الصغيرة التى لا ترى إلا بالمجهر والتى تكمن فى عضلاته ثم تستمر حية عند تحضير اللحم بالطريقة المعتادة حتى إذا أكله الإنسان انتشرت هذه الديدان فى سائر عضلاته ، ومنها إلى القلب الذى هو أهم العضلات ، ومما لا ريب فيه أن ما اكتشفه العلماء إنما هو بداية فى بيان حكمة تحريمه ويقينى أنه كلما تقدم البحث العلمى كلما اهتدى إلى الكثير من حكمة تحريم تناول لحم الخنزير ، وكان الجدير بالأستاذ النابغة لا يفتى بما ليس له به علم خصوصا إذا كان فى هذا تعرض لأحكام الدين القيم ولكنها النزعة الإلحادية التى غرسها فيه أساتذته من التمرد على أحكام الله جعلته بدوره يغرسها فى نفوس طلابه الأبرياء[١] .

وبعض الأساتذة لا يقيمون وزنا للمقررات العلمية التى لا تتفق وما أخذوه عن أساتذتهم المستشرقين إذا تعارض خبر فى صحيح البخارى عن حادث تاريخى فى صدر الإسلام مع رأى آفن لمستشرق لم يتردد فى نبذ ما صح فى البخارى من

(١) راجع الجزء الأول ــ المجلد الأول (لواء الإسلام) الصادر فى غرة رمضان ١٣٦٦ هـ .

حقائق الوقائع التاريخية فى صدر الإسلام ، لأن ذلك المستشرق سجل فى أحد كتبه رأيا يخالف ما صح عند الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى[١] .

ولا ريب أن مثل هذا الموقف العلمى المخزى هو نتيجة من نتائج الاستعمار العقلى الذى لا نزال نعانى آثاره وعواقبه بسبب الثقافات الأجنبية التى آمن بها بعض أساتذة جامعاتنا لبعدهم عن الثقافة العربية الإسلامية .

إن هؤلاء الأساتذة ــ الذين ائتمناهم على تربية أفلاذ أكبادنا ــ معاول هدم فى صرح الدين والخلق ، وعناصر إفساد فى الجامعات ، وفى المجتمع ، ولهذا كان حتما مقضيا أن نحسن اختيار الأساتذة الذين يقومون على تربيتهم ، لنعصمهم من هذه الموجات العاتية ، من الإلحاد فى دين الله ، والإباحية السافرة ، واللاأخلاقية المذمومة ، ليتخرجوا مزودين بالخلق الكريم ، والسلوك القويم ، فضلا عن العقائد الصحيحة والعلم الغزير ، والخبرة التامة ، وحينذاك تعتز بهم الأمة ، وينهض المجتمع ، ويسلم من التردى بصورة أوسع مما تردى فيه .

ويقول الكاتب الإسلامى الكبير السيد « محب الدين الخطيب » :

« إن فى أساتذة جامعاتنا من يظنون أن رسالة الجامعة منحصرة فى تشكيك طلبتهم فى كل ما يتصل بالعروبة والإسلام .

وفيهم من يظنون أن معنى التعليم الجامعى أن يتجرد المعلم والمتعلم من كل عاطفة حب للقومية التى هو منها وللملة التى ينتسب إليها . وفيهم من يظن أن الجهاد كل الجهاد فى أن يهدم ماأبقته الدراسة الثانوية فى قلوب الطلبة الجامعيين من بقايا إيمان بالحقائق القديمة الخالدة ، وحسن ظن بالثقافة التى تستمد حيويتها

(١) راجع الجزء السادس من المجلد (٢٧) لمجلة الأزهر فى جمادى الآخرة سنة ١٣٧٥ . والمقدمة القيمة التى صدر بها الداعية الجليل الدكتور / مصطفى السباعى كتابه (السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى)

من كياننا العربى وتراثنا الإسلامى .

ثم قال : هذه النزعات فاشية بإسراف وطغيان فى بعض الكليات النظرية من جامعاتنا ولاسيما الجامعة الأم القائمة فى الجيزة .

ويوم كانت الدولة المصرية لارسالة لها من الماضى إلى المستقبل لم تكن الشكوى من ذلك لتلقى آذانا تصغى لها ، أما اليوم وبعد أن حددنا طريقنا وآمنا بأن هذا الطريق لابد له من رسالة منتزعة من صميم قوميتنا فقد آن لنا أن نعالج هذا الداء الدوى . « المرجع السابق » .

لاشك أن كل هذا يؤكد أن فى الجامعات انحرافا عن السنن القويم وجدير بالقائمين على أمرها أن يعالجوا الأمر بحكمتهم حتى تخرج لنا الجامعات شبابا مزودين بالعلم النافع والإدراك الشامل مع الولاء لعقيدتهم والتمسك بتراثهم الإسلامى العظيم .

(٢١) انهضوا بوسائل الإعلام لتؤدى رسالتها البناءة :

لوسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون رسالتها العظيمة فى النهوض بالمجتمع وإسعاد بنيه وذلك بتزويده بالخبر الصادق والرأى الناضج والنقد النزيه والتوجيه الحكيم ، وتبصيره بما يجرى فى العالم من أحداث ، ومايقع فى مجتمعه من مشاكل .

وصيانته من المبادىء الهدامة ، والتيارات الجامحة التى تعمل جاهدة على تقويض أركانه ، والتزهيد فى قيمه ، والتنكر لتقاليده الصالحة .

ووقايته من التردى فى مهاوى الرذائل ، والانغماس فى خضم الشهوات التى تفسد عليه عقيدته وخلقه وتباعد بينه وبين الحياة العزيزة ، والعيشة الراضية والترفيه عنه بما لا يتنافى مع دينه القيم ، وخلقه الكريم ، والآداب العامة .

ولكنا نلاحظ أن وسائل الإعلام انحرفت عن هذه الرسالة السامية وأخذت تروج للانحراف وتشجع على ارتكاب الموبقات والتحلل من قيود الدين والفضيلة بل وتنال من مقام سيد الكائنات وصفوة أهل الأرض والسموات مولانا محمد ﷺ حيث نشرت إحدى الصحف « كاريكتير » على هيئة ديك وقد كتبت تحته هذه العبارة الوقحه : « هاهو محمد أفندى المزوّج تسع » وكل الناس يعرفون أنه لم يتزوج تسع نساء إلا نبينا محمد ﷺ[١] .

فانظر كيف بلغت القحة وسوء الأدب ، والاستهتار بمقام رسول الله ﷺ إلى هذا الحد .الأمر الذى لم يقع فى عهد الاستعمار حيث لم يجرؤ رئيس تحرير أى صحيفة فى أى بلد عربى مسلم أن يصور النبى محمدا ﷺ فى « كاريكتير » على هيئة ديك ساخرا مستهزئا ولكن هذا السلوك الدنيىء حدث بعد أن نعمنا بالاستقلال وظفرنا بالحرية وأصبحت الصحافة ملكا للشعب سبحانك ربى هذا بهتان عظيم .

وهناك المجلات التى تنشر الصور الخليعة ، والمناظر المثيرة والروايات الفاجرة ، والقصص الماجنة بجانب ماتقدمه الإذاعة من الأغانى الرخيصة والتمثيليات المشينة ، ومايعرضه التليفزيون من الأفلام التى توحى بالاستهتار بالقيم الفاضلة ، والآداب العامة بما يتخللها من مناظر يندى لها الجبين ، وتئن منها الفضيلة وتعلم الرذيلة تعليما عاليا وهناك الصور الداعرة ، والإعلانات الفاضحة على الجدران وفى لوحات الإعلانات فى أضخم الشوارع والميادين الرئيسية تدعو إلى الفجور وتغرى بالتحلل والخروج على العرف .

وجاء فى « اللواء الإسلامى »[٢] أن بعض الكتاب كتب فى صحيفة

---

(١) من مقال للأستاذ الكبير محمد أحمد باشميل بعنوان : « لا أمل على العدو بغير الإسلام » نشر بمجلة رابطة العالم الإسلامى فى ندوة محاضرات عام ١٣٨٨ هـ صحيفة ٧٦ .

(٢) العدد (١٢٢) الصادر فى ٢٢ من شعبان ١٤٠٤ هـ ـــ ٢٤ مايو ١٩٨٤ من السنة الثالثة .

الجمهورية يهاجم التليفزيون لأنه يذيع البرامج الدينية أو يكثر منها ويطالب باستبدال هذه البرامج بالرقص والأغانى وماشابه ذلك ..

مع أنها كلها لاتأخذ من الوقت مايأخذه فيلم قديم معاد ورغم أن التليفزيون فى ذكرى الإسراء والمعراج قدم فيلما لنادى السينما ، وفى ليلة النصف من شعبان قدم فيلما عربيا عن قصة حب وكان الأوفق والأجدر أن يكون هناك فيلم دينى ، أو أمسية شعرية دينية .

ثم يقول اللواء الإسلامى :

على أن الذى نتحدث عنه هو مثل هذا الاتجاه الذى يقوم به أو يتزعمه عدد من المعروفين بميولهم اليسارية وبانتمائهم إلى الاتحاد السوفيتى .

فهؤلاء كما فعلوا من قبل فى الاحتفال بمولد « لينين » ومنعوا الاحتفال بمولد رسول الله ﷺ أيام كانوا فى السلطة يحاولون اليوم وهم خارج السلطة أن يمنعوا الاتجاه إلى الدين بل يريدون أن ينشروا الخوف من الاتجاه إلى تطبيق الشريعة الإسلامية مع أن هذا التطبيق لايحمل إلا كل الأمان لكل فرد » هذا ماجاء فى اللواء وهو يعزز ماذكرناه من انحراف وسائل الإعلام عن رسالتها .

ولاشك أن هذه الانحرافات عوامل هدم قوية فى بناء المجتمع الأمر الذى يمكن الاستعمار من تنفيذ مآربه ويحول بين الأمة وبين الحياة الجادة المستقيمة ويزرع فيها روح التحلل والفساد .

وإنى لأهيب بولاة الأمر فى مصر والعالم الإسلامى أن يعملوا على توجيه وسائل الإعلام وجهتها السليمة لتؤدى رسالتها فى التوجيه والإرشاد وتحفظ على المجتمع دينه وخلقه ، وتجنبه الأخطار الفادحة التى تهدده فى حاضره ومستقبله وتنأى عن هذا السلوك المزرى والتصوير القبيح للإنسان الكامل وعن ذلك النقد الذى يصور ماتنطوى عليه النفوس من التنكر للدين والفضيلة والخروج على الرأى العام والسير

فى فلك الشيوعية الكافرة .

٢٢ ــ أعدوا الشباب ليؤدوا رسالتهم فى الحياة :

ولما كان شباب اليوم هم رجال الغد وجب إعدادهم إعدادا سليما يؤهلهم للنهوض بمسئوليتهم فى مستقبلهم لأن التفريط فى إعدادهم خطر على الإسلام يوم يؤول الأمر إليهم وهم غير أكفاء له ولامهيئين لحمله وإنى لأتوجه بالرجاء إلى القادة والمسئولين عن التربية والتعليم فى أرجاء أمتنا العزيزة أن يعملوا جادين على غرس المبادىء الإسلامية فى نفوس الشباب ويجنبوهم الميوعة والتسيب بجانب تزويدهم بشتى ألوان المعرفة وضروب النشاط لينشئوا أوفياء لدينهم مخلصين لأمتهم وليكونوا بمأمن من الانزلاق فى مهاوى الشرور والإلحاد ، ومانكبنا به الاستعمار من المبادىء الهدامة وعوامل الفساد .

وبعد فلا صلاح للمجتمع إلا بعد إصلاح روح الشباب فيه بالدين القيم والخلق الطيب والتوجيه الحكيم حتى يكون له من قوة عقيدته ، وسمو أخلاقه ، وسلامة نيته وحسن توجيهه سلاح يحارب به الباطل ، وينصر به الفضيلة ، ويعتز به المجتمع ، وتزداد كتائب الإسلام قوة .

هذا وأن ما لاحظناه فى هذه السنوات من انتساب كثير من الشباب إلى الجماعات المتعددة التى لم تحسن توجيههم مما جعلهم يهددون الأمن ، ويثيرون الفتن إنما كان نتيجة للفراغ العقائدى وحاجتهم الماسة إلى القيادة الصالحة والتوجيه الرشيد ، والفهم الصحيح للإسلام والإدراك السليم لمنهج الدين فى الدعوة .

٢٣ ــ استغلوا الطاقات المعطلة :

العالم الإسلامى يملك الكثير من الطاقات المادية والبشرية ولكن مع ذلك فإن نسبة الدخول فيه ضعيفة وذلك راجع إلى أننا لم نستفد من تلك الطاقات استفادة كاملة . ولذلك يجب علينا أن نهتم بالإنتاج عن طريق تحسين الزراعة

واستغلال كل الأراضى الصالحة لها ، وتهيئة الأراضى البور للاستفادة منها .

وتوسيع نطاق الصناعة كى تمد العالم الإسلامى بكل مايحتاجه من الضروريات والكماليات مستعينين بوسائل العلم الحديث والخبرة الفنية .

وبذلك نستغنى عن الاستيراد فضلا عما فيه من القضاء على البطالة ، والحفاظ على رءوس الأموال للاستفادة منها داخل البلاد بدلا من أن تكون ثمنا للبضائع الاستهلاكية التى تغزو الأسواق الإسلامية والعربية وحبذا لو أقمنا سوقا مشتركا على غرار السوق الأوربية المشتركة .

٢٤ ــ وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ...

هذا الأمر الإلهى الكريم ، لو نفذه المسلمون ، لكانوا قوة يخشى بأسها ، ويعمل حسابها ، لأنه يهيب بهم ، أن يهتموا بالناحية الدفاعية ، ليستطيعوا الدفاع عن بلادهم ، ضد الغزو الأجنبى والأطماع الاستعمارية وليرهبوا عدو الله وعدوهم . وذلك بتعبئة الجيش تعبئة نفسية ، وتعبئة عسكرية ، والأولى تكون بإعداد الجندى إعداداً يشعره بأنه يقاتل عن عقيدة ، وتلك العقيدة تدفعه إما إلى نصر يحفظ على البلاد كرامتها ، وإما إلى استشهاد يلق الله بعده قرير العين مثلج الصدر .

والثانية تكون عن طريق استخدام أحدث الأسلحة والتدريب عليها وإقامة مصانع السلاح حتى لاتتحكم فينا الدول التى تحتكره ، ويهمها أن نكون عالة عليها ، وأن نكون ضعافا لايقام لنا وزن ولايصان لنا حق .

فعلينا أن نفقه هذا الأمر الربانى ، وأن ندرك ماينطوى عليه من مواطن العزة ، وإلا استبيح الحمى وامتهنت الكرامة وطمع فينا من لايرقب فينا إلا ولاذمة .

(٢٥) اهتموا بالدول الأفريقية المتحررة :

ومن الواجب الاهتمام البالغ بالدول الأفريقية ، التى نعمت باستقلالها ، بعد أن رزحت تحت نير الاستعمار حقبا طويلة ، فأفسد عقيدتها ، وتنكر لأخلاقها ، وسلخها عن شقيقاتها الأفريقيات والعربيات ، وذلك بإمدادها بالدعاة الناصحين ، والخبراء الحاذقين ، بجانب العون المادى والمعنوى ، وبذلك لايجد المستعمر طريقا للعودة إليها ، واستعادة النفوذ فيها .

وإننا لن ننسى موقف هذه الدول فى معركة العاشر من رمضان حيث قطعت علاقاتها الدبلوماسية بالعدو الغاشم ، ووقفت خلف مصرنا ، تشد من أزرها ، فى صورة تدعو إلى الإعجاب والتقدير . كذلك من الواجب أن تقف الدول الإسلامية ، بجانب الشعوب ذات الأغلبية الإسلامية الساحقة التى يحكمها حكام غير المسلمين ، وبالأقليات الإسلامية ، التى تعانى من ألوان الاضطهاد ، وضروب التعذيب الشىء الكثير وذلك وقاية لهم من الظلم والإرهاب ، وحرصا على كيانهم الإسلامى أن يزول ، وأن ندع تلك الكلمة المرذولة (عدم التدخل فى الشئون الداخلية) لأننا حملة رسالة تحتم علينا التواصى بالحق والصبر ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾[1] .

وأن تؤمن الأقليات المواطنة فى البلاد الإسلامية من غير المسلمين ، وتشعرهم بكرامة المواطن وحمايته ، وبذلك نسد على الاستعمار الباب الذى يدخل منه لحماية الأقليات غير المسلمة : ﴿ لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾[2] .

---

(١) سورة التوبة الآية ٧١ .

(٢) سورة الممتحنة الآية ٨ .

(٢٦) وحدوا صفوفكم :

ولكى نستطيع القيام بتلك الأعباء الجسام ، لنحبط على الاستعمار خططه ، ونحفظ على المجتمع دينه ، وخلقه وخيراته وثرواته ، ونوجه طاقاته إلى العمل النافع ، والجهاد الدائب ، يجب أن نعمل على وحدة الصف ، ورأب الصدع ، وإزالة مافى النفوس من تنافر ، لأن مستقبل الإسلام رهن بمستقبل العرب ، ومستقبل العرب رهن بوحدة الصف ، وجمع الشمل ، فإذا تمت الوحدة ، واجتمعت الكلمة ، عز الإسلام وعلا شأن المسلمين : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾[١] .

٢٧ ــ المسئولية الجماعية عن الإسلام والمسلمين :

وبعد فهذه كلمة عامة ، عن موقف قوى الشر المتحالفة ، وعصابة البغى المتآلفة ، من الإسلام كعقيدة ، ومن المسلمين كأمة تعتنق تلك العقيدة .

وهذه خطوط فى الإصلاح أرى فى الأخذ بها ، وقاية للمجتمع الإسلامى ، من الأخطار الفادحة ، والعواقب الوخيمة ، التى أخذت تهدده فى دينه وخلقه ، وفى تراثه وتقاليده ، وفى حاضره ومستقبله ، وتعرضه لسخط الله وغضبه ، نتيجة إعراضه عن هدى السماء ، واعتزازه بغير الله : ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾[٢] .

وعلينا أن ننهض ملوكا ورؤساء ، علماء وزعماء ، جندا وقادة ، حكاما ومحكومين ، فى الحفاظ على إسلامنا حيث تحالف الخصوم الأقوياء ، والأعداء الألداء ، والطغاة الأشداء ، على محاربته بكل ماأوتوا من قوة لأنه مصدر قوتنا ،

---

(١) سورة الأنفال الآية ٤٦ .

(٢) سورة النحل الآية ١١٢ .

وباعث نهضتنا ، وعنوان عزنا ...

وأن نعمل على صلاح المجتمع بعلاجه من أدوائه بالتزام السياسة التى رسمها الدين فى تدبير أموره .

وبذلك لاغيره يبقى الإسلام ، خفاقة ألويته ، متينة حصونه ، مسموعة كلمته ، مرهوبة صولته ، ويحيا المسلمون أعزة أقوياء ، لاتنال منهم الأحداث ، ولاتوهنهم الخطوب ، ويكونون خير أمة أخرجت للناس .

وعلى الذين فتنتهم الحضارة المدنية ، واستهوتهم النظريات الحديثة ، فى طرائق الحكم والتفكير ، وفى طرائق التشريع ونظم الاجتماع أن يعلموا أن الإسلام قد فرغ من ذلك كله منذ أربعة عشر قرنا ، فوضع أسس إصلاح الأفراد والمجتمعات ، وإصلاح الدولة ، وأقام دعامة الخلق القويم ، ووثق الروابط ، ونظم المعاملات ، على قواعد من الأمانة والثقة ، ووضع الضوابط للحياة العامة والخاصة ، ورسم حدود الحلال والحرام ، على وجه يترك لنشاط الفرد والجماعات والدولة ، ميادين فسيحة للعمل والابتكار ، ومسايرة تطور الحياة ، وملاحقة العلم إلى أبعد غاياته ، فى نطاق من السلامة : سلامة العقول ، وسلامة الأبدان ، وسلامة العقيدة ، ويثير لدى الفرد روح الطموح إلى المثل العليا ، ويجنبه التردى فى هوة من شهوة المادية الوضيعة ، والأنانية البغيضة .

فهيا إلى الإسلام ، فنقيم دولته ، ونحكم شريعته : ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ . ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ . ﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ .

وصلى الله وسلم على مولانا « محمد » المبعوث رحمة للعالمين ، وهاديا للناس أجمعين وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

محمد محمد الدهان

المراجع

الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى — للدكتور محمد البهى

المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام — للداعية الشيخ محمد محمود الصواف

دفاع عن العقيدة ضد مطاعن المستشرقين — للداعية الشيخ محمد الغزالى

ظلام من الغرب — للداعية الشيخ محمد الغزالى

مجلة الأزهر . الجزء الأول من السنة التاسعة ص ٧ ، ٨

مجلة الأزهر . الجزء السادس من السنة ٢٧ ص ٦٠٧

الإمام المراغى — للأستاذ أنور الجندى

الإسلام فى غزوة جديدة للفكر الإنسانى — للأستاذ أنور الجندى

الإسلام والإرساليات — للمبشر « لوانس بروان »

التبشير والاستعمار — للقسيس كالهون سيمون

منهاج الإسلام فى الحكم — للمستشرق المسلم محمد أسد

مصر الحديثة — للورد كرومر

مستقبل الثقافة فى مصر — للدكتور طه حسين

هل أفريقية أرض مسيحية — للأب « ديبونت »

رحلة إلى السودان الغربى — ل « ايدون أجين ماج »

القاديانية عرض وتحليل — للدكتور محمد إسماعيل الندوى

يقظة العرب — لجورج انطونيوس

تاريخ الشعوب الإسلامية — ل« كارل بروكلمان » الجزء الخامس

القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام	للداعية « أبو الحسن الندوى »
أين يتجه الإسلام ؟	للمستشرق الإنجليزى هاملتون جب
	ص٢٦
دعوة التقريب من خلال رسالة الإسلام	
الله أو الدمار	لدولة سعيد جمعة رئيس وزراء الأردن الأسبق
الدين العالمى ومنهج الدعوة اليه	لفضيلة الشيخ عطية صقر
هل نحن مسلمون ؟	للكاتب الإسلامى محمد قطب
المؤامرة على الإسلام مستمرة	للأستاذ جابر رزق



الفهـــرس

الموضوع — **الصفحة**

اقرأ للمؤلف

تفسير سورة القدر الكريمة .

المستشرقون وتعدد زوجات صفوة المرسلين .

قوى الشر المتحالفة وموقفها من الإسلام والمسلمين .

مناسك الحج وآداب الزيارة .

شهر رمضان فضله وصيامه .

محمد ﷺ أريج من سيرته وقبس من شريعته .

نسمات الأصيل فى المذياع .

توضيح الجوهرة فى علم التوحيد .

المنطق الواضح بالاشتراك مع فضيلة الشيخ طنطاوى عمر المفتش بالأزهر .

فى ذكرى المولد النبوى الشريف .

أضواء البيان فى الرد على الدكتورة عائشة عبد الرحمن حول زواج رسول الله ﷺ بأم المؤمنين السيدة « زينب بنت جحش » رضى الله عنها .

تحت الطبع

محاضرات فى علوم القرآن لطلبة كلية الدراسات الإسلامية بجامعة أم درمان الإسلامية .

محاضرات فى التفسير لطلبة كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

محاضرات فى التفسير لطلبة كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض .

نظرات فى سورة الحجرات .

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٥٠٩ / ٨٥

الترقيم الدولى ٨ ـ ٣٤ ـ ١٤٢٠ ـ ٩٧٧

مطابع الوفاء ـ المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN

المؤلف فى سطور

ولد فى ٢٥ من مارس سنة ١٩١٧ بمدينة المحلة الكبرى بمحافظة الغربية وحفظ القرآن الكريم وأتم دراسته الاولية بمدرسة الهداية الإسلامية .

التحق بالأزهر « بمعهد طنطا الدينى » وبه أتم دراسته الابتدائية والثانوية ، ثم التحق بكلية أصول الدين ونال منها الشهادة العالية سنة ١٩٤٦ ثم بقسم إجازة التدريس ومنه نال شهادة العالمية مع الإجازة فى التدريس سنة ١٩٤٨ .

عين بعد تخرجه مدرسا بالأزهر وظل يترقى فى وظائفه حتى عين مديرا عاما لمنطقة كفر الشيخ الأزهرية فى ١٩٧٨ .

خلال تلك الفترة بعثه الأزهر مديرا للمعهد الإسلامى بزنجبار ولنشر الدعوة والتدريس بمعهد « مقديشيو » بالصومال ، ورئيسا لبعثة إلى سلطنة عمان .

كما تعاقد مع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للتدريس بكلية الدعوة وأصول الدين ، ومع جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض للتدريس فى كلية الشريعة الإسلامية ، ومع جامعة « أم درمان الإسلامية » بالخرطوم للتدريس لطلبة الدراسات العليا فى كلية الدراسات الإسلامية .

ومن الأساتذة الفضلاء الذين تتلمذ عليهم وتأثر بمنهجهم الإصلاحى المغفور لهما فضيلة الشيخ محمد الأودن والدكتور محمد البهى وفضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى (مدّ الله فى عمره) .

وله عدة مؤلفات طبع منها :

تفسير سورة القدر الكريمة .

محمد صلى الله عليه وسلم « أريج من سيرته وقبس من شريعته » .

أضواء البيان فى الرد على الدكتورة عائشة عبد الرحمن حول زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين : « زينب بنت جحش » رضى الله عنها .

المستشرقون وتعدد زوجات صفوة المرسلين .

شهر رمضان فضله وصيامه .

مناسك الحج وآداب الزيارة .

نسمات الأصيل فى المذياع .

قوى الشر المتحالفة « الاستشراق . التبشير . الاستعمار » وموقفها من الإسلام والمسلمين .

توضيح الجوهرة (لطلبة القسم الثانوى بالمعاهد الأزهرية بالاشتراك مع المرحوم فضيلة الشيخ الطنطاوى عمر المفتش بالأزهر) .

المنطق الواضح (لطلبة القسم الثانوى بالمعاهد الأزهرية بالاشتراك مع المرحوم فضيلة الشيخ الطنطاوى عمر المفتش بالأزهر) .

الوفاء للطباعة والنشر

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ت : ٣٤٢٧٢١/٣٥٦٢٢/٣٥٦٢٣
فرع المنصورة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣ .... ص . ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004
فرع القاهرة : ٤١ ش شريف ت : ٧٤١٩٩٧ / ٧٥٤٦٠٦